محمد عبدالله الحميّد

افتراءات الصّليبي

متابعات أولى

نادي أبها الأدبي

الطبعـــة الاولى
١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م

دار البلاد للطباعة والنشر
جدة

بسم الله الرحمن الرحيم

الإهداء :

إلى الباحثين عن الحقيقة في كل مكان .

كشف إفتراءات الصليبى

متابعات أولى

كلمة:

عندما استخلف الله تعالى آدم وذريته فى الأرض، ومكّنهم من السيطرة عليها، وسخر لهم كل ما فوقها وما تحتها من أسباب النمو والازدهار والتطور، لم يتركهم هملا كما أنه لم يخلقهم عبثا.. وإنما كان يرسل إليهم بين الفترة الزمنية والأخرى من بينهم من يصطفيهم من الأنبياء والرسل يبلغونهم رسالة التوحيد، وأصول العبادة، وينقلون لهم وحيه المنزل من توراة وإنجيل وزبور وغيرها، ثم نسخ ذلك كله بالقرآن الحكيم الذى أوحاه الى خاتم الأنبياء والمرسلين «محمد بن عبدالله» عليه وعليهم أفضل الصلاة وأزكى التسليم حيث قال (ومن يبتغ غير الاسلام دينا فلن يقبل منه) و (اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتى ورضيت لكم الاسلام دينا) وعن العصور الغابرة قال جل شأنه (وان من أمة الا خلا فيها نذير) وقد بلغوا المئات عددا. ومنهم من قصّ الله تعالى خبره فى القرآن ومنهم من لم يقصص. ولا يضير جزيرة العرب أن تكون مصدرا للتوراة او سواها من الكتب السماوية المنزلة من لدن رب العزة والجلال والخالية من تحريف وتجديف المبتدعين الضالين المنافقين من اليهود والنصارى وأشباههم... فذلك شرف تعتز

به قبلة المسلمين ومبعث نور الهداية الأبدية ومعقل العقيدة المحمدية السمحة.

لكن التدليس الذى جاء به «كمال سليمان الصليبى» لغل وحقد دفينين فى نفسه، أو مقابل مؤامرة مدفوعة الثمن من اعداء العروبة والاسلام (وما اكثرهم) أو حباً في الشهرة الزائفة على حساب الحقائق التاريخية.

لم يكن مقبولا بأية حال.. فقد طلع على الناس بكتابه الذى حاول فيه الضحك على العقول وبلبلة الأفكار والافتئات على الثوابت التى لا تقبل الجدل...

وجاء بنظرية متهافتة يزعم من خلالها بأن توراة اليهود مبعثها جزيرة العرب وبخاصة في (جنوب الحجاز ومنطقة عسير وجازان).

وما كادت مؤسسة (دير شبيغل) تصدر الكتاب باللغة الألمانية حتى قامت وسائل الأعلام الصهيونيةومن يدور في فلكها بحملة اعلامية منقطعة النظير للترويج ولفت الأنظار إلى الكتاب والمؤلف معاً ،وتظاهرت في بعض المواقف بالمعارضة للتضليل والتطبيل وذر الرماد في العيون.

ثم كرت مسبحة الدار بترجمة الكتاب الى اللغات الانجليزية والفرنسية والهولندية والدانمركية بالاضافة الى العربية التى تبنتها مؤسسة الأبحاث (المشبوهة) فى بيروت فى شهر أيلول ١٩٨٥م.

وقرأنا الكتاب فى طبعته العربية الحافلة بالعجب العجاب من الأغاليط التي يضحك منها الأطفال في منطقة عسير فضلا عن الكبار والراشدين منهم.

فالرجل تستّر وراء ثلاثين سنة من تدريسه التاريخ في الجامعة اللبنانية، وتدثر بلقبه العلمى واستغل ذلك فى محاولة إعطاء العنصرية اليهودية بعداً حضاريا وعمقا استراتيجيا داخل معقل العروبة والاسلام والحصن الحصين لأبنائها الى يوم الدين...

بدلاً من أن ينصاع للأمانة العلمية التي تؤكد بأن اولئك الصهاينة المعتدين على حقوق الشعب الفلسطينى ليسوا من الدين اليهودى الحق في شيء، ولا يمتون الى بني إسرائيل الأصليين بأدنى نسب... وانما هم شذاذ آفاق من شرق الأرض وغربها زعموا كذبا بأنهم شعب الله المختار وأن الوطن الفلسطينى السليب هو (أرض الميعاد).

ولكن الله غالب على امره، ولا بد من فجر مشرق يكتسح فلول الظلام، وتعود معه المياه الى مجاريها وترجع الحقوق المسلوبة الى أهلها، ويعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون.

ومنذ أطل علينا «الصليبي» والأبواق المساندة له بنظريته المهزوزة، بادرت الى استنفار علمائنا ومؤرخينا لدحض مفترياته بمقال نشرته جريدة الشرق الأوسط الدولية عام ١٩٨٤م وعنيت منهم من حاول أن يلقى على مؤلفاتهم بتبعة جريمته من أمثال الأساتذة (حمد الجاسر ومحمد العقيلي وعبدالله بن خميس وعلي السلوك وعاتق بن غيث البلادى) وهي معاجم بأسماء المدن والقرى والهجر بالمملكة... وقام صاحبنا بالمقابلة اللغوية بين ما ورد فيها وما تحمله أسفاره التوراتية المحرّفة التي ما أنزل الله بها من سلطان.

ولقد كانت استجابة الشيخ «حمد الجاسر» كريمة وفاعلة فقد تصدى للرد عليه في أكثر من مجلة بمقالات موضوعية دسمة ثم توالت النصوص من مفكرين سعوديين وعرب ومسلمين من الداخل والخارج، إستطعت أن أجمع منها ما تضمه دفتا هذا الكتاب.

ولو أنه قد فاتني غيرها رغم بحثى المتواصل عنها ومنها مقالتى الثالثة التي نشرتها (الشرق الأوسط) عام ١٩٨٦م على ما أظن عقبت فيها على ما نقلته مجلة «اقرأ» السعودية في حينه من مصادرها في لبنان.. ويتلخص في أن بعض أساتذة وطلاب الجامعة اللبنانية قد

عقدوا مناظرة علمية للصليبي حاصروه فيها بالأسئلة والاستبيانات عن مصدره وأدلته التي يوثق بها نظريته فلم يكن منـه إلا أن انهار أمامهم غارقا في عرق الفشل معلنا إفلاسه وتراجعه في خيبة واندحار وآمل ممن يعثر على شيء مما لم يدرج هنا أن يتفضـل بإرسـاله الي لإضافته فى طبعة قادمة.

أنا لا أقول بأن هذا الجهد الذى أقدمه هنا للقارىء العزيز يكفي لغربلة ما جاء في الكتاب الملغوم لكنه كما يفهم من عنوانه خطوة على الطريق.

لأن الحاجة لا تـزال ملحة الى من يتـولى دراسته حـرفيا من الأساتذة المتخصصين في علم الجغرافيا التاريخية من أبناء المملكة ومنطقة عسير بالذات فهم أقدر على وضع النقط على الحروف وقرع الحجة بالحجة وإماطة اللثام عن الحقيقة المجردة التي لا يشوبها أي شك. بيد أن جمع هذه الباقة من البحوث والآراء وتقديمها الى القراء بين يدي البحث الكامل المنتظر.. لا يخلو من فائدة بأى وجه من الوجوه وهذا لا يمنع من أن أورد بايجاز بعض النماذج على ركاكة مقابلات الصليبي لأسماء بعض الأماكن في عسير بما ورد فى توراته المزيفة:

** مصر التي هاجر منها النبي موسى بقومه من بني اسـرائيل الى الشام عابرا البحر ثم صحراء التيه في طورسيناء ليست أرض الفراعنة ولكنها قرية (المصرمة) المجاورة لمدينة أبها المنسوبة الى شخص يدعى الصرومى ولا يوجد بها حتى الآن الا عدد بسيط من المنازل والمزارع!!

* أورشليم عاصمة فلسطين وأصلها (أور سليمان) أو بلد سليمان، ليست بيت المقدس المعروفة ولا مسرى نبينا العظيم محمد بل هي قرية (آل بللشرم) من ضواحي أبها والمسماة بعائلة واحدة تسكنها وتحتوى على اربعة منازل وعدد محدود من المزارع!!.

* بئر شيبا أو بئر السبع الواقعة فى صحراء النقب الفلسطينية انتقلت

بخيال المؤلف الساذج الى حي (شباعه) بمدينة الخميس!!.

* دولة الأردن بنهرها المعروف وضفتيه الشرقية والغربية قزّمها الدكتور إلى قرية الدارين ببلاد زهران!!

أكتفي بهذا القدر من التحريف المضحك المبكى للدلالة على سخف الكتاب وصاحبه. وارجو ألا يطول انتظارنا لمن يتصدى لتصحيح ما ورد فى كتاب الصليبي جملة وتفصيلا ثم يترجم الرد الى اللغات التي صدر بها الأصل.. إذ لا يفل الحديد إلا الحديد... والله ولي التوفيق.

محمد عبدالله الحميد

□□□

محمد عبدالله الحميد

أوهـام الصـليبى فى خـدمـة إسـرائيـل

الدكتور «كمال الصليبى» كمـا قدمتـه مجلة «النهار العـربى والدولى» فى عددها ٣٨٣ الصادر بتاريخ ٢/٩/١٩٨٤م مؤرخ لبنانى واستاذ تاريـخ الشرق الأوسـط الحديث فى الجـامعة الأمـريكية فى بيروت.. طلع على العالم بكتاب دونه باللغة الانجليزية واصدرته له دار «ديرشبيقل» الألمانية زعم انه «كشف تاريخى» يريد به اثبات ان نشوء اليهـودية كـان فى الجزيـرة العربيـة لا فى فلسـطين.. ومن التحقيق الصحافى الذى اجرته معه مجلة «النهار» ومجلة «الهدف» وكلتاهما من لبنان، اتضح ان المؤرخ تعمد ان يلوى عنق الحقيقة ليوجد لاسرائيل موضع قدم تضيفه لما استلبته غصبـا وعدوانـا من ارض العروبـة والاسلام.

ورغم محاولته التبـرؤ من ميوله الصـهيـونية التى أملت عليه اصدار كتابه الملىء بالأكاذيب إلا أن اسمه دليل عليه.. والكتاب يقرأ من عنوانه كما يقولون. والخطورة الأشد ضـررا لا تقع من العـدو المكشوف بقدر ما تحصل من ذلك المتستر فى ثياب الصديق، فالمؤلف مسيحى عربى يتكلم لغة الضاد ومسقط رأسـه «بحمدون» ونشأته في «بيروت» ولكنه «صليبي» اولا وأخيرا وهذا يكفى..

والكتاب كما افاد صاحبه.. صدر فى المانيا باللغة الانجليزية.. ولم اطلع عليه ولست فى مجال تفنيده وتحليله.. لكن الاجابات التى رد بها المؤلف على اسئلة المجلتين.. تسلط الأضواء بما لا يقبل الجدل على انه اراد من بحثه التدليل بأن قيام مملكة بني اسرائيل القديمة وزوالها كان فى جنوب الحجاز وبلاد عسير وليس فى فلسطين.. وان «سليمان الحكيم» عليه السلام «عسيرى ابن عسيرى!!» على حد تعبيره.. أما كيف حصل هذا «العبقرى» المشبوه على هذا الكشف الغريب!؟ فان أكثر ما ارتكز عليه مقارنة اسماء اماكن وردت فى التوراة.. الى الاسماء التي وجدها فى معاجم مدن وقرى المملكة التى يشرف عليها الشيخ حمد الجاسر وقام باعدادها الى جانبه كل من الاساتذة: عبدالله بن خميس، وعلي السلوك الزهرانى، ومحمد العبودى ومحمد العقيلى وعاتق البلادى.

ومع قصر باعى فى هذا المجال، وكونى لست باحثا أو مؤرخا إلا أن لي هذه الملاحظات:

أولا: من المعروف لدى الخاص والعام ان التوراة والانجيل قد حرفا تماما بشهادة القرآن الكريم الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه، ولا من خلفه ولا يمكن الأخذ بما هو موجود الآن فى عشرات الأناجيل المزورة

ثانيا: اذا فرض وجود تشابه فى الأسماء فهذا ليس غريبا لا بالنسبة لاعلام البشر أو المواضع.. ولعلنا نعرف بأن اسم مدينة القاهرة مثلا موجود فى مصر واوروبا والأمريكيتين بل انه يوجد لدينا قرية داثرة جنوب مدينة أبها تعرف بهذا الاسم.. وبجوارها قرية عامرة تدعى «البصرة»... واغرب من ذلك واثناء اعدادى لهذا المقال مر علي شخص سعودى صميم اسمه «جفرى» ولو اخذنا بمنطق الصليبى لنسبناه اى «جفرى هاو» وزير خارجية بريطانيا!!

ثالثا: اليهودية كدين سماوى، ليست محدودة بأرض أو اقليم معين فان الله سبحانه وتعالى يعبد فى كل زمان ومكان. ومعتنقوها موجودون فى كل اصقاع الدنيا. أما ما يتذرع به الصهاينة المستعمرون من دعوى باطلة بأن ارض الميعاد هي «فلسطين» وان مملكتهم من النيل الى الفرات فانما هي حجة واهية ليس لها ما يدعمها وستعود الحقوق الى أهلها الأصليين بحول الله تعالى طال الزمن أم قصر..

أما فرية «الصليبى» الجديدة وكتابه المغلوط فالواجب ألا يمر بدون تفنيد وتصحيح وعلى جامعاتنا ورابطة العالم الاسلامى وباحثينا الأجلاء وفى مقدمتهم الشيخ حمد الجاسر مسؤولية الرد عليه وكشف اغاليطه وفضح دسه الرخيص على ان يترجم الرد باللغة الانجليزية ويوزع على الجهات التي انتشر فيها الكتاب وهذا اضعف الايمان وحسبنا الله ونعم الوكيل.

□□□

الصليبي والوجه المستعار

لم تكن نكبة الأمة العربية والمسلمة من اعدائها الظاهرين من الصهيونيين والملاحدة والمستعمرين فقط، بل لقد منيت ببعض المحسوبين عليها من الذين ينتسبون ظلما اليها ويرتدون ثيابها ويتكلمون لغتها، وهم فى الحقيقة والواقع ألد الخصوم، والخطر منهم اشد هولا وأكثر إيلاما.

والدكتور كمال الصليبي واحد من هؤلاء يتربع على كرسي الاستاذية في جامعة يفترض انها عربية، وتقوم في دولة اكثر أبنائها عرب اقحاح ومسلمون، وان اختلفت طوائفهم وتعددت مذاهبهم، وما دام الرجل محسوبا على «لغة الضاد» ويعيش بين ظهراني أمة لا تزال تعانى من مذابح ومجازر اولئك الذين رفعوا الصهيونية شعارا، وانتسبوا للديانة اليهودية ظلما، واتخذوا العنصرية ذريعة، للتسلط على ابناء فلسطين الجريحة، وتشريدهم من ديارهم بحجة أنها «ارض الميعاد» لتكون مأوى لتلك الشراذم الحاقدة الغاصبة من كل حدب وصوب. فمن العار عليه ان يكون سلما تتسلق عليه المطامع الصهيونية فى محاولة لمد اروقتها فى جنبات الوطن العربى والاسلامى!

لقد زعم ان نظريته المشبوهة في إثبات أن أرض اليهودية تقع ف جنوب الحجاز وجبال السروات من منطقة عسير فى شبه جزيرة العرب وليست في بلاد الشام، تلقى معارضة شديدة من الكيان الاسرائيلى، ولكن هذا الادعاء السخيف ليس إلا مجرد مناورة وضبابا يثار للتعمية

فقط. من باب ذر الرماد فى العيون. والا فما معنى سر هذا التطبيل لبدعته من قبل وسائل الاعلام الغربية من مقروءة ومسموعة ومشاهدة، التى سبقت صدور كتابه على شكل حملة اعلامية مكثفة في اوروبا وامريكا، وروجت لها ولا زالت بعض الصحف والمجلات العربية المهاجرة والمقيمة فى لبنان وغير لبنان من وطننا العربى فى سذاجة مشكوك في سلامة قصدها.

لقد كان لي شرف التحذير من تلك الهجمة الشرسة على تراثنا وعرضنا (والأرض جزء لا يتجزأ منه كما هو معروف) حينما فتحت لنا هذه الصحيفة الباب للرد على المقابلات التى اجرتها تلك الصحف والمجلات فى حينه للصليبى. وشاركنى فى محاولة التصدى له عدد من الأقلام المخلصة لدينها وعروبتها من ابناء الوطن السعودى وغيرهم. ولكن حماسى وغيرة جريدة العرب الدولية لا يكفيان وحدهما لمجابهة غزوة فكرية مدروسة ومخطط لها سلفا، القصد منها اثارة البلبلة والتشكيك، وايجاد منافذ للمتربصين تسهل لهم التوسع والتملك كما هي عادتهم منذ واقعة التيه الذى قضى الله تعالى عليهم به نتيجة عصيانهم وكفرهم وخروجهم على احكام السماء وقوانين الأرض، وما فتىء ذلك ديدنهم حتى الآن والى أن يأذن الله جل شأنه بهزيمتهم النهائية وعقابهم على ما قدمته ايديهم من العبث والعدوان وسوء السلوك وسلب حقوق الآخرين.

لقد انكشف الغطاء، وظهرت الحقيقة عما حاول الصليبى المأجور مداراته والتستر وراءه من الحجج والأباطيل الواهية. لأن دار «دير شبيغل» الالمانية الواسعة الانتشار قد تولت اصدار كتابه الذى يحمل نظريته المشبوهة وبستّ لغات عالمية من بينها العربية بطبيعة الحال، وعملت على توزيعه بكل الوسائل الى مختلف انحاء الدنيا القديمة والجديدة معا.

إن عملا كهذا يتطلب نفقات مادية كبيرة يعجز عن حملها المؤلف المحدود الدخل حتى لو اعانه عليه عشرات من زملائه واصفيائه ومن هم على شاكلته. ان الأمر واضح لكل ذى عينين.. فالاصابع التى تعمل من وراء الستـار اصبحت مكشوفـة مهما حـاولت التخفى بخبثهـا المعهود، ومكرها المشهور. ان دويلة «اسرائيل» والتى كرست ساعة من وقت اذاعتها وعلى مدى يومين متتاليين تدافـع خلالهـا عن داعيتها الصليبى ونـظريته المهـزوزة، وتهاجمنى والمخلصـين الذين تبـارت اقلامهم في «الشرق الأوسط» لدحض افتراءاته فى حينه

اقول ان تلك الدولة المعتدية دائما وأبـدا ليست بعيدة عن دعم الصليبي حتى يحظى كتابه بهذا الذيوع والانتشار.

أما وقد وقعت الواقعة وحصل الحـاصل فقـد جاء دور اسـاتذة جـامعاتنـا المتخصصـين فى علم الاجتمـاع وخصـوصـا التـاريـخ والجغرافيا، لينزلوا الى الساحة بكل ما اوتوا من علم وخبرة ليكونوا اهلا لشرف الالقـاب العلمية التى تسبق اسمـاءهم فى كل منـاسبة وليردوا الى عروبتهم وإسلامهم بعض الجميل وتفنيد كل ما جاء فيه من اوهام وخرافات باسلوب علمى مدعوم بالبراهين القاطعة التى لا تقبل التأويل، ان المطلوب تكوين فريق من اولئك النخبـة وليس شرطا ان يكونوا سعوديين فحسب بل لا مانع ان يجند فيه عدد من العلماء من ابناء العروبة والاسلام، فالخطر الذى يتهددنا واحد، والأمانة العلمية لا تتجزأ بالهوية، واذا تكامل الرد الموضوعى الدقيق والشامل يصار الى ترجمته بكل اللغات الحية وتعمل له الدعاية اللازمة وبهذا نرد كيد الكائدين فى نحورهم ونظهر الحقيقة امام الجميع كالشمس فى رابعة النهار.

ان الصهيونية العنصرية ليست من الدين اليهودى فى شىء بل هي تكتـل استعماري مـادي صـرف لا يهمـه الا التسلط والاستغـلال

والافتئات على الغير بدعوى ان ابناءها هم «شعب الله المختار» وان من حقهم الانتقام مما الحقته النازية الهتلرية بهم فى اي شعب على ظهر البسيطة. وقد رأينا نماذج من تصرفاتهم الوحشية فى (دير ياسين) وصبرا وشاتيلا.. وما خفي كان اعظم.

ان المسألة جد خطيرة ولا ينبغى لعاقل الاستهانة بها والتخفيف من آثارها، لأن الكلمة اليوم بوزن القذيفة بل والصاروخ فى اكثر الاحيان. وأكرر مناشدتى للعلماء الاجلاء فى صوامعهم الفكرية. وللاساتذة المختصين في جامعاتهم، ان يكونوا عند حسن الظن بهم للوقوف صفا واحدا والتصدى للصليبي واشباهه بالحجة البالغة والنطق الرصين والبرهان الساطع. وعلينا جميعا ان نهتم بمكافحة هذه الاغاليط المسمومة والارهاب الفكرى.. يجب الا نترك الساحة خالية امام الثعالب تسرح وتمرح فيها وتحكى صولة الاسود وتعبث بالحقائق، وتغسل ادمغة الناشئة، وتمهد لألاعيب هزلية جديدة.

وبالمناسبة فقد اطلعت مؤخرا على مقابلة صحافية اجرتها جريدة (النهار) البيروتية مع المدعو محمود شريح وهو هذه المرة عميل مسلم (كما يدل عليه اسمه) شاء له سوء حظه الا يترك نصيبه من خزي الصليبي فوقف يناصره ويدافع عن نظريته بنفس الاسلوب المليء بالاكاذيب والتمويه، وهذا ليس بمستغرب، فالدنيا منذ الأزل لم تخل من اناس تربوا على النفاق والجرى وراء كل ناعق.. ولكنهم مخذولون خاسئون فى النهاية.

ان الدين منذ نزل من السماء سواء كان يهوديا أو نصرانيا أو حنيفا مسلما فى نهاية الأمر لم يكن مقصورا على ارض محدودة او طائفة من الناس بل هو للبشرية كافة وعلى اي بقعة تعيش ولا اظن الصليبي وهو استاذ كرسي بالجامعة الامريكية يجهل هذه البديهة التى تتنافى مع ما يدعيه اصفياؤه الصهاينة بأن الأرض قبل الدين والذهب

بدل الرب المعبود والمادة ولا روح بعدها.. الم يكفه ما فعلوه بأبناء الشعب الفلسطينى الذى اغتصبوا دياره ومقدساته بحجة ان اجدادا لهم قد عاشوا هناك فترة بسيطة من الزمن فى احقابَ غابرة وصاروا يهرعون زرافات ووحدانا من بلدانهم الأصلية الى فلسطين الشهيدة ويحتلونها غصبا وقهرا على مرأى ومسمع من الدول فى شرق وغرب؟

منذ متى صارت الأرض الجامدة تنبت بشرا يصنفهم الصليبي على هواه ووفق مشيئة اسياده لكي يبشرهم بأرض جديدة نشأت فيها اليهودية ويختارها فى معقل الاسلام وحصنه الحصين، ودليله فى ذلك تشابه في الاسماء بين المعاجم المؤلفة حديثا وما جاء فى التوراة والاسفار اليهودية المحرفة.

لماذا لم تكن اكثر كرما مع اوليائك وأحبابك وتقول لهم ان العالم بأسره، والأرض بما رحبت ملك لهم، لأن كل دولة فيه إلا ما ندر لا تخلو من يهودى تائه ومن اسم مشابه لما ورد فى اساطيرهم؟

ومع هذا كله تبقى مدرسا فى جامعة لشاب عربى مسلم فى بلد حبيب الينا هو لبنان الذى اصابته العدوى مما حل بفلسطين المنكوبة.. رفعَ الله ما بهما انه على كل شىء قدير.

وبعد، فيا أمة محمد: ان معظم النار من مستصغر الشرر، وان كيان «اسرائيل» الذى يمتد كالاخطبوط الآن على كل شبر فى فلسطين والجولان ويمد يده الآثمة الى تونس فى اقصى الغرب والى المفاعل الذرى فى بغداد مشرقا ويهدد بالعدوان على اليمن جنوبا بدا منذ نصف قرن من الزمن تقريبا سطورا بسيطة لا يؤبه لها ضمن بروتوكولات سفهاء صهيون، ثم ترجمت الى ما هي عليه الآن واقعا ملموسا.. فحذار من النوم وسطِ الاحلام الوردية، حتى لا تكون اليقظة وسط الفاجعة المدمرة لا سمح الله.. ولا احتاج الى تذكيركم بحديث نبيكم المصطفى خاتم الرسل صلى الله عليه وسلم الذى ينص على ان كلا منا على ثغرة من الثغور فلا يؤتي الاسلام من قبله.. ألا قد بلغت.. اللهم فاشهد.

حمد الجاسر

ادعاء الدكتور الصليبي أمر لا حقيقة له.

وصدر الكتاب الذى أثار مؤلفه بآرائه الجريئة ما احدث هزة قوية فى افكارا كثير ممن يعنى بالدراسات الجغرافية القديمة المتصلة ببلاد العرب، فوقف القراء حيال تلك الآراء مواقف مختلفة كعادتهم أمام كل حديث وغريب من الآراء، مما يخالف ما كان معروفا أو مألوفا.

ولقد اختار صاحب تلك الآراء لكتابه اسما يعبر عن مجملها بوضوح هو «التوراة جاءت من جزيرة العرب».

■ المؤلف:

ومؤلف هذا الكتاب استاذ عربى معروف هو الدكتور كمال سليمان الصليبى، من اساتذة الجامعة الأمريكية فى بيروت، وممن درس التاريخ واللغات السامية، وتخصص فى تاريخ الشرق الأوسط من جامعة لندن، وله مؤلفات منها «تاريخ لبنان الحديث» و «منطق تاريخ لبنان» و «تاريخ الجزيرة العربية» و «بلاد الشام فى العصور الاسلامية» والأخيران باللغة الانجليزية.

■ مباحث الكتاب:

وكتابه الجديد ألفه أو باللغة الانجليزية، وتولت نشره دار (دير شبيغل» الألمانية باللغات الألمانية والانجليزية والفرنسية والهولندية والدانمركية بالاضافة الى اللغة العربية التى تولى ترجمة الكتاب اليها

الاستاذ عفيف الرزاز، وقامت «مؤسسة الأبحاث العربية» فى بيروت بنشر الترجمة العربية التى جاءت فى ٣٦٤ صفحة، فيها مقدمات تستغرق ١٩ صفحة وفهارس مفصلة تقع فى نحو ٦٠ صفحة.

ويحوى الكتاب ١٧ فصلا وخاتمة وملحقا، وعناوين الفصول:

□ **خلاصة ما يحويه من آراء:**

وفكرة الكتاب وما يحويه من آراء تبرز من عنوانه، فالمؤلف يرى ان اخبار التوراة جميعها تنطبق على اماكن واقعة فى جزيرة العرب، وهو يحدد البقعة التى تقع فيها الأماكن المذكورة - ص ١٦٧ - بأنها تحوى مناطق جيزان، ورجال ألمع، وقنا والبحر، والبرك، ومنطقة محايل، ومنطقة بلحمر وبلسمر، ومنطقة بارق، ومنطقة المجاردة، ومنطقة القنفذة، ومنطقة الليث، وبلاد غامد وزهران (مع منطقة بلاد عسير كلها) ومنطقة الطائف، هذه المناطق دعاها ارض يهوذا، وعبر عن هذا الاسم (يهوذا) بأنه كان اسما جغرافيا قبل ان يصبح اسما لقبيلة من بنى اسرائيل، وقال - ص ١٥٥ -: (بأن صيغته العربية مشتقة من (وهد) بمعنى المنخفض).

وقال فى المقدمة التى خصصها للطبعة العربية - ص ١٢ -: (بأن بنى اسرائيل الشعب الذى كان يعرف بهذا الاسم زال من الوجود، ولم يعد له أثر بعد أن انحلت عناصره وامتزجت بشعوب اخرى فى شبه الجزيرة العربية وفى غير شبه الجزيرة- أما اليهودية فهى ديانة كان بنو اسرائيل اول من دان بها ولن يكونوا وحدهم، وما زالت هذه الديانة منتشرة بين شعوب لا تمت الى بنى اسرائيل بصلة).

بل قال ما هو اغرب من ذلك بالنسبة لبنى اسرائيل حين بدأ بتعريف موضوع هذا الكتاب - ص ١١ -: (بحث فى جغرافيا التوراة على اسس جديدة، وخلاصته ان البيئة التاريخية للتوراة لم تكن فى فلسطين، بل فى غرب شبه الجزيرة بمحاذاة البحر الأحمر، وتحديدا فى بلاد السراة بين الطائف ومشارف اليمن، وبالتالى فان بنى اسرائيل من شعوب العرب البائدة، اى من شعوب الجاهلية الأولى، وقد انتشرت الديانة اليهودية بين ظهرانيهم، ثم انتشرت من موطنها الأصلى الى العراق والشام ومصر وغيرها من بلاد العالم القديم).

□ **انه كتاب يحدث الرهبة ولكن...!!**

هذا الكتاب كما يبدو من عنوانه يحاول هدم كثير من الأفكار الدينية التى قامت على اسس ثابتة قوية لا بالنسبة للمسلمين وحدهم بل لغيرهم من ذوى الأديان الأخرى، والمؤلف نفسه يدرك هذا حق الادراك، فيقول - ص ١٤ - من المقدمة التى كتبها للطبعة العربية:
(وقد تبدو مقولة الكتاب فى منتهى الغرابة للوهلة الأولى فقط بالنسبة الى اليهود والمسيحيين الذين اعتادوا على الفكرة بأن ارض التوراة هي فلسطين، بل ايضا بالنسبة الى المسلمين الذين اخذوا هذه الفكرة عن اليهود والمسيحيين). ثم يضيف: (والواقع هو ان القرآن الكريم يقول بكل وضوح ان مقام ابراهيم كان بمكة - سورة آل عمران ٩٦، ٩٧ - وليس هناك فى النص القرآنى ما يشير الى أية علاقة بين بنى اسرائيل وارض فلسطين).

□ **منهجه فى البحث والدراسة:**

ثم يسترسل محاولا أن يجد فى القرآن الكريم ما يستدل به على وجود بنى اسرائيل فى غرب شبه الجزيرة، ويحيل الى الفصل السابع من الكتاب حيث يتكلم عن الأردن باعتبار الكلمة لا تعبر عن نهر ولكنها مشتقة من اصل عربى من معانيه الحرف الناتى من الجبل.

ثم يورد نصوصا من كتاب «العهد القديم» - التوراة - وردت فيها اسماء اماكن عبرية يطبقها بعد تحويرها وتغيير بعض حروفها نطقا او تقديما أو تأخيرا الى اسماء عربية لمواضع واقعة فيما خلص اليه من بحثه حول الأردن - وهي الطريقة التى اتخذها اساسا فى جميع آرائه الناتجة عن دراساته لأسماء المواضع من حيث المقابلة بينها، وان لم تتفق لفظا فانه يحاول ايجاد الذرائع التى تقارب بينها.

ومن ذلك انه وقد خصص فى اول الكتاب فصلا بعنوان (ملاحظات لغوية) تحدث فيها عن الأبجديتين العربية والعبرية وأنهما تشتركان فى

(٢٢) حرفا، عاد فذكر ان من الحروف العبرية ما يقابله فى العربية عدد من الحروف مثل:

حرف (د) يقابله فى العربية: (ذ،ز، ت،ض،ظ).

وحرف (ز) يقابله فى العربية: (ذ، ص،ض،ط).

وحرف (ص) يقابله بالعربية: (س،ض،ز،ظ).

وحرف (ق) يقابله بالعربية: (ج، غ،ك).

وهناك حروف عبرية لها نطقان بالعربية.

ومن هنا فقد اتسع امامه مجال محاولة التقريب بين اسماء المواضع العربية والعبرية، فاذا لم يكن الاسم منطبقا من حيث الحروف التى تتفق فيها اللغتان، فلا مانع من البحث عن حرف من الحروف التى قد تستبدل بغيرها لتقارب مخرجى الحرفين.

بل قد يلجأ فى بعض الأحيان الى طريقة اخرى هي طريقة القلب والتقديم والتأخير فى حروف الاسماء، كما فعل فى الكلام على اسم (فوط) اسم امة فى التوراة من ابناء حام، فقد قرر انه قلب فأصبح (الطائف) ـ ص ٢٤٨ ـ.

وبهذه الوسائل اصبح من السهل للمؤلف فى دراسة الاسماء ومحاولة تطبيق العبرى منها على العربى ألا يعجزه الأمر فى أي اسم من الأسماء التى اراد مقابلتها.

وبصرف النظر عن هذه الطريقة التى قد تكون الى السذاجة اقرب منها الى الدراسة القائمة على اسس صحيحة من العلم، مما سأحاول الاشارة بذكر نماذج منها.

ولم يقف مؤلف الكتاب فى دراسته عند محاولة التطبيق بين ما قرأ فى التوراة العبرية من اسماء المواضع على ما عرفه من أسماء مواضع فى بلادنا اطلع عليها فى مؤلفات منها: «المعجم الجغرافى للمملكة العربية السعودية» الذى اشترك فى تأليفه حمد الجاسر وعبدالله بن خميس

ومحمد بن احمد العقيلى وعلى بن صالح الزهرانى، و «معجم قبائل المملكة» لحمد الجاسر، وبعض مؤلفات الاستاذ عاتق بن غيث البلادى وغيرها، بل سافر الى بلاد عسير فزار كثيرا من مناطقها واجتمع ببعض الأخوة الذين عنوا بالكتابة عنها مستعينا بآرائهم ومعرفتهم بأسماء المواضع فى تلك النواحى.

وليس معنى هذا ان المؤلف كان موفقا فى استنتاجاته التى حواها هذا الكتاب وانما المراد بيان الطريقة التى سار عليها فى تأليفه.

□ **فما هو موقفنا من تلك الآراء؟**

لا شك أن جُل ما أبداه المؤلف فى هذا الكتاب من افكار وآراء يصادم النصوص الصحيحة الصريحة التى ندين بها ـ ونعتقدها حقا فيما يتعلق منها بتفسير القرآن الكريم مما له صلة بتاريخ بنى اسرائيل، مع مصادمته ما عرف عن علماء التوراة «العهد القديم» من تفاسير لنصوص ذالك الكتاب، وخاصة ما نقله سلفنا الصالح من علومهم فى جُل مؤلفاتهم فى التفسير والتاريخ وغيرهما.

فكيف نقف من كتاب بهذه الصفة؟! أنقابله بعدم الاكتراث والاهتمام؟!

أم تدفعنا شدة التأثر مما فيه من آراء لا نرتضيها ولا نقبلها الى مجانفة السير فى المنهج العلمى إزاءه؟.

- وأي جدوى لهذين الأمرين؟!

إن ما أراه وأحب أن يشاركنى فيه كلَ قارىء هو ان هذا الكتاب لا ينبغى أن يحدث فى نفوسنا من الاثارة نحوه أو نحو مؤلفه ما أثارته بعض المقتطفات التى نشرتها الصحف العربية حول موضوعه، بل ينبغى ان نقابل تلك الآراء بالسير على النهج العلمى الصحيح فنقرأه بتجرد من كل ما لا يهدف الى الوصول الى ما هو حق، ثم بعد استيعابه قراءة وفهما نوضح ما استطعنا الى التوضيح سبيلا اوجه الخطأ فيما

تبين لنا أنه خطأ، فالمؤلف يقرر فى مقدمة كتابه ـ ص١٩ المقدمـة ـ: (اقتنعت بضرورة وضع هذا الكتاب وطرح مقولته علنـا حتى تثبت صحتها او لا تثبت عن طريق الأخذ والرد) ويضيف: (ومهما كان الأمر بالنسبة الى صحة مقولة هذا الكتاب على وجه العموم فلا بد أني وقعت فى اخطاء كثيرة فى التفاصيل.. وجُل ما فى الأمـر أني اجتهدت قـدر الامكان فى دراسته وليس بالضرورة أن يكون كل مجتهد مصيبا).

هذا بالنسبة لآراء الكتاب التى ليس من الحكمة أن تحدث شيئا من الرهبة فى نفوسنا كما بدا واضحا فى كتابة بعض من تناولوا تلك الآراء بالنقد، ولا داعى للبحث عن اسباب تهويلهم الأمر، ومبالغتهم فى آثاره، ومحاولة بعضهم البروز أمامنا بأنه فارس الميدان لمصاولة هذا العدو الذى طلع علينا بآرائه ليهدم عقيدتنا، وليوجد لأعدائنا من الوسائل ما يمكنهم اتخاذه حجة وذريعة، الى غير ذلك من الأمور التى هي أليق بمداعبة غرائز الأطفال منها الى مخـاطبة من يتصفـون بصفات من الفهم والمعرفة وادراك حقائق الأمور على وجهها الصحيح.

لقد سمعت احدهم يتحدث قائلا: ان هذا الكتاب يجب ان تحول الدولة دون انتشاره بأية وسيلة من الوسائل.

وقد عجبت من رأيه هذا، إذ مما يدرك بداهة أن (كل ممنوع متبوع) ولن يعدم الراغب فى انتشاره ولا سيما من كان مدفوعا الى ذلك بدافع مادى أن يكون اطول نفساً ممن يحاول الاستحواذ على ما طبع وانتشر من نسخ الكتاب.

وإننى لأذكر أن كتابا من الكتب التى ما كان سيلقى لها بـال لو تركت، وما كان ثمن النسخة من ذلك الكتاب تزيد عن بضعة ريالات، وما كان قراؤه فى ذلك الوقت سوى فئة قليلة من الناس، ولكن ما إن صدر أمر المنع حتى بلغ ثمن النسخة الواحدة من ذلك الكتاب مئات الريالات، وحتى اصبح قراؤه من الكثرة على درجة من الغرابة.

قد يقال: إن انتشار الأفكار التى لا تتفق مع معتقداتنا وأفكارنـا الصحيحة قد تؤثر بيننا على من لم يبلغ بهم مستوى التفكير الى درجة النضج، والتميز بين الصحيح وغيره، وهذا أمر لا يمارى فيه، ولكن هناك ما هو أجدى من حيث الحيلولة دون التأثر بأي فكر غير مستقيم هو أن نوضح عدم استقامة هذا الفكر، لا أن نحـاول الحيلولة دون انتشاره، فهذا أصبح من الأمور الصعبة ان لم يكن مستحيلا فى زمننا، اذ وسائل انتشار الأفكار اصبحت من القوة بحيث لا يستطاع الوقوف أمامها.

□ **وموقفنا من المؤلف..!؟**

ثم لماذا نسيىء الظن بمن لا تتفق آراؤنا بآرائه، فليست المخالفة فى الرأي دائما عن عدواة وليس كل مخالف يعتبر على غير حق.

ان الدكتور كمال سليمـان الصليبى وقد عـرفنا منـزلته فى العلم اوضح فى كتابه ان الغاية من تأليفه هي غاية علمية بحتة، وأن الغرض منه توضيح غوامض التاريخ (التوراتى) عن طريق اعادة النـظر فى خريطة التوراة، وقد يستنتج القارىء من الكتاب أن يهود اليـوم لا حقوق تاريخية لهم فى ارض فلسطين، ثم زاد الأمر إيضاحا حين قال - ص ١٣ المقدمة -: (والصحيح ان الحقوق التاريخية للشعوب تزول بزوالها فيهود اليوم ليسوا استمرارا تاريخيا لبنى اسرائيل وذلك سواء أكانت أرض بني اسرائيل أصلا فى فلسطين أو فى غير فلسطين).

إذن فالغاية كما أبداها المؤلف علمية خالصة لوجه العلم، ولا تمت الى واقع العصر الحاضر بصلة إلا بقدر ما فى المقولة بطبيعة حالها من دحض للمفهوم الصهيونى المغلوط للتوراة، وهو مفهوم تتبناه اليوم فئة كبيرة من اليهود، ويتبعهم فى ذلك الكثيـرون من جهلة المسيحيين فى الغرب - كذا قال المؤلف.

والمؤلف نفسه هو احد العلماء الذى بلغ من تقديرنا لهم أننا دعوناه

لحضور احد محافل العلم فى اقدم جامعة عندنا فاستجاب للدعوة، وشارك فيما دار فى ذلك المحفل من ابحاث،وآراء، وقبلنا شاكرين له مشاركته، ونشرناها فى منشورات تلك الجامعة، ثم اتحنا له فرصة الذهاب الى الجهة التى خصص كتابه لدراسة مواضعها حتى توصل الى النتيجة التى قدمها لنا فى كتابه، فنحن إذن قد هيأنا لهذا الاستاذ من الوسائل ما ينبغى ان يكون ذريعة لنناقشه آراءه، ولنوقفه على اخطائه، لا ان نقف من عمله موقف الحائر خوفا ودهشة، من امر لا حقيقة له.

لقد اتيحت لنا الفرصة قبل نشر الكتاب ان نبدى ما نراه حياله وبصرف النظر عما حدث بعد ذلك، فالدار التى نشرته فيما يظهر اقدمت على ما ارادت فكان أن نشر بخمس لغات تهيىء للقراء فى جميع انحاء العالم ان يطلعوا على ما يحويه من آراء، فلم يبق أمامنا إلا أن نطلع من اراد الاطلاع منهم على ما نراه نحوه بالاسلوب العلمى الصحيح.

ثم ما الذى يخيفنا من الآراء التى لا تقبلها عقولنا؟! ان أى رأى كان سواء قبلناه أو رفضناه إن كان صحيحا فسيمكث ويبقى، ويأخذ طريقه فى الانتشار فى هذه الحياة، وان كان غير صحيح فلن يكتب له البقاء مهما عزز ونصر بأية قوة من قوى العالم. وكم من آراء اريد نشرها بمختلف الوسائل ولكنها لم تنتشر بل زالت وماتت بموت معتنقيها والقائلين بها ومحاولى نشرها.

□ لم يأت الدكتور الصليبى بجديد.. ولكننا لا نقرأ!!

ما كان الاستاذ الدكتور كمال الصليبى بتأليفه كتاب «التوراة جاءت من جزيرة العرب» بأول من أتى بهذا الرأى، فقد سبقه غيره من بعض المستشرقين، فهناك المستشرق الهولندى المشهور دوزى رينهارت بيتر ان دوزى Reingary Pieter Anne, Dozy ١٢٣٥ ـ ١٣٠٠هـ

(١٨٢٠ ـ ١٨٨٣م) ـ الذى يعد من كبار المهتمين بالدراسات العربية، وله آثار معروفة من اشهرها المعجم الذى خصصه للكلمات التى لم يجد له ذكرا فى المعجمات العربية اللغويـة، وله دراسات عن تـاريخ المسلمين فى اسبانيا وعن ملوك الطوائف وغيرها، كما نشر بعض الكتب العربية، ومن مؤلفات هذا المستشرق كتاب يتعلق باليهـود وصلتهم ببـلاد العرب Dir ISRAELITEN ZU MEKKA أتى فيـه بـآراء هي من الشذوذ والخطأ بدرجة تحمل على التحاشى عن ذكرها.

أما عن الوطن الأصلى لبنى اسرائيل وانه كان فى جنوب الجزيرة، فالمستشرق الانجليزى المعروف مرجليوث (دافيد صمويل مرجليوث David Samuel Margoliouth ـ ١٢٧٤ ـ ١٣٥٩هـ. (١٨٥٨ ـ ١٩٤٠م) ـ الذى يعد من كبار المستشرقين وعنى بنشر مؤلفات عربية كـ «معجم الأدبـاء» لياقـوت و «الأنساب» للسمعـانى، و«حماســة البحترى» و «رسائل المعرى» وغيرها.

هذا المستشرق له كتاب باللغة الانجليزيـة عنوانـه «العلاقـة بين العرب والاسرائيليـين قبل ظهـور الاسلام Relation Between Araps & Israelites Prior of the rise of Islam. ذهب فيه الى ان الوطن الأصلى لبنى اسرائيل كان ببلاد اليمن، واستدل على رأيه بأدلة منها وجود الفاظ كثيرة مشتركة بين اللغتين السبئية والعبرية، ومنها الشبه العظيم بين بعض العادات الاجتماعيـة والأخلاق الدينيـة عند أهـل سبأ وبنى اسرائيل.

ولكن آراء هذا المستشرق قوبلت بالنقض والرفض من العلماء من المستشرقين وغيرهم. ومعروف ان هذا المستشرق مع سعة اطلاعـه وتعمقه فى دراسة كثير من احوال العرب لم يكن فيما كتب مخلصـا للعلم، كما اشار الى ذالك الاستاذ خير الدين الزركلى ـ رحمه الله ـ فى ترجمته فى «الاعلام».

وهذا المستشرق هو الذى كتب عن الشعر الجاهلى الكتـابة التى استقى منها الدكتور طه حسـين بعض آرائه فى كتـابه عن «الشعـر الجاهلى».

لقد ماتت آراء المستشرقين المذكورين بموتهما، وهكذا كل رأي لا يستند الى اساس علمى (فاما الزبد فيذهب جفاء وأما ما ينفع الناس فيمكث فى الأرض).

ولكن هل لنا أن نتساءل: من مِنْ علماء جامعاتنا السبع ـ وفى جُلِّها اقسام للدراسات التاريخية والجغرافية ـ قرأ كتاب الدكتور الصليبى فى طبعته الانجليزية التى سبقت طبعته العربية؟!

ثم مَنْ مِنْ اولئك من تصدى لتزييف الآراء الباطلة فى ذالك الكتاب ونقضها بأدله قائمة على اسس من العلم والمنطق القويم؟!

وإذا لم يُعْنَ اولئك العلماء بالتصدى ـ بكل ما وهبوا من علم وسعة إدراك ـ لما يُحْدِثُ بلبلة فى الأفكار العامة فمن الذى يعني بهذا؟!

إن (خدمة المجتمع) التى هي هدف المؤسسات العلمية العالية ـ ومنها الجامعـات ـ عليها أن تعنى أول مـا تعنى باستقـامة الفكـر، وتوجيهه وجهة الخير والصلاح، ومن ذلك صيانته عن الانحراف أو التأثر بالآراء الباطلة.

وما حاجة مجتمع تقوم على اساس التنافر فى اتجاهاتها بسبب ما مُنيت به من تبلبل الأفكار، وضعفها، واختلاف نظراتها الى مقومات الحياة فى هذا المجتمع؟!.

□□□

أدلة كمال الصليبي حول أصل اليهود عبث صبياني

المستشرقون سبقوه الى تشويه الحقائق الراسخة

من المعروف ان الدكتور كمال سليمان الصليبى، رئيس قسم التاريخ فى جامعة بيروت الأمريكية، اصدر قبل سنتين كتابا بعنوان «التوراة جاءت من جزيرة العرب» قدم فيه فرضية تاريخية خلاصتها ان البيئة التاريخية للتوراة لم تكن فى فلسطين بل في غرب شبه الجزيرة العربية بمحاذاة البحر الأحمر، وتحديدا فى بلاد السراة بين الطائف ومشارف اليمن، وبالتالى فان بنى اسرائيل من شعوب العرب البائدة، اي من شعوب الجاهلية الأولى. وهي فرضية اثارت، وما تزال، تثير ردود فعل كثيرة مختلفة، عربية وعالمية.

يقول الدكتور الصليبي فى مقدمة كتابه ان اساس كتابه هو المقابلة اللغوية بين اسماء الأماكن المضبوطة فى التوراة بالحرف العبرى، واسماء اماكن تاريخية أو حالية مأخوذة إما عن قدامى الجغرافيين العرب، أو عن المعجم الجغرافى للمملكة العربية السعودية الذى قام بجمعه عدد من العلماء السعوديين على رأسهم الشيخ حمد الجاسر.

الشيخ حمد الجاسر، كما هو معروف، عالم جغرافى ومؤرخ عربى كبير، له مكانة علمية بارزة سواء داخل المملكة العربية السعودية أو فى العالم العربى، وهو صاحب عدة مؤلفات هامة، بالاضافة الى رئاسته لتحرير مجلة «العرب» السعودية التى تعنى بتاريخ العرب

وآدابهم وتراثهم الفكرى. لذلِك كان من الطبيعى ان نقصد الشيخ حمد الجاسر، فى دارة العرب، بالرياض، وان نسـأله عن رأيه فى فـرضية الدكتور الصليبي هذه. الشيخ حمد الجاسر، العالم الكبير الرصين، يدحض هذه الفرضية دحضا كاملا موثقـا بأدلة كثيـرة، ويعتبر ان الدكتور الصليبى لم يأت بجـديد حقيقى من جهـة، اذ سبقه بعض المستشرقين الى مثلها، كما أن ما تقوم عليه فرضيته من اسس بينها المؤرخ اللبنانى فى كتابه، يجعلها مجرد اجتهاد تاريخى خاطىء من اساسه.

قال الشيخ حمد الجاسر لـ «الحوادث»: من المعروف ان التاريخ العربى على وجه الاجمال لم يبدأ تشكيله وتدوينه إلا فى آخر القـرن الثانى الهجرى، ومن المعروف ايضا أن الأمة العربية من اقدم الأمم، وانها سبقت عصر تدوين التاريخ بقرون عديدة جدا، وان هنـاك من الأمم التى تنتمى الى العنصر العربى من لا نعرف من تاريخها سوى لمحات يسيرة موجزة نجدها فى الكتب الدينية كالقرآن الكريم والتوراة والكتب التى ألفها علماء من غير العرب واشاروا فيها الى شيء من اخبار العرب.

هذه الأمم القديمة لم يأت الينا من تاريخها إلا اليسير حقـا. ولهذا فليس من الممكن ان يحاط بتاريخها، وليس من الممكن ان يقال بأننا نعرف عنها ما نحتاج الى معرفته، حقا علماء الآثار في عصرنـا الحاضر عُنوا بالتنقيب واهتدوا وتوصلوا الى اسس قويـة ذات صلة بتاريخ تلك الأمم، ولكن ما توصلوا اليـه ايضا لا يعـطينا الصـورة الواضحة عن حياة من اكتشفت اخباره وعرفت من الأمم البائدة.

قد يجود الزمن فيأتى من يتمكن بوسائل بحث عميقة وشاملة ويقدم للباحثين من اخبار العرب الأولين ما يلقى اضواء على تاريخ الأمة العربية في ماضيها. وأنا لا اعتقد أن مـا يقال عن الأمـة العربيـة،

وخصوصا فى المصادر التاريخية التى وصلت الينا من انها أمة كانت على درجة الفوضى والتناحر والتعادى والتقاتل لأتفه الأسباب. لا اعتقد ذلك لأننا ادركنا مما عثر عليه فى كثير من الجهات ان من تلك الشعوب العربية من له فى الحضارة يد ووُجِدَ شيء من آثارها.

ثم هناك أمر آخر، كثير من علمائنا لغيرتهم الاسلامية، أحبوا ان يضفوا على الدين الاسلامي، وهو جدير بذلك، كل فضيلة. ومن أثر ذلك أنهم حاولوا ابراز الأمم التى سبقت عصر الاسلام بصورة لا اقول ان فيها شيئا من التشويه، ولكن فيها شيء من عدم الصحة.

القول بأن الأمة العربية قبل الاسلام كانت أمة همجية، او انها أمة تئد بناتها، وتقتل اولادها خشية الفقر، هذا وان وجد شيء منه لدى بعض القبائل الضعيفـة حقا، او لدى بعض الأفـراد، قول ليس من العدل ولا من الحق ولا من المنطق أن نعتبره عاما شاملا، وقل مثل ذلك فى كثير من الأمور التى نسبت الى الأمة العربية بالاجمال. الباحثون ليس لديهم الآن من المصادر الصحيحة الموثوق بها، ما يمكنهم من ادراك صورة متكاملة واضحة عن حياة العرب قبل الاسلام، وليس من المستبعد أن يأتى الوقت الذى يمكن العلم الحديث من ايجاد وسائل تمكن من معرفة شيء من ذلك التاريخ الذى نتشوق اليه.

بعض الباحثين فى عصرنا حاولوا ان يأتوا بأشياء عن التاريخ القـديم للعـرب. ولكن محـاولاتهم بنيت عـلى أسس لا يثبتهـا العلم الصحيح. من هؤلاء الباحثين الدكتور كمال الصليبي.

الدكتور كمال سليمان الصليبى لا احد ينكر انه عالم وباحث وله منزلته بين المعنيين بدراسات التاريخ العربية. ولكن الفكرة التى أتى بها فى كتابه، وهو كتاب «التوراة جاءت من جزيرة العرب»، فكرة تقوم على اسباب ضعيفة جدا. الدكتور الصليبى ليس عالم آثار لكي يقول بأنه اكتشف بعلمه ما لم يكتشفه الآخرون، وليس عـالما متبحـرا في

اللغتين العربية والعبرية لكي تصدق أراؤه حول مقارنة الأسماء التى أتى بها في كتابه. هو يعترف بأنه درس اللغة العبرية دراسة قصيرة جدا. ولأسباب خاصة اوضحها فى مقدمة كتابه. اذن هو لم يتمكن من دراسة تلك اللغة الدراسة التى تمكنه من ادلاك اسرارها ومن إدراك عمق الصلة بينها وبين اللغة العربية.

من المعروف ان اللغتين العربية والعبرية تنتميان الى الأصل السامى، وان الصلة بينهما عميقة جدا، ولكنى لا اعتقد أن الدكتور الصليبي من علماء اللغات الذين تمكنوا بواسطة معرفته للغتين من الوصول الى حقائق ونتائج لم يستطع الوصول اليها غيره. هو أتى بآراء لا تنحصر فى كون الاسرائيليين كانوا يعيشون فى جنوب الجزيرة، بل أتى بما هو أهم من ذلك. ذلك الذى أتى به يقضى على كل آراء المؤرخين، من متقدمين ومتأخرين، بل يقضى على جميع النصوص التاريخية التى وصلت الينا سواء وصلت من طريق الكتب الدينية، أو من طريق الباحثين، أو من طريق علماء الآثار، أو من طريق علماء الجغرافيا، أو غيرهم من العلماء. انه فى كتابه هذا يزعم أن جميع اجناس البشر المذكورين في التوراة، كلهم بلا استثناء، كانوا أتوا من جنوب الجزيرة. فهو يهدم بذلك كل التاريخ الذى بين أيدينا.

بل ليته أيّد هذه الآراء بأدلة تقنع، لكن الاستاذ الدكتور الصليبي أتى بأدلة هي الى العبث الصبيانى أقرب. يأتى الى موضع يسمى مثلا «الفرعة»، فيقول هذا هو فرعون الوارد خبره فى التوراة وفي القرآن. يأتى الى موضع يُسمى «خربان»، فيقول هذا هو الموضع الذى اسمه حبرون وفيه قبر ابراهيم. فإذن قرية حبرون المعروفة فى فلسطين ليست صحيحة، وانما هو خربان الواقع فى بلاد عسير، يأتى الى موضع يسمى «الجنينة»، قرية حقيرة ضعيفة جدا، ويقول: هذه الجنينة اذن هي الجنة التى استقر فيها آدم وأُخرج منها. يأتى الى خبر ورد فى

التوراة وفى القرآن الكريم عن أن أنهار الجنة الأربعة سيحون وجيحون والفرات والنيل؛ فيقول هذا هو وادى تبالة وهذا هو وادى بيشة، الى غير ذلك. يأتى الى خبر البحر الذى خاضه الاسرائيليون كما ورد فى التوراة وفى القرآن، فيقول انه ليس نهرا بالمعنى الحقيقى وانما هو واد من الأودية المعروفة فى جنوب الجزيرة.

هذه اشياء اقرب الى مداعبة الأفكار للاضحاك وللتسلية، وليست من الأمور التى يمكن للعلماء ان يتخذوها اسسا صحيحة، كنت أتمنى، ويتمنى كل انسان من اهل هذه البلاد أن تكون آراء الدكتور الصليبى بالنسبة الى بلادنا صحيحة لأنها تزداد بذلك مفخرة، وتعلو شرفا، عندما يُنسب اليها النبي سليمان أو داود أو غيرهما، أو تنسب اليها كل الأخبار الواردة فى التوراة. هذا مما يزيد هذه البلاد رفعة، ولكن فرق بين التمنى وبين الواقع.

وبالاجمال كتاب الدكتور الصليبي مبنى على اوهام مع الأسف الشديد، أنها لا تصل الى افكار العلماء التى يمكن للانسان ان يجد فيها من الاقناع ما يجعله يميل الى الأخذ بها أو حتى مناقشتها.

اريد أن أقول لك ايضا أن أساس فكرة الدكتور كمال سليمان الصليبي ليست حديثة، بل أتى بها قبله مستشرق مشهور معروف لا بد وأن الدكتور الصليبي اطلع على آرائه لأنه من كبار الباحثين فى تاريخ العرب وآدابهم، هو المستشرق مرجليوت الانجليزى. مرجليوت هذا عالم أطال فى ما كتب وبحث ونشر، الاهتمام بتاريخ العرب وآدابهم، ونشر كتبا للتاريخ العربى. فهو أول من نشر كتاب «معجم الادباء» لياقوت، وأول من نشر كتاب «الأنساب» للسمعانى، ونشر قسما من كتاب المستجاد من فعلات الأجواد، وله فى نشر التراث العربى يد معروفة. ولكنه كان حاقدا على العرب، وله آراء ليست صائبة دفعه اليها تعصبه السيىء الشديد. هو له كتاب حاول فيه أن يثبت ان الموطن

الأول لليهود هو اليمن، ولكنه بني آراءه على اسس هي اقرب الى المعقول من الأسس التى بني عليها الدكتور الصليبي آراءه انه استدل بما اكتشف في اليمن من آثار قديمة، من الآثار الحميرية وغيرها، استدل من تشابه الاسماء الموجودة على الأحجار بالاسماء العبرية. ولكن رأيه قابله العلماء فى عصره، أي قبل خمسين سنة، من مستشرقين ومن علماء اليهود وغيرهم، بالسخرية حتى ماتت فكرته فى مهدها.

ففكرة الدكتور كما الصليبي وانه أتى بأفكار وآراء تتعلق بالتاريخ القديم، غير التاريخ المعروف، لو كانت مبنية على اسس من العلم الصحيح، لكانت فتحا عظيما فى تاريخ العرب وفى تأريخ هذه البلاد. ولكن مع الأسف الشديد، لم تصل بعد الى درجة من الاقناع والقبول لتفاهة او لضعف الأدلة التى اتى بها الدكتور الصليبى فى كتابه «التوراة جاءت من جزيرة العرب».

ويرى الشيخ حمد الجاسر ما يلي:

- ان الحديث عن بطلان آراء الدكتور الصليبي فى كتابه هذا ينبغى ان يقوم على اساس ما بنيت عليه تلك الآراء، لا الاستناد الى اقوال المؤرخين من قدماء ومحدثين لبيان ذلك، فما الكتاب فى جميع مباحثه سوى نقض لأقوال اولئك وتفنيد لآرائهم، وانصراف تام عن كل ما أتوا به مما يخالف ما استخلصه من نتائج تدور في جملتها حول اثبات ان نصوص جميع التوراة تتعلق بجنوب الجزيرة، وعلى هذا فيحسن الالمام بالنهج الذى سار عليه.

ان كل الآراء التى أتى بها المؤلف مبنية على اساس المقارنة بين الأسماء الواردة فى التوراة واسماء المواضع والعشائر أو الأسر المعروفة فى ذلك العهد، فى المنطقة التى اختصها بدراسته، فهى مبنية على قاعدة واحدة هي دراسة الاسماء من الناحية اللغوية.

ومن هنا فان مجرد عرضها يعتبر من اقوى الوسائل لايضاح تهافتها، اذ مجرد الاعتماد على تهافت الاسماء لم يكن يوما ما من طرق المعرفة التى تفضى الى ادراك الحقائق، وان اتخذ فى بعض الأحوال وسيلة لايضاحها..

- اختمرت فى ذهن الصليبى فكرة تطبيق جميع النصوص الواردة فى التوراة على القسم الذى حدده فى كتابه من اقليم عسير وما يتصل به. وقد ادرك ان هذا القسم الذى اختاره لتطبيق تلك النصوص على ما فيه من مواضع كثيرة قد لا يتسع لأن يكون مجالا لحوادث جرت فى امكنة تتصف بالسهولة والسعة والخصب، كالجنة التى وردت نصوص التوراة بأن آدم أب البشر عاش فيها حقبة من الزمن ثم أخرج منها فى قصة مفصلة فى الكتب الدينية واذا لم يجد الدكتور الصليبى ما يتمشى مع فكرته تلك من حيث تطبيق ما ورد عن جنة آدم فان هذا سيكون من الأمور التى تهدم كثيرا من افكاره.

ان النصوص السماوية تتفق على كون آدم عاش فى الجنة، ثم أخرج منها. ويقع الاختلاف بين مفسرى تلك النصوص فى موقع هذه الجنة هل هو فى السماء أم فى الأرض؟ وهل هذه الجنة هي التى وعدوا بها المتقون، أم وعدو بجنة غيرها؟

إن جمهور علماء المسلمين متفقون على انها فى السماء، وانها هي الجنة المأوى، وان منها أهبط آدم الى الأرض، ولكن من بين علماء المسلمين وغيرهم من مفسري التوراة من يرى بأنها كانت فى الأرض، وهذا يتفق مع نصوص التوراة التى فى ايدى علماء النصارى الآن.

فى وصف تلك الجنة ورد فى كتاب العهد القديم ما يفيد وجود اربعة انهار فيها هي فيشون وجيحون وحداقل والفرات حسبما نقل الصليبى عن ذلك الكتاب «سفر التكوين»، وهو وصف لا يختلف كثيرا عما عرفه المسلمون ومؤرخوهم، ومن اقدامهم ابن قتيبة عبدالله بن مسلم..

هذه الجنة الموصوفة لا بد ان تكون من السعة بحيث تتسع لهذه الأنهار، فأين موقع هذه الجنة من تلك البلاد التى تكثر فيها المرتفعات وشعاف الجبال وشعابها الضيقة، وتقل فيها السهول الفسيحة التى تصلح لأن تكون جنات تجرى من تحتها الأنهار؟

استطاع الصليبى العثور على هذه الجنة من قبيل المصادفة حين قرأ كلاما للمستر فلبى (الحاج عبدالله فلبى) في كتابه (Arapian highlands.pp.29 — 31 وما دام فلبى وصف هذا الموضع فى الكتاب الذى خصصه للحديث عن مرتفعات البلاد العربية وسماه (جنة عدن) فلماذا لا يكون هو الجنة بعينها، ولا سيما ان اسمه يتفق مع الطريق التى سار عليها الدكتور باخضاع الاسماء لما اختمر في ذهنه من المعانى والأفكار عن تلك البلاد؟

بواسطة كتاب الحاج عبدالله فلبى تمكن الدكتور الصليبى من فتح مغلق من اسرار موضوعة بايجاد موضع يحمل اسما لا يعنى المؤلف ان كان مطابقا لما في كتاب (العهد القديم) أو مخالفا له، ولكنه على كل حال له ارتباط بالجنة. اية جنة هي؟

ويبقى على الدكتور تفسير النصوص الواردة فى العهد القديم وان شئت فقل: قسر تلك النصوص لتنطبق على ما اهتدى اليه او هداه اليه النص الذى ورد في كتاب فلبى، وهو نص ابعد ما يكون عن المعنى الذى اراده الصليبى.

ففلبى وصف قرية صغيرة تدعى (الجنينة) واقعة فى منتهى العمران من وادي بيشة، بتلك الصفة لأنها بالنسبة الى ما يليها من الصحارى القاحلة والبرارى الخالية من مظاهر الحياة تعتبر جنة، ولأن فلبى قبل وصوله اليها ادركه من السأم من جراء قطع المساحات الشاسعة الخالية من العمران فى جنوب الجزيرة بحيث تنسم الصعداء حين ابصر خضرة النخيل فى هذا الموضع الذى يعرف باسم (الجنينة)

ومن ثم وصف الموضع، بالنسبة لحالته، بأنه جنة عدن.

ولكن الدكتور الصليبى يوجد لذلك الموضع انهارا قد تكون من نسج الخيال حين يحاول تطبيق اسماء الأنهار الواردة في كتاب العهد القديم على مجارى سيول واقعة فى منطقة بيشة وما حولها.

وبعد ان يفصل الشيخ حمد الجاسر ما وقع فيه الدكتور كمال الصليبى من تعسف فى التطبيق، يقول:

وهكذا حاول الدكتور الصليبى تطبيق النص الذى قرأه فى سفر التكوين: «وغرس الرب جنة فى عدن شرقا ووضع هناك آدم» وقال: ان نص الأصل: «الله يهوه جن» ثم طبقه على قرية (الجنينة) التي وصفها بأنها لا تعتبر جنة بمقاييس عصرنا الحاضر، ولكنها جنة بالنسبة الى ما يليها من البرارى القحلة واستدل أن فلبي فى كتابه المذكور سماها جنة عدن، ولم يأت فى الفصل الذى خصصه لهذا الموضوع بأكثر من ايراد النص من «سفر التكوين» ووصف فلبى، والاستدلال بأن كتبة التوراة كانوا يعيشون فى بلاد السراة وما يليها غربا من جبال تهامة، فهى فى رأيه تقع شرقهم، وخلص الى ما يشبه الجزم بأن «جن» فى العبرية القديمة المعبر بها عن الجنة تطابق اسم (الجنينة) التى تقع شرقا بالنسبة لمن يكون فى السراة.

ولكن ألا يحق لنا ان نوجه هذا السؤال: ولم تخصيص هذا الموضع، وهناك مواضع كثيرة يطلق عليها اسم (الجنينة) تقع شرق السراة، وبمعنى ادق، بمواقع مماثلة من حيث النسبة السراة لموقع (الجنينة)؟

هناك مثلا (الجنينة) موضع من حرة خيبر مطل على وادى الحناكية (نخل قديما) من الشمال، وهذا الموضع متصل بمنطقة عرفت فى القديم بأن من بين سكانها يهود، ثم هو فى الوقت نفسه ليس بعيدا عن موضع يسمى (عدنة) يقع شرقى الحرة شمال وادى الرمة، وهو

بالنسبة لمن فى سراة بلاد عسير يماثل موقع الجنينة من حيث الجهة؟
ومن المواضع ايضا:
الجنينة روضة فى نجد بين ضرية وحزن بنى يربوع.
والجنينة صحراء باليمامة.
والجنينة قرب وادى القرى.
والجنينة فى عقيق المدينة
والجنينة ثنى من وادى التسرير.
والجنينة من قرى أجا.

ومعروف من الناحية اللغوية ان الجنينة فى الأصل وصف مشتق من الجنة التي هي الحديقة والبستان، ثم اصبح من الأسماء المألوفة التى يكثر استعمالها قديما وحديثا.

هذا بصرف النظر عن كون الجنينة التى هي من قرى بيشة ليست فى متسع من الأرض، وليس لها من صفات الجنة ما يميزها على غيرها. والأوصاف الواردة فى التوراة عن (الجنة) تبرزها مكانا يحله اصناف من الخلق وهو ذو انهار واشجار كثيرة.

وقال الدكتور حمد الجاسر:

- ما أكثر ما يفوت الدكتور الصليبى في استنتاجاته مراعاة الفارق الزمنى بين اسماء وردت فى التوراة قبل خمسة وعشرين قرنا وأسماء حديثة لا ترقى الى اكثر من مئات السنين.

كما يفوته عدم التفريق بين اسماء مواضع ثابتة واسماء عشاير هي عرضة للتنقل من امكنتها كما حدث مثل هذا لكثير من فروع القبائل التى تسكن تلك المنطقة ومنها: العواسج الذين كانوا يحلون ببلدة جرش ثم انتقلوا الى وادى ابن هشبل، وعشيرة شمران التي كانت في بلادها القديمة شرقى السراة جوار منازل عشيرة سنحان اختها فى النسب، ثم انتقلت الى اطراف السراة فى غرب بيشة.

ـ وحول كلمة «الفرات» احد انهار الجنة لاحـظ الشيخ حمـد الجاسر ان الدكتور الصليبى، فى كتابه، حين لا يجد اسما يتفق مع هذا الاسم فى الحروف ولا يقاربه، يجنح به الخيال الى كلمة (الطارفة) اذ يلمح فيها الاتفاق بالراء والفاء، وقد يلمح كون حروف التاء قد ينطق طاء. أما التقديم والتأخير بين الحروف فأمر قرره المؤلف من القواعد التى يسير عليها فى تحليل رموز كلمات التوراة التى لا تزال بحاجة الى تحليل، على ما يرى.

وفات المؤلف ان (الطارفة) ليست اسما وان تخيل انه يـطلق محليا على مراكز الامارات بمنطقة بيشة دون غيرها، وكـأنه ظن ان استعمال كلمة (الطارفة) خاص بهذه المنطقة، واذن فهناك علاقة بين (طرف) و(فرت).

والمعروف ان كلمة (الطارفة) من الاسماء التى يكثر استعمالها واطلاقها في بلاد نجد.

على اننى اريد ان اشير الى ان الأمل قوي بأن يتوصل العلماء الدارسون المنقبون عن الأثر فى الجزيرة، الى اشياء ذات اهمية وذات فائدة فى تاريخ العرب فى عهدهم السابق للعهد الاسلامى. ومن يدرى فقد يجود الزمن بمن يتوصل الى بعض الأفكار التى تعكس تاريخنا، وتجعلنا ننظر اليه نظرة اخرى غير نظرتنا هذه، ولا يضيرنا هذا شيئا متى ثبت لنا تاريخ صحيح.

قلت للشيخ حمد:

وكيف تفسرون الوجود اليهودى القديم فى شبه الجزيرة العربية؟

قال الشيخ حمد الجاسر:

ـ اولا: الديانة اليهودية ديانة تلائم طبيعة العربى. العربى الذى وجد في هذه الصحراء، من ابرز مميزاته الانطلاق والتحرر. فى العصور القديمة كان الانسان يقدس من هو اقوى منه، يقدس الأشياء التى يجهلها، يقدس النجوم، الشمس، الاحجار، يقـدس كل شىء يحبـه،

العربى فى صحرائه خلق عنده شيء من الحرية والتمرد على الأوضاع. الدين اليهودى يعطيه شيئا من ذلك لأنه يحرره من كل شيء الا قوة لا يدرى عنها هي هذه التي تتصرف فتنزل عليه الغيث وتحيي الأرض، وهذا السحاب وهذا المطر وهذه الشمس التى تخرج امامه، يحس بأن لها مدبرا عظيما. الدين اليهودى يثبت أن هناك إلها واحدا. فدين التوحيد الذى اتى به موسى انتشر عند العرب قبل الاسلام، ووجدت فئات وفئات من الناس تدين به، كما انه وجد آخرون يدينون بالوثنية، وآخرون لا دينيون، وآخرون بالديانة المجوسية. فليس معنى انتشار اليهودية فى جزيرة العرب انه انتشار للعنصر اليهودى. هناك مشاهير نجدهم فى التاريخ معدودين من اليهود ولكنهم ليسوا يهودا كالسموأل ابن عادية اليهودى صاحب القصيدة: اذا المرء لن يدنس من اللؤم عرضه... الى آخر القصيدة المشهورة. هذا السموؤال ازدى، من الأزد، من قحطان، ولكن الديانة اليهودية انتشرت وانتشرت فى جهات تيماء ووادى القرى، وصلاتها بالشام وصلاتها بفلسطين، فوجد هذا التأثر الدينى.

اذن ليس كل من تهود من العرب في العصر الجاهلى من عنصر يهودى. حقا وجدت بعض الشعوب التى تنتمى الى ذلك العنصر عندما اضطهد اليهود فى بلادهم، انتقلوا الى بعض النواحي فى بلاد العرب، فى جهات خيبر، وفى جهات المدينة، وفى وادى القرى، وفى تيماء. كما وجد اناس آخرون فى اليمن. ولكن هؤلاء كانوا بقلة، وهؤلاء كانوا ممتزجين مع العرب فى كل شيء ومن المعروف ان الشعب اليهودى اقرب الشعوب الى العرب. فاليهود بنو يعقوب بن اسحق بن ابراهيم، والعرب بنو اسماعيل بن ابراهيم. فالأصل هو واحد. لهذا ليس من الغريب ان يكون هناك تمازج واختلاط وتشابه. اللغة العبرية هي اقرب اللغات السامية الى اللغة العربية، وهذا شيء مدرك ببداهة ومعروف، وليست

الفكرة الآن فكرة يهودى وعربى، انما هي فكرة تعصب وعنصرية. هؤلاء اليهود فى عصرهم الأخير لا ينظر اليهم العرب نظرة كراهية او حقد، الا لأجل تعصبهم وكراهيتهم وعنصريتهم. ثم ان هؤلاء المدعين لليهودية ليسوا من العنصر السامى الذى يجتمع مع العرب، انما هم اناس آخرون ملفقون من مختلف الشعوب، وكما هو معروف فهم ينتمون الى عناصر مختلفة ومغايرة لاتجاه الفكر السامى، والعرب والعبريين ايضا.

قلت للشيخ حمد الجاسر.

كانت الجزيرة العربية فى العصور القديمة نوعا من خزان بشرى يفيض باستمرار شعوبا واقواما باتجاه بلدان اخرى كبلاد الشام وسواها. الفينقيون، والكنعانيون، وشعوب اخرى، كلها مصدرها شبه الجزيرة العربية. الا يعقل ان يكون العبريون فى عداد هذه الشعوب القديمة التى كان مصدرها شبه الجزيرة العربية؟

قال لي الشيخ حمد:

- اولا من المعروف ان العلماء الباحثين فى عصرنا اختلفوا فى الموطن الأصلى للساميين والساميون لا ينحصرون فى العرب ولا العبريين، بل يشملون عناصر اخرى كثيرة تجمعهم السامية. والسامية تعبير اقتبس من التوراة اذ التوراة تقسم اولاد نوح الى ثلاثة: سام وحام ويافث. فسام ينسبون اليه الساميين من عرب ومن عبريين ومن احباش ومن سريان الى آخر الاجناس الأخرى. اختلفوا حول الموطن الأصلى للساميين اين وجدوا. اين يوجد هذا، ولكن لعل من ارجح الأقوال ان الجزيرة كانت مهد الساميين ومنها انساحوا الى الأطراف، والأدلة على ذلك ان متتبع الموجات البشرية منذ ان عرف التاريخ العربى، يشاهد ان الجزيرة دائما تقذف بموجاتها الى جهة الشمال، تقذفهم الى العراق والى الشام والى مصر وهكذا، لاسباب كثيرة.

والجزيرة كما هو معروف محصورة، وكلما تكاثر فيها السكان، اضطروا الى ان يبحثوا عن امكنة يستطيعون ان يجدوا فيها ما يمكن ان يتكفل لهم بحياة وبمعيشة، فكانت الجزيرة تذخر بهذه الموجات الكثيرة.

الدكتور الصليبى بنى جانبا من فكرته على هذا، قال ان الاسرائيليين هم عرب فى الأصل وكانوا يعيشون وهناك انتقلوا فيما بعد ولكن فى العصور المتأخرة كما انتقل المصريون ايضا فى رأيه وانتقل السريان وانتقل الآراميون.. هذا له شىء من الصحة ولكنه هو لم يقتصر على هذه النقطة التى يميل اليها كثير من الباحثين.

الفينيقيون ارجح الأقوال انهم كانوا يعيشون فى الجزيرة وفى سواحل الجزيرة، فى جهات البحرين اولا، ثم انتقلوا الى سواحل البحر الأبيض وامتدوا فى تلك السواحل. هذا شىء قال به كثير من المؤرخين، وهو من الأمور التى لا يستطيع الباحث ان ينكرها، بل هناك من ادلة البحث ما يحمل على صحتها.

وقلت للشيخ حمد:

- وهل يعتقد الشيخ حمد أن كتاب الصليبى تاريخ فقط، أو اجتهاد فى التاريخ ولو مخطىء، أم انه تاريخ وسياسة ايضا؟

أجاب الشيخ حمد الجاسر:

- أنا لا اعتقد ان الدكتور الصليبى ذو نية سيئة، ولكنى اعتقد انه اتى بهذه الأفكار من قبيل القصة المعروفة عند العامة: فتى أتى الى والدته وقال: يا ماما أسمع الناس يتحدثون عن فلان وفلان وفلان، أنا لماذا لا اذكر؟ فقالت له: خالف تعرف. إإت بآراء غريبة يعرفك الناس. فهو من هذا القبيل، اراد من كتابه هذا ان يأتى بآراء يقال عنها انها شىء فيه طرافة، وفيه جدة، وفيه ما يجعل الناس يخوضون فيه ويتحدثون عنها.

أنا سألت كثيرا من زملائه فى الجامعة الأمريكية، ممن يعرفونه. فحدثونى ان الرجل طيب القلب، وانه ليس وراءه خبث، ولكنه كغيره من الناس، يحب ان يشتهر ويأتى بآراء قد يكون لها جانب من الصحة، او تثير شيئا من النقاش الذى يدور حـولها، ومن ثم يصبـح الرجل مذكورا. كذا فهمت من بعض زملائه الذين يعرفونه.

أنا اعتقد ان الدكتور الصليبى على درجة من الذكاء تحمله على ادراك بأنه سوف لا يكون لهذا الكتاب اية اهمية، وانه كغيره من الكتب ان راج ووجد اهتماما من الباحثين فذلك ما يريد، وان اهمل، كما هو الآن، فما الذى يضير مؤلفه؟ وان كنت اتمنى ان يأتى الوقت الذى يدرك فيه الدكتور الصليبى هو نفسه ان كتابه هذا ما كان جديرا ان يصدر من مثله. وهو فى كتابه المح الى شىء من ذلك وقال ان هذه هي آراء عرضتها فان اثبتها البحث والتنقيب الأثرى، فهذا ما اتوقعه. وهذا ما بنيت عليه الكتاب. والا فأنا انسـان اجتهدت وأتيت بمـا بين يـدى القارىء على قدر اجتهادى.

أنا لم اعرف الدكتور الصليبى ولا أعتقد ان لديه من التمكن فى الجزيرة العربية ما يميزه عن الآخرين، وأنا لم اقـرأ له سوى هـذا الكتاب، ومحاضرة القاها قبل اربع سنوات فى الرياض. كان قد دعى الى الرياض واشترك فى نـدوة تسمى «المؤتمـر الثالث لتـاريخ شبـه الجزيرة» فاشترك فى هذا وقدم بحثا عن «الاطار التاريخى لجـاهلية العرب». وكان هذا البحث مما اخذ عليه فى بعض نقاط منه لا صلة لها بموضوع كتابه الأخير، لأنه بنى بعض آرائه على ادلة وجد المناقشون عليها مأخذا. واخيرا عند تهيئة القـرارات للنشر فى الكتاب، علم ان اللجنة لا توافق عليه الا اذا امكن ان يعدل بعض الآراء، وفعلا عدلها ونشر هذا البحث وقرأته أنا فى الكتاب بعد تعديله، والغريب فى أنه في ما سبق أن تحدث به من آراء. يناقضها فى كتابه عن التوراة وكونها جاءت من جزيرة العرب، وهي لا صلة لها بجوهر الكتاب. وأنا على ما علمت وعلى ما قرأت من كتاب الدكتور الصليبى اعتبره انسانا عالما باحثا عن

الحق، ولكن كم من ساع الى امر ما ولا يستطيع الوصول اليه، أو كم من باحث عن الحق لا يستطيع ان يسير فى الطريق الذى يوصله لمعرفة الحق.

قلت للشيخ حمد الجاسر:

كيف تنظر الى طبيعة العصر الذى سبق الاسلام فى شبه الجزيرة؟ اين نحن من معرفته تلك المعرفة الدقيقة؟

قال الشيخ حمد الجاسر:

لا شك ان العصر الطويل الذى سبق الاسلام، للشعوب العربية، لا بد ان يكون هناك شعوب على درجة من التقدم، نجد لمحات وخيوطا دقيقة جدا فى بعض المؤلفات تشير الى ذلك. أتت التنقيبات الأثرية واثبتت لنا جوانب منها كحضارة اليمن، حضارة اليمن نقرأ فى المؤلفات الكثيرة ما هو اشبه بالخرافات عن تقدم اليمنيين. ولكن التنقيبات الأثرية اثبتت ان اليمنيين متقدمون فى الزراعة، فى الهندسة المعمارية، فى الاستفادة مما فى بلادهم من وسائل الحياة بطريقة كفلت لهم الحرية والاستقلال ببلادهم في العصور القديمة، كما نقرأ فى الكتب ان هناك من الشعوب العربية التى عاشت فى قلب الجزيرة وكانت متحضرة ايضا مثل طسم وجديس، ومثل عاد وثمود، ومدين، نقرأ فى القرآن الكريم ما يدل على تقدم بعض هذه الشعوب ورقيها. ولكن، كما قلت، ليس لدينا من التفصيل عن اخبار هؤلاء ما يقنعنا ويوضح لنا بصورة متكاملة ما نحتاج الى توضيحه من حياة تلك الأمم. وكما قلت، ليس من الانصاف ان نقول ان الأمم الذين عاشوا فى الجزيرة كانوا على حالة من الجهل، بل لا شك ان هناك حضارة وان هناك تقدما، ولكننا لم نهتد بعد الى معرفة جميع جوانبه.

وحول كيفية كتابة التاريخ العربى قال الشيخ حمد الجاسر اخيرا:

ـ التاريخ العربى فى عصوره المتأخرة مسجل امامنا، ولكن طريقة تسجيله هي التى يصح ان ينظر اليها نظرة تحمل على الاعتقاد بأن تغير هذه الطريقة.

فمنذ ان بدأ مؤرخو العرب يستجلون تاريخهم فى آخر القرن الثانى الهجرى ثم الثالث فما بعده، كانوا يسجلون تاريخ الأفراد لا تاريخ الشعوب، فعنوا اولا بتاريخ الانبياء والرسل والخلفاء والسلاطين واهتموا بهذه الناحية، فأنت اذا اتيت أعظم كتاب فى التاريخ، ومن اقدمها، وهو كتاب تاريخ ابن جرير وابن جرير يعتبر امام المفسرين وامام المؤرخين فى الاسلام، تجده سمى كتابه «تاريخ الرسل والملوك»، ولكن هذا لا يمنع من انك تجد هذا التاريخ ايضا يحوى تاريخ الشعوب. ولكن كل أوجل من كتب فى التاريخ القديم عني عناية خاصة بابراز الشخصيات البارزة فى عصره أو قبل عصره، أما ان يكون خليفة او ملكا أو سلطانا وهكذا.

لهذا فإن الطريقة التى سجل بها التاريخ والتى لا يزال يسجل الى عهود قريبة، هى طريقة ما كانت تهيىء للباحث ان يعرف حياة شعب ما من الشعوب على حقيقتها. تستطيع ان تعرف القرن الثانى الهجرى وأول الثالث من حياة هارون الرشيد، ولكنك لا تستطيع ان تعرف ما هي الحياة للشعب العربى، بصفة عامة، الذى يعيش فى القرن الثانى الهجرى فى الشام أو فى الجزيرة او في الحجاز أو فى مصر أو في غيرها من الأقطار. انك لا تجد هذا لكنك تجد الخبر والأخبار كلها تتعلق بهارون الرشيد، ولا مانع من ان يذكر مغازيه فى الشام ومغازيه في مصر، ويأتى بلمحات عن هذه الشعوب لكنها لمحات ليست منسقة ولا مرتبة ولا كاملة.

القول بأننا بحاجة الى ان تعاد كتابة تاريخنا، اذا كان المعنى بذلك ابراز ما ينبغى ابرازه من طبيعة الشعوب وحياتها وما يتعلق بها،

فهذا أمر حسن، ونجد فى ما سجل ودوّن من كتب التاريـخ، أمامنـا مصادر ان لم تكن وافية، ولكنها تمدنا بالاسس التى نستطيع ان نبنى عليها، وان نستنتج منها، وان نوجد تاريخا متكاملا لنا.

وأما اذا قصد باعادة كتابة التاريخ من جديد، رفض كل ما خلّف لنا من تراث في التاريخ فلا اعتقد ان هذا صحيح لأننا لا نجد أمامنا شيئا اذا عملنا هذا.

□□□

الصليبي لم يفرق بين أسماء المواضع وأسماء أفخاذ العشائر ومنهجه في البحث العلمي خاطئ ومبني على أوهام ومقارنات متناقضة.

الدكتور كمال سليمان الصليبى باحث لبنانى معروف، وهو استاذ التاريخ فى الجامعة الأمريكية ورئيس قسم التاريخ فيها، وقد ألف كتكبا حاول فيه ان يطبق النصوص التى وردت فى التوراة على مواضع في بلادنا فى جنوب الجزيرة.

ولقد كانت آراؤه لما فيها من الطرافة والخرافة ذات اصداء واسعة، وتناولتها كثير من الصحف العربية بأكثر مما تستحق.

وقديما كانت الخرافة ولا تزال مبعث تكرار وترداد.

وكنت حين حدثنى احد الأخوة بطرف من آراء ذلك المؤرخ حكيت له طرفة ساقها الفاكهى مؤرخ مكة بمعرض التندر، فقد روي فى كتاب «مكة واخبارها» عن الأصمعى قال: قال رجل من اهل مكة: ما سمعت بأكذب من بنى تميم، زعموا ان قول القائل:

بيت زرارة محتب بفنائه
ومجاشع وأبو الفوارس نهشل

فى رجال منهم. فقيل له: ما تقول أنت؟ قال: البيت بيت الله الحرام، والزرارة الحجبى، فقيل له : (فمجاشع؟ قال: زمزم جشعت بالماء، قيل:

فأبو الفوارس؟ قال: ابو قبيس، قيل: فنهشـل؟ ففكر طويـلا ثم قال: ونهشل اشده! ثم قال: نهشل مفتاح الكعبة طويل اسود!!

وكان الأخ الدكتور زاهر الألمعى ذكر لي انه يريد ان يكتب ردا على الصليبى فأوضحت له بأن آراءه ـ حسب ما اتضح لي ـ اضعف وأوهى من ان يشتغل هو أو غيره بكتابة الرد عليها.

ثم كثر الحاح بعض الأصدقاء بأن أبين ما أراه حيالها، فاتصل بي الاستاذ الكريم محمد بن عبدالله الحميد ـ رئيس النادى الأدبى فى ابها ـ وحدثنى بأنه اثناء مقال له نشرتـه جريـدة «الشرق الأوسـط» فى ٩/٤/١٤٠٥هـ. فى الموضوع ذكر اسمى فى سياق ذكر من رغب منهم التصدى للرد على الصليبى.

والاستاذ محمد ذو دالة عليّ، اقدرها حق قدرها، فوالده الاستاذ عبدالله بن على الحميد ـ رحمه الله ـ من اعز اصدقائى ـ طيلة ثلاثين عاما ـ وابنه الكريم ممن احمل له فى نفسى من الاكبار والتقدير ما هو اهل له، لفضله، ولأدبه، ولحفاظه على رعـاية مـا لأصدقـاء ابيه من حقوق.

وخاطبنى بالهاتف مدير مكتب جريدة «الشرق الأوسط» فى الرياض برغبة الاستاذ هشام حافظ احد صاحبى الجـريدة بـأن اتحدث الى قرائها برأيي؛ فأوضحتةله بأننى لم ألم بالموضوع من جميع نواحيه، ولم اطلع على آراء الدكتور الصليبى اطلاعا يمكننى من تناولهـا من جميع جوانبها بما اراه حيالها.

فوعد بأنه سيتصل بادارة الجريدة للحصول على ما رغبت الاطلاع عليه مما فيه ايضاح واف لتلك الآراء.

ثم اكرمنى احد تلاميذى البررة وهو الاستاذ ابراهيم بن عبد العزيز السويلم بمقالات نشرت فى صحف مختلفة فى الكويت وفى اليمن وفي بلادنا كلها تتعلق بنقض آراء الصليبى ـ وحبذ الابن الكريم الاستاذ

ابراهيم الكتابة فى الموضوع، فلما تصفحت تلك المقالات رأيت فى احدها ان اسمى قد زج به زجا لا ادرى ما حقيقته، فقد جاء فى مقال للاستاذ فيصل السماك فى جريدة «الشرق الأوسط» ع ٢٢٢٦ تاريخ ١٠/٤/١٤٠٥هـ ـ ما نصه: (اي صدفة تلك التى جعلت الدكتور الصليبى يعثر على المعجم الذى فيه اسماء المدن والقرى اليهودية فى منطقة عسير؟

واين عثر الدكتور الصليبى على هذا المعجم وفى اي مكتبة.. واي بلد..؟ وما اسم هذا المعجم، ومن هو مؤلفه؟.

صدفة غير صحيحة:

وليسمح لنا الدكتور الصليبى ان نوفر عليه مشقة الاجابة، وان نكشف الحقيقة كما استطعنا التوصل اليها وهي:

ان الصدفة التى يدعيها الصليبي فى حصوله على المعجم ليست صحيحة، وهو يعرف ذلك تماما..!!

ان اسم المعجم الذى افتعل حوله كل هذا الضجيج هو «المعجم الجغرافى التاريخى للبلاد العربية السعودية» ومؤلفه هو حمد الجاسر، ومقدمة هذا المعجم فى ثلاثة اجزاء. وقد حصل عليه الصليبى من مكتبة الجامعة الأمريكية فى بيروت، وبالتحديد منذ عامين واربعة شهور، وكان هذا المعجم قد وزع على جميع مكتبات الجامعات فى لبنان.

وباستطاعة الصليبى الحصول على نسخة جديدة من هذا المعجم من مكتبة (الرسالة الاسلامية) ساعة يشاء)!!

بل سمعت ما هو اعجب واغرب، فقد حدثنى استاذ جليل بأنه جرى فى مجلس عميد فى احدى جامعاتنا الحديث فى الموضوع، فتطرق الى ذكر كتاب «المعجم الجغرافى» فاتخذ احد الحاضرين ممن يحلو له (الأصطياد فى الماء العكر) من ذكر اسم الكتاب ذريعة لتناوله وتناول مؤلفه بما عرف عنه من خلق.

كما زج باسم اخي الاستكذ عبدالله ابن خميس ايضا فى كلام منسوب للدكتور الصليبى، نشرته جريدة «القبس» الكويتية ـ فى العدد ٤٤٨٩ الصادر بتاريخ ١٨/٢/١٤٠٥هـ (١٢/١١/١٩٨٤)م.

كان الدكتور الصليبى قد دعي لحضور المؤتمر الثانى لتاريخ الجزيرة العربية الذى عقدته (جامعة الملك سعود) فى الرياض عام ١٣٩٩هـ (١٩٧٩م) بصفته رئيس ادارة الآثار والتاريخ فى الجامعة الأمريكية، فذكر انه اجتمع اثناء انعقاد ذلك المؤتمر بالاستاذ عبدالله، الذى قدم له نسخة من كتاب «معجم اليمامة» حين جرى البحث فى اصل كلمة (حضرموت) وانه وجد فى «المعجم» اسم (خضرمات) وهو جمع مؤنث سالم لاسم (خضرمة) وحاول الربط بين (خضرمات) و(حضرموت). وانه لما عاد الى بيروت بدأ فى البحث عن اسماء الأماكن العربية، فاتضحت له الصلة بين كثير من الأسماء الواردة فى التوراة وبين اسماء بعض المواضع فى منطقة عسير، وما يليها شرقا وغربا، فاتجه الى دراسة تاريخ التوراة، وخرج من ذلك بكتابه عن المواضع الواردة فيها.

لا مندوحة إذن ـ والأمر كما اوضحت ـ من الكتابة عما انطبع فى الذهن اثر قراءة ما وقع فى يدى مما نشر فى الصحف حول آراء هذا الرجل الذى لا ادرى بما اصفه، ولا ادرى ما هى البواعث لاثارة افكاره التى اقل ما توصف به انها مخالفة لجميع الحقائق العلمية الثابتة منذ اقدم العصور، مما أتت به الكتب السماوية، او توصل اليه العلماء من حقائق تاريخية.

وانسان يأتى برأي يدرك مصادمته للحق الثابت ليس من المستطاع اقناعه، ولا شك ان الدكتور الصليبى ليس من السذاجة وعدم المعرفة بالدرجة التى تجعل من السهل تبصيره بالحقائق، بالاستدلال بالنصوص والآراء الصحيحة، ولهذا فايراد النصوص والاستدلال بكلام متقدمى العلماء لا يجدى نفعا مع امرىء يدرك انه اتى بما

يصادم جميع ذلك عن عمد وسبق اصرار، وانه بلغ من العلم ـ فيما أتى به ـ ما لم تبلغه الأوائل ـ بل والأواخر.

حقائــق بديهيــة:

ولكننى اعتقد ان الغرور يبلغ بباحث يتولى مركزا علميا بارزا ويحمل من الدرجات العلمية فى هذا العصر اعلاها ـ يبلغ به حالة تدفعه الى المكابرة ورفض الحقائق البدهية التى اعتقد انه لم يتنبه اليها اثناء بحثه لموضوعه، ثم خروجه بما خرج من نتيجة باطلة، جاءت فى رأيي بدون ادراك لتلك الحقائق.

الحقيقة الأولى: مما لا شك فيه لدى الباحثين ان التوراة التى بين ايدى الناس اليوم، ليست الكتاب الذى انزل على موسى ـ عليه السلام ـ وانما ألفها الاحبار وجمعوها فى فترات مختلفة، كما يعترف بذلك علماء اليهود انفسهم، كالعالم الصهيونى (سيجموند فرويد) صاحب كتاب «موسى والتوحيد» وغيره من العلماء من اهل الملل الأخرى، بل ان هناك من العلماء من يرى بأن من بين اسفار التوراة ما هو عربى الأصل ضمه الأحبار اليها، مثل «سفر أيوب» الذى اوضح بعض العلماء المعاصرين انه نقل الى العبرية من اللغة العربية كالمستشرق الانجليزى (مرجليوث) ـ انظر كتاب «العرب قبل الاسلام» للدكتور جواد علي ١/٢٥٢ ـ وفي الأسفار الأخرى كثير مما ادخله الأحبار من عادات الشعوب واخبارهم ومن ذلك اسماء مواطنهم، بسبب المخالطة والاتصال اثناء الأسفار.

ولهذا فان استناد الدكتور الصليبى على التوراة المعروفة الآن استناد على غير اساس.

ثم الاستدلال بما فيها من الأسماء مع ما هو معروف من ان اسماء المواضع تتشابه وتكرر مع اختلاف مواقعها ـ استدلال غير صحيح، وهذا من الأمور البدهية.

الحقيقة الثانية: مما فات الدكتور الصليبى - اثناء استنتاجه لآرائه تلك - محاولة الربط الزمنى بين مواضع ورد ذكرها قبل ثلاثة آلاف من السنين، وبين مواضع قائمة فى زمننا، اكثرها نشأ فى عصور متأخرة، فهو لم يحاول عند ايراد اسم من اسماء المواضع التى ذكرها البحث عن نشوء ذلك الاسم ومتى كان؟ وما هو معناه؟ ولماذا سمي الموضع بهذا الاسم؟.

ولو بحث هذا الأمر بتعمق لأدرك انه يسير - فيما استنتج - على غير هدى، وهذا ما سأعرض له بالتفصيل بعد عرض نماذج من اسماء المواضع التى ذكرها.

الحقيقة الثالثة: ان اسماء المواضع التى اوردها محاولا الربط بينها وبين ما ورد فى التوراة - مما نشرته الصحف التى اطلعت عليها، وقد نشرت خلاصة آرائه وافكاره - لا نجد لها ذكرا فى الكتب القديمة باستثناء اسم فرع حديث لاحدى القبائل، ظنه اسم موضع، فكيف يصح له ان يستنتج فكرة بدون ان يستكمل قواعد استنتاجها؟!

الحقيقة الرابعة: انه لم يفرق بين اسماء المواضع واسماء افخاذ العشائر، فقد اورد منها ما ظنه من اسماء المواضع، والجهل بالاسماء الى هذه الدرجة يحول دون استنتاج نتائج ذات قيمة علمية.

اخطاء جغرافية:

وها هي الأسماء، بل ها هو نمط من تخليط الباحثين فى عصرنا واغاليطهم، ما كنت اود الاشتغال - أو الأشغال - بالحديث عنها، فهي جديرة بأن توؤد، ووأدها فى اهمالها وتجاهلها - ككثير من الأفكار الفجة فى كل زمان ومكان - فقد ينشأ عن الخوض فيها بلبلة فى الأفكار، واظهارها بمظهر ليست جديرة به.

لقد اتخذ الدكتور الصليبي من تشابه الاسماء وتقاربها فى الكتابة والنطق اساسا لآرائه ولهذا سأحصر ملاحظاتى فى الناحية الجغرافية منها.

لقد خرج من دراسته المتعلقة بالأماكن بنتائج منها:

١ ـ أن حبرون مدينة ابراهيم ـ عليه السلام ـ على ما فى التوراة تقع فى بلاد عسير وتعرف الآن باسم (خربان) التى وصفها بأنها عسير وذكر قرية (مقفلة) إنها قريبة من قرية خربان، والقرى الأربع قرية آل سبلان وقرية الشباب وقثرية عاصية وقرية عامر.

٢ ـ وصهيون مدينة داود ـ عليه السلام ـ حسب رواية التوراة ايضا هي قرية (الصبان) الواقعة غرب أبها.

٣ ـ وأورشليم: تقع فى منطقة آل شريم وأور اسلام من عسير.

٤ ـ والوادى المقدس طوى الوارد فى القرآن الكريم هو قرية (طوى) الواقعة فى وادى بقرة المنحدر من جبل هادى في تهامة عسير، وفيه نزلت سورة البقرة..

٥ ـ وحورب الذى نزل فيه الوحى على موسى ـ عليه السلام ـ على ما في التوراة هو (حارب) فى سفح جبل هادى.

٦ ـ واسم الأردن النهر المذكور فى التوراة باسم (يردن) او (هردن) مأخوذ من كلمة (يرد) بمعنى سقط ومنه الريدة التى هي الحرف الناتىء من الجبل، إذن فليس اسم نهر فى مكان معين، بل وصف لأمكنة عدة، وهذا ينطبق على الخروف الناتئة من اسرة عسير الممتدة من جنوب الطائف الى مشارف اليمن.

٧ ـ ويرحو الاسم الوارد فى التوراة ليس اريحا بل (وراخ) القرية الموجودة الآن على حرف ناتىء من سراة زهران.

٨ ـ ويردن الاسم الوارد فى «سفر الملوك» من التوراة (٥: ١ ـ ١٤) ليس حرفا لجبل، بل كلمة (يردن) هنا مشتقة من (يرد) العربية فهي تعنى المورد وهو هنا مجمع مياه فى وادى نعص قرب قرية شمران شرق القنفذة.

٩ ـ وجنة عدن: هي الجنينة الواقعة بمنطقة بيشة.

١٠ ـ والسامرة، هي شمران.

١١ ـ وعمورة : هي غمرة.
١٢ ـ ومصر: المتكرر ذكره في اخبار التوراة هو (مصرما) القرية التى بين أبها وخميس مشيط.
١٣ ـ وعدنة التى على وادي بيشة هي عدن.
١٤ ـ (تيهوم): (تهامة).

هذه هي الأسماء التى اطلعت عليها مما ورد فى الآراء المنسوبة الى الدكتور الصليبى، وقد حاول ان يوجد صلة بينها وبين اسماء وردت فى التوراة التى بين ايدى الناس، ولكن الآراء التى أتى بها للربط بين تلك الأسماء مما يدرك أى قارىء لم يبلغ من الثقافة ما يمكنه من التعمق فى البحث فى معانى تلك الاسماء وفى اصول اشتقاق مفرداتها اللغوية، يدرك انتفاء الصلة بينها فضلا عن باحث مختص بالدراسات اللغوية والجغرافية، فهل أتى الدكتور الصليبى بما وقع فيه من اخطاء من عدم تعمقه فى البحث فى معانى تلك الأسماء؟ او من قلة فهمه لتلك المعانى، او انه لم يلاحظ ان اسماء المواضع في هذا العهد وفى العهود الغابرة اكثرها مشتق من صفات تتطابق وتتفق على مسميات كثيرة متباعدة، كما ان شيوع اسماء المواضع المتماثلة فى اماكن متعددة، فى مختلف اقطار العالم موجود فى كل زمان ومكان،بسبب الاختلاط والتنقل بين الشعوب.

اخطاء الصليبى:

١ ـ ا اسم (خربان) التى وصفها بأنها فى عسير ليست معروفة فى هذه المنطقة بالذات، بل فى منطقة اخرى.

مع ان الاسم مشتق من (خرب) فالموضع الذى يبدأه الخراب او يكون خربا فى اول الأمر يوصف بأنه (خربان) وهذا من الأسماء الشائعة، ولهذا نجد هذا الاسم وما شابهه مما اشتق من تلك الكلمة يطلق على تسع عشرة قرية فى مناطق مختلفة، فاسم (الخربان) و(خربان) يطلق على خمس قرى و(الخرب) اسم لأربع و (الخرباء) و

(خرباء) لست قرى و (الخرابة) اسم لأربع قرى.

أما القول بأن (مقفلة) قريبة من قرية خربان التى فى عسير، فلا ادرى من اين اتى الصليبى بهذا القول؟! فمقفلة القرية المعروفة تقع فى منطقة القنفذة التابعة لامارة مكة المكرمة وليست في عسير.

وكذلك القرى الأربع التى عدها بالقرب من خربان الذى زعم انه في بلاد عسير، هذه القرى الأربع هي من قرى آل المنتشر فى وادى العرضية الشمالية فى منطقة القنفذة التابعة لامارة مكة المكرمة.

٢ ـ وما سماه قرية (الصيان) لعله يريد (قعوة الصيان)، والصيان هنا ليس اسما للقرية بل اسم فخذ من قبيلة المع، التى تكثر فيها القرى التى تدعى (قعوة)، ومنها قعوة آل تمام وقعوة العطف وقعوة آل سعوان وقعوة شعبى وقعوة شعوان وقعوة شهدان وقعوة الصيان وقعوة آل عاطف وقعوة آل ناطف، وكل هذه الاسماء هي اسماء لأفخاذ حديثة من قبيلة المع، ومنها الصيان، فهو اسم لفخذ لا يتجاوز تاريخه مئات السنين، فضلا ان يبلغ آلافها.

٣ ـ وكما خلط بين اسم الموضع واسم الفخذ، فعل ذلك حينما ذكر (آل شريم) فالاسم ليس اسم قرية بل اسم فخذ صغير من افخاذ قبيلة الحجر وآخر من قبيلة بالقرن، وهما حادثان لم يكونا معروفين فى شيء من كتب الانساب التى الفت قديما.

أما (اروا سلام) فلا اعرف من اين اتى بهذا الاسم، وهناك فخذ من آل عمر من رجال الحجر فى منطقة ...... يدعى (آل عمر أروا) فلعله يعنيه فهو اسم فخذ لا قرية.

٤ ـ واسم (طوى) الذي تخيله الوادى المذكور فى القرآن الكريم، لم يحسن نطقه الصحيح، فهو (الطوا) ـ بالفتح معرفا ـ وهذا كما هو معروف فى اللغة وخلاف (طوى) الوادى المقدس الذى يكاد يجمع العلماء على تحديد موقعه، ويأبى الدكتور الصليبى مع سبق الاسرار إلا مخالفتهم، بذكر موضع حادث لم يذكره احد ممن ألف فى تحديد

المواضع من متقدمى العلماء كالهمدانى صاحب «صفة جزيرة العرب» وياقوت الحموى صاحب «معجم ما استعجم فى اسماء المواضع» وغيرهم.

ومن المضحك بل المخزى حقا لمن يحترم نفسه ان يتصدى لتخطئة كل العلماء ثم يحاول الربط بين واد مغمور مجهول سمى حديثا باسم .... عشيرة بني شهر من قبيل الحجر يدعى (بقرة) يحاول الربط بين هذا الوادى المسمى حديثا وبين السورة الكريمة (البقرة) التى ورد النص فيها صريحا واضحا على الحيوان المعروف.

لقد ظن - والظن أساس الخطأ - ان اسم هذا الوادى يرقى الى آلاف السنين، ولم يكلف نفسه عناء البحث عنه فى المصادر الجغرافية ليدرك من الأسماء الحادثة التى لم تكن معروفة حين تدوين ما بين ايدى العلماء من تلك المصادر، ان كلام الدكتور الصليبى لمحاولة الربط بين وادى طوى ونزول سورة البقرة هو اقرب الى المغالطة منه الى الحقيقة العلمية.

٥ - ويقال مثل ما تقدم فى محاولة ايجاد صلة بين (حورب) الذى نزل فيه الوحى على موسى - عليه السلام - على ما فى التوراة التى بأيدى الناس، وبين (حارب) الجبل الذى فى سفح جبل هادى ثم الربط بين هذا وبين ما سماه الصليبى (طوى) بقرب ذلك الجبل.

ويلاحظ ان اسم حارب يطلق على قريتين احداهما من قرى وادى بقرة فى تهامة والأخرى من قرى قبيلة يام فى نجران.

اسماء مصنعة ألفها الصليبى!!

٦ - ويحاول الدكتور الصليبى تعليل بعض الأسماء الموجودة فى التوراة مما لا اصل له فى اللغة العربية ثم يتمحل لها اصولا عربية، مما يعتبر تخبطا وسيرا على غير هدى كما فعل بكلمة (يردن) و(هردن) حيث اورد لها معنيين متغايرين، رغم ان احدهما مأخوذ من كلمة (يرد) بمعنى سقط وهذا مما لم يذكر فى «لسان العرب».

ومـا ايسر السير عـلى طريقة الدكتـور الصليبى فى العبث بجميع الأسماء الاعجمية لكى تصبح عربية مما يذكر بـأضحوكـة (الشيخ زبير) و (شكسبير).

٧ ـ زعم ان (وراخ) قرية موجودة على حرف ناتىء من سراة زهران. ولقد سرت فى تلك السراة وألفت عنها كتابا فلم أر ولم اعرف قرية بهذا الاسم، كما أن أحد أبناء هذه القبيلة قد ألف كتابا جمع فيه كل ما عرف من اسماء قرى سراة غامد وزهران، فلم يذكر من بينها (وراخ)، هو الاستاذ على بن صالح الزهرانى وكتابه عن بلاد غامد وزهران، احد اقسام المعجم الجغرافى للبلاد العربية السعودية الذى اشرفت على نشر اقسامه.

وانما (وراخ) واد معروف شرقى السراة تنحدر فروعه من سلسلة جبال عبسان المتصل بالسـراة ويمتد الوادى من الغـرب من قريـة معشوقة، فيتجه شرقا حتى يجتلع بوادي كرا قرب قرية مينين (فيما بين خطى العرض ٣٠/ ٢٠ و٤٨/ ٢٠) وكتب اسمه فى الخريطة رقم ٢١٠ من «ابحاث جيلوجية» خطأ باسم (اوراخ) هذا الوادى ليس من قرى سراة زهران، بل فروعه فى بلاد غامد وأسفله فى بلاد البقوم.

٨ ـ لا اعرف ولم أر فيما بين يدي من الكتب المؤلفة عن جغرافية بلادنا ما سماه الدكتور الصليبى (يردن) وقال انه مجمع مياه فى وادى نعص قرب قرية شمران شرق القنفذة، ولا ادرى من اين اخذ هذا؟ ولكن لو كان هناك مجمع مياه يورد لأصبح مشهورا ومعروفا وهذا ما لم اسمع به، ووادى نعص من اودية تهامة وسكـانه من بنى شهـر من قبيلة الحجر.

٩ ـ يظهر ان الدكتور الصليبى لم يدرك ان كلمة (الجنينة) ـ تصغير جنة ـ هي من الكلمات المشتقة من الوصف، فهى تعنى الحديقة ولهذا تكررت التسمية بها، ففى منطقة نجران وفى منطقة بيشة قريتان حديثتا التسمية، وفى وادى التسرير نجد ثني من أثنائه يدعى الجنينة، وهذا

قديم ورد فى قول الشاعر:

قال الأطباء: ما يشفيك؟ قلت لهم:

دخان رمث من التسرير يشفينى

مما يضم الى عمران حاطبة

اليلأ الجنينة جزلا غير موزون

فالموضع الذى يكثر نباته او يزدهر بالخصب او يعجب اهله يسمى جنة وجنينة، ومن ذلك اسم القريتين، وهما حديثتا العهد، ولم يذكرا فى المعاجم المعروفة.

هذا بصرف النظر عن تأويل الصليبى المصادم لنصوص الكتب السماوية.

١٠ ـ واورد فى الخريطة التى رسمها فى توضيح آرائه اسم (شمران) وكتب تحتها (السامرة) رسم الاسم غرب منطقة بيشة حيث تحل قبيلة شمران، فخلط بين اسم القبيلة واسم الموضع، ولم يدرك ان قبيلة شمران هذه لم تكن قبل ما يقرب من تسعة قرون فى هذه البلاد وانما كانت منازلها مع اخوتها من فروع قبيلة مذحج سنحان وجنب وغيرهما فى سفوح السراة الشرقية الجنوبية شرق سراة عبيدة الآن.

وم يتحدث عنه له آلاف السنين، والذى اوقعه فى الخطأ انه لم يفرق بين اسم قبيلة من طبيعتها التنقل، وبين اسم موضع ثابت.

هذا مع التكلف فى محاولة ايجاد صلة بين الاسمين بسبب تقارب مخارج حروفهما.

١١ ـ وفى الخريطة اسم (عمورة) وتحته اسم (غمرة) فى منطقة بلاد عسير، وكأن الدكتور الصليبى يرى اسم غمرة هو عمورة، مع ان اسم غمرة من الأسماء التى تطلق على عدد من القرى، فهناك قرية بمنطقة حائل، واخرى فى واد معروف بهذا الاسم من اودية خيبر، وثالثة من مناهل البادية فى منطقة ظبا. واربع قرى بهذا الاسم فى بلاد قبيلة ألمع من بلاد عسير ويظهر ان الصليبى عنى احدى قرى ألمع، ولكن على اي

اســاس بنى حكمه بــأن احدى تلك القــرى هي عمورة المـذكورة ف التوراة، لا شيء سوى تقارب الحروف فى النطق وهذا لا يصح اتخاذه قاعدة تبنى عليها آراء وتستنتج منها نتائج علمية، وهذا مما يـدرك بأدنى تأمل.

مصر ومصرما:

١٢ ـ لا ادري من أين اتى باسم (مصرما) القرية التى وصفها بأنها بين أبها وخميس مشيط، وحكم بأنها (مصر) المتكرر ذكـره فى اخبار التوراة.

ومن المعروف ان اسم مصر عند الاطلاق لا ينطبق إلا على الأقليم المعروف.

وقد يسمى غيره بهذا الاسم، فهناك قرية من قرى تبالة بمنـطقة بيشة تسمى مصر، ويقال بأن بقرب أبها قريـة دارسة بهـذا الاسم ايضا، ولعل التسمية هذه حدثت اخذا من الآيـة الكريمـة (ادخلوا مصرا فان لكم مـا سألتم»، فكلمـة مصر وصف وليست عامـا، ومن الأمثال المتداولة الآن: (كل ديرة عند اهلها مصر).

إلا أننى لا أعرف هذه القرية التى سماها (مصرما).

١٣ ـ ورسم فى الخريطة ايضا على وادى بيشة اسم (عدن) وتحتـه (عدنة) اي ان القرية التى تقع فى منطقة بيشة هي (عدن) المذكورة فى التوراة.

وأنا لا اعرف قرية فى اعلى وادى بيشة بهذا الاسم بصرف النظر عن الخطأ الفادح فى الربط بين الاسمين.

واسم عدنة يطلق على قريتين احداهما من قرى شمران في وادي العرضية الشمالية بمنطقة القنفذة، والأخرى من قرى العصمان في وادي اضم بمنطقة الليث.

ومن قرى منطقة بيشة قرية العدنة ـ بالتعريف ـ وهذه من قرى تبالة في اسفل وادي بيشة غرب قاعدة الوادي.

١٤ - واتخذ الباحث من التشابه الحرفي بين كلمتى (تيهوم) و (تهامة) ما دفعه الى ان يجزم بأن المقصود بالكلمة الأولى هي المنطقة المعروفة باسم تهامة.

وما أوسع هذا الباب لو أردنا الدخول منه لحكمنا بأن آلاف الكلمات الأعجمية وما هو أكثر من الآلاف، هي كلمات عربية متى اغفلنا ما يوضح الكلمة المراد فهمها وايضاحها من قرائن، أو أردنا صرف فحوى تلك القرائن الى ما نهواه ونريده بطريق التعنت وتحميل الألفاظ من المعانى ما لا تحتمل.

ومن الممكن ان تعزى جل أوهام الدكتور الصليبى الى أمر واحد اشارت اليه جريدة «صنداى تايمز» اللندنية في مقال نشرته عن كتابه بتاريخ ١٢/٨/١٩٨٤م بما تعريبه: (لا يزال العديد من المدن والقرى تحمل اسماء تعود الى قديم الأزل) وهذا ما توهمه الدكتور الصليبى حين قال فيما نقلته عنه تلك الجريدة: (كنت ابحث عن اسماء الأماكن ذات الأصل غير العربى فى غربى شبه الجزيرة، واذا الدليل ان ارض التوراة كلها كانت هناك يفاجئني، فتقريبا جميع اسماء اماكن التوراة كانت مركزة فى منطقة طولها ست مائة كيل وعرضها مئتا كيل).

من هنا وقع فى الخطأ حيث ظن ان اسماء تلك الأماكن موغلة فى القدم، وانها من غير اصل عربى، ومن ثم راح يحملها من المعانى ما لا تحتمل ويصرفها عما وضعت له فى الأصل، ويخلط بين اسماء القرى واسماء السكان.

انه لم يدرك ان اكثر المدن والقرى تحمل اسماء حديثة وان كثيرا من المواضع عمرت وانشئت فى أزمنة متأخرة، وليس الأمر كذلك بالنسبة لكثير من الأقطار الأخرى كالشام (سورية ولبنان وفلسطين وشرق الأردن) ومصر وغيرهما، اذ تلك الأقطار غالب سكانها من الحضر المستقرين الثابتين فيها، على توالى العصور، فتبقى اسماء المدن والقرى ثابتة، بخلاف سكان الجزيرة الذين اكثرهم عرضة للتنقل

والارتحال من منطقة الى اخرى، فينشأ عن ذلك احداث اسماء جديدة للمواضع والمياه والقرى وتجهل اسماؤها القديمة.

على أي أساس بنى آراءه؟

لم يعرب بعد كتاب الصليبى الذى دعاه «عسير ارض التوراة الحقيقية» ASIR TRUE LAND OF THE BIBLE لكي تقتبس منه النصوص التى توضح تلك الآراء، وما تقدمت الاشارة اليه منها هو مما اوردته الصحف التي نقلت تلك الآراء عن احاديث للمؤلف نفسه، او عن مسودة كتابه التى انتشرت منها نسخ مصورة قبل طبعه.

وقد امدنى اخي الاستاذ الجليل عبدالله الناصر الوهيبى بنسخة منها عربت لي المقدمة التي توضح منهجه في بحثه ودراسته.

وقد اتضح لي من تلك المقدمة ان جميع افكاره تقوم على (دليل لغوي في الدرجة الأولى يتعلق بتحليل اسماء الأماكن) ـ وهذه ترجمة لكلامه:

ـ أما هذه الأسماء فهي نوعان احدهما ما استقاه من النص العبري للتوراة، مما مكث تتلاقفه الألسن احقابا طويلة حتى بلغ من التحريف درجة تحمل كل باحث يحترم نفسه من عدم الثقة بصحته، فضلا عن التعويل عليه فى استخلاص ما سماه الدكتور الصليبى حقائق لا نظريات.

والنوع الثانى: اسماء حديثة لم يفهم الباحث كثيرا من مدلولاتها، ولم يدرك انها ـ لحداثة عهدها ـ لا يصح ان تتخذ اساسا للمقارنة بأسماء موغلة فى القدم مع تحريفها، بمجرد اتفاق بعض الحروف او التقارب فى النطق.

ثم انه يقيم تلك المقارنة على فهمه هو وحده لمعانى تلك الأسماء بدون رجوع الى الآراء التي لا تتفق مع هذا الفهم فيقول ما تعريبه: (اخترت ان اكتب بأسلوب يعتبره العلماء غير مألوف، اذ لم أشر الا نادرا للتراث الضخم الموجود عن جغرافية التوراة) لأنه يعتقد بخطأ كل ما كتب فى

هذا الموضوع، وان (اكتشافاته) تكفى للاقناع!!ـ كما يعبرـ.

وعندما يورد اسماء مصادر دراسته يذكر:

١ ـ التوراة باللغة العبرية.

٢ ـ المعجم الجغرافى للبلاد العربية السعودية الذى الفته وهو يقصد المختصر (كتالوج).

٣ ـ بعض الخرائط الجيدة لجزيرة العرب مما قدم له السيد يوسف احمد الشيراوى فى البحرين.

٤ ـ بحث للدكتور اسامة الخالدي فى الجامعة الأمريكية فى بيروت حول السورة الخامسة بعد المئة من القرآن الكريم.

وقد اورد في مواضع من كتابه آيات من القرآن الكريم ـ انظر مثلا ص ٤٦ حيث اورد الآية الكريمة: «إن اول بين وضع للناس للذى ببكة مباركا» الى آخرها، كما تحدث عن سورة البقرة كما تقدم. وكما سبقت الاشارة فالدكتور الصليبى يأتى بمعلومات مفصلة عن بعض القرى كقوله عن قريتى حارب والطوى: (هما قريتان توأمتان موجودتان فى منطقة عسير الجغرافية، احداهما تقع على سفح جبل هادى فى تهامة عسير وهي حارب، والأخرى الطوي تقع فى وادي بقرة المحيط بجبل هادي). وكقوله المتقدم عن قرية مقفلة والقريات الأربع.

وكقوله عن وراخ: (اسم قرية موجودة حاليا على طرف ناتىء من سراة زهران).

هذه المعلومات وامثالها بصرف النظر عما فيها من اخطاء لا ادري من أين استقاها؟

وهو يذكر فى المقدمة انه رجع الى «المعجم الجغرافى» المختصر الذي الفته، وهو كتاب يحوي (١٦١٠٦) من اسماء المدن والقرى والأماكن المسكونة في بلادنا،وضعته مقدمة للمعجم الكبير الذي دعـوته بـذلك الاسم وصدر منه تسعة عشر مجلدا، ولكننى في الكتاب الذي رجع اليه الصليبى لم اورد شيئا من المعلومات الجغرافية بل سردت الأسماء

سردا مع ذكر مناطق وما ترتب عليه من الامارات (الادارية بدون تحديد جهاتها نقلا من سجلات اعدتها وزارة الداخلية وادارة الاحصاء العامة بوزارة المالية).

ويسرني حقا ان يستفيد اي قارىء مما أؤلفه لأن هذا لا يضرني فرجوع المنحرف عن الطريق السوي - أي منحرف كان - الى أي كتاب من الكتب لا يعتبر مطعنا فى ذلك الكتاب ولا يصح اتخاذه وسيلة للنيل ممن ينسب اليه الكتاب كموقف ذلك الجاهل المتعلم الذي سبقت الاشارة اليه في اول الكلام.

والصليبى نفسه قد رجع الى كتاب الله تعالى «الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه» كما رجع الى كتب اخرى.

ويظهر ان تلك المعلومات المتعلقة بوصف القرى التى ذكرها مما استفاد اثناء وجوده فى هذه البلاد اثناء انعقاد الندوة العالمية الثانية لتاريخ لجزيرة في شهر جمادى الأولى سنة ١٣٩٧هـ ابريل (نيسان) ١٩٧٩م التى شارك فيها وألقى بحثا عن (الاطار الخارجى لجاهلية العرب) أثار من المناقشة ما حمله على كتابته بأسلوب آخر، ثم نشر فى المجلد الذى صدر عن تلك الندوة بعنوان «دراسات تاريخ الجزيرة العربية الكتاب الثانى الجزيرة العربية قبل الاسلام» من ص ٣١٣ الى ٣٢٩.

والغريب فى الأمر بالنسبة للدكتور الصليبى سرعة تغير آرائه فهو فى كتابه الأخير يناقض كثيرا تلك الآراء التى عرضها في بحثه المشار اليه الذي حاول فيه ارجاع كثير من العوامل التاريخية الى مؤثرات اقتصادية.

وقد اعود للحديث مرة اخرى.

الكتاب الزوبعة

ـ ١ ـ

اترانا نعيش فى الجنة من حيث لا ندرى؟!! ولا اعنى الجنة التى قد تفهم بأنها ما نتمتع بـه من رخاء وامن وأمـان واطمئنان، ورغـد فى العيش، وتمتع بجميع وسائل الرفاهية والنعيم، وإنما اقصد الجنـة التى وعد بها المتقون، والتى اخرج منها أبونا آدم ـ إنها جنة عدن!!

انا لا اقول هذا الكلام معتقدا ـ والعياذ بالله من كل اعتقاد مناف لما ثبت بالأدلة القطعية والنصوص الشرعية ـ وإنما اقول ناقلا لا مقرا، وليس على الناقل إثم القائل: «فناقل الكفر ليس بكافر».

أما صاحب ذلك القول والذى يحمل وزره وعليه إثمه فإنه عـالم مشهور حاز ارفع الدرجات العلمية «الدكتوراةه» وتولى اعمالا لا تسند إلا الى العلماء المختصين فيما يجب ان تسند اليه تلك الاعمال. ثم هو من حيث منزلته العلمية ممن حاز من تقديرنا واجلالنا ما حملنا على دعوته ليشارك فى ندوة تاريخية لم يدع لها سـوى من عرف بـالعلم والتخصص فى موضوعها إنه الدكتور كمال سليمان الصليبى الاستاذ فى الجامعة الأمريكية فى بيروت ومدرس التاريخ والمؤلف فيه من الكتب بالعربية والانجليزية ما هو معروف.

لقد قرر هذا الدكتور فيما قرر فى كتابه «التوراة جاءت من جزيرة العـرب» الذى نشر بست لغات الالمـانية والانجليـزيـة والفـرنسيـة والهولندية والدانمركية والعربية.

إن هذا الدكتور قد جاد ـ جاد الله عليه ـ على بلادنا بفيض من علمه بما قرره فى هذا الكتاب.

فجميع الآلهة المذكورين فى التوراة عاشوا فوق ارضها، ولا تزال تلك الأرض الطيبة تحمل لهم بقايا وآثارا منها: آل الاعلم وآل تمام وآل جبار. وآل جبعان وآل دغمان وآل ذياب وآل عصمان وآل عليان وآل كنعان، الى غير ذلك من اسماء الآلهة المذكورة فى التوراة،والتى تحولت بقدرة قادر وبما وصل اليه فكر «الدكتور» الوقاد الى اسرٍ صغيرة تعيش الآن بيننا.

وجميع الأمم المذكورة فى التوراة كان مهدها الأول هذه البلاد مثل: الأراميين والاسرائيليين والأشوريين والفينقيين والمصريين والفوطيين والكنعانيين وغيرهم..

وفى ارضنا الطيبة الوادى المقدس طوى حيث كلم الله موسى.

وفيها قصر النبى الكريم سليمان بن داود ـ عليه وعلى نبينا اطيب الصلاة والسلام ـ ولكن «الحلو ما يكملش» كما يقول المثل المصرى، فان مدينة قوم لوط التى خسف الله بها لم تخل منها هذه الأرض الكريمة.

وارجو ان لا ينسى القارىء الكريم ان ما تقدم هو بعض ما استخلصه الاستاذ الدكتور كمال سليمان الصليبى فى دراساته التى ضمنها كتابه عن التوراة.

ولقد سبق ان اشرت فى هذه الصحيفة الكريمة الى ان آراء الدكتور الصليبى على غرابتها لها اصول قديمة، ومثلت برأي المستشرق المعروف مرجليوث الذى سبق الدكتور الصليبى الى القول بأن الوطن الأصلى لبنى اسرائيل فى جنوب الجزيرة وقد ورد اسم مرجليوث محرفا فتحسن اعادته هنا انه «دافيد صمويل مرجليوث DAVID Samuel Margoliouth ـ ١٢٧٤ / ١٣٥٩هـ. «١٨٥٨ / ١٩٤٠م» وكتابه باللغة

الانجليزية عنوانه : Relation Between Arabs & Israelites prior of the rise of Islam «العلاقة بين العرب والاسرائيليين قبل ظهور الاسلام».

والحديث فى الموضوع اوسع من ان تحويه صفحات تعنى اول ما تعنى باراحة اذهان القراء بمعالجة ما يرتبط بحياتهم الحاضرة من احوال، وبطريقة لا تتعب الذهن ولا تكل الفكر وتورثه مللا وسآمة.

وإذن فلأسر على قاعدة: «روحوا النفوس» بما اعرضه من نماذج من آراء الدكتور الصليبى فيها طرافة وامتاع. أما اولئك الذين يبتغون الوصول الى الحقائق فما عليهم إلا أن يتناولوا كتاب الدكتور بالدراسة الجادة.

وما انقله سأتوخى فيه الدقة التامة ولا يعزب عن فكر القارىء أننى لا اعنى بما انقل سوى عرض نماذج من آثار ما انتهى اليه «الدكتور» الصليبى، من دراسات لغوية وجغرافية وتاريخية أيدها كلها بمشاهدة كثيرة من الأماكن التى تحدث عنها حين زارها وضمن نتائج مشاهداته تلك الدراسات مستعينا بمؤلفات الباحثين من اهل هذه البلاد كـ (حمد الجاسر، وعبدالله بن خميس ومحمد بن احمد العقيلى، وعلى بن صالح الزهرانى وعاتق بن غيث البلادى) ومؤلفات لغيرهم من المتقدمين، اطلع عليها كما قال فى مقدمة كتابه فاستفاد منها.

يخصص الدكتور الصليبى الفصل السادس عشر «من ص ٢٧١ الى ٢٨٠» وهو الفصل الذى لا يقع بعده سوى فصل عن «نشيد من جبال جيزان» وخاتمة حول «جغرافيا التوراة العبرية فى اطار غرب شبه الجزيرة بدلا من فلسطين» وملحق عن «آثار اسمية ليعقوب والأسباط فى غرب شبه الجزيرة».

يصف الدكتور ذلك الفصل قرية الجُنَيْنَة بأنها منتهى العمران والنخيل فى وادى بيشة، وانها لا تعتبر جنة بمقاييس عصرنا، ولكنها جنة بالنسبة الى ما يليها من البرارى القاحلة، وقد استشهد بكلام فلبى

حين وصفها فى كتابه: Arapian Highiands P. 29 — 31 وسماها «جنة عدن».

ثم يورد نصوصا من التوراة فى وصف الجنة التى اسكن الله تعالى فيها آدم ـ عليه السلام ـ ومن وصفها وجود اربعة انهار هي:

١ ـ فيشون ـ ٢ ـ جيحون ـ ٣ ـ حداقل ـ ٤ ـ الفرات.

ويطيل الدكتور الصليبى البحث فى كل اسم من هذه الاسماء اطالة يخلص منها الى ـ١ ـ نهر فيشون هذا هو اليوم وادى تبالة، اقصى روافد بيشة غربا واسمه «التوراتى» ما زال حيا كاسم لقرية «الشوفان» الذى هو تحوير «فيشون» العبرية، فى مرتفعات النماص، أما حويلة التى ورد فى التوراة ان فيشون يحيط بها، فهى اليوم قرية حوالة فى سراة غامد، الى الشمال من النماص.

وعندما يدرك الدكتور ان حويلة الواردة فى التوراة وصفت بالذهب الجيد، يضيف الى وصفه لوادى تبالة وما حوله قائلا: «ربما كانت هذه ارض الذهب المتحجر التى تكلم عنها استرابون.. وهناك رافد صغير لوادى بيشة يعرف الى اليوم بوادى الذهب، والحجر شبه الكريم هناك هو العقيق الأحمر.

ثم يختتم كلامه على وادى تبالة قائلا: «فإن المؤكد ان فيشون التوراتى ليس رافد المسار الرئيسى لوادى بيشة المعروف اليوم باسم وادى شفان ـ شفن على التشابه بين الاسمين».

٢ ـ أما نهر جيحون الذى يتدفق محيطا بأرض كوش، فهو المسرى الرئيسى لوادى بيشة الذى ما زال احد روافده يعرف بوادى جوحان «جحن» بين خميس مشيط وابها، وهناك قرية من قرى بنى واهب فى حوض بيشة تحمل اسم آل جحون «الجحن».

وكوش المحاطة ارضها بجيحون هي اليوم قرية الكوشة فى جوار خميس مشيط التى تجاور وادى جوحان.

٣ ـ ثم يتحدث عن هر حداقل الذى قيل عنه إنه نهر دجلة؛ فينفى صحة هذا القول ويخلص من ذلك مقررا: الواقع ان اسم حدقل ما زال مستمرا فى الوجود اسم لقرية آل جحدل فى مرتفعات سراة عبيدة؛ جنوب شرق خميس مشيط حيث توجد رؤوس مياه وادى تندحة المتصل بوادى بيشة بعد خميس مشيط باتجاه الشمال، ويقول: لا بد ان وادى تندحة كان فى الأزمنة التوراتية يسمى «حدقل» باسم القرية التى ينبع من جوارها..

وحين يلاحظ الصلة بين نهر حداقل و«آشور» يحاول ايجاد تعليل يقبله فيقول: إن آشور التى يمر النهر شرقها ليس بلاد آشور بل هي اليوم قرية بنى ثور وتسمى «آل ابو ثور».

٤ ـ أما نهر الفرات الذى فسر بأنه الفرات فى العراق فإن الدكتور الصليبى يقول عنه: ربما كان وادى خارف الذى ينبع من مرتفعان السراة بجوار تنومة شمال أبها وهو من اهم روافد وادى بيشة ولا بد ان اسمه «فرت» اتى من اسم قرية من قرى تنومة تسمى «الطفراء» ولعلها تحوير «فرت» ثم يضيف وربما كان نهر فرت رافدا آخر من روافد بيشة يحمل اسم الطارفة «طرف» والطارفة يطلق محليا على مراكز الامارات بمنطقة بيشة دون غيرها.

وبعد ان يتعمق فى تعليلاتةلاسماء مواضع فى تلك الجهات يخلص منها الى الاشارة الى ان تقديس الحدائق كان رائجا فى بعض المناطق فى شبه الجزيرة حتى ظهور الاسلام ومنها حديقة مسيلمة الكذاب الذى سماه «كاهن اليمامة»، ثم ينتهى الى القول: ولعل جنة عدن كان حديقة الاله «يهوه» فى وادى بيشة قبل ظهور الدين اليهودى، الذى اعترف بـ«يهوه» إلها اسمى، ثم اطلق اسمه على الله الواحد. هذا كلامه «تعالى الله عما يقولون علوّا كبيرا.

وما هذا الذى سقته سوى انموذج مما وصل اليه الدكتور كمال

سليمان الصليبى من نتائج دراساته فى كتابه الجديد..

لقد حدد الدكتور كمال الصليبى موقع الجنة التى عرفها من خلال دراسة التوراة العبرية، وهى على زعمه الجنة التى اخرج منها آدم وزوجه..

وقد عرفنا موقعها من بلادنا وانها تشمل منطقة واسعة حسب تحديده، من فروع وادى بيشة التى منها وادى تندحة، ثم وادى بيشة نفسه ووادى تبالة ووادى خارف.

ويحسن ان نشير الى انه لا يتحدث عن «التوراة» الكتاب المقدس الذى انزله الله على موسى عليه السلام ـ الموصوف فى «القرآن الكريم» بأن فيه هدى ونورا، ولكنه يتحدث عن توراة عبر عنها بكلمة «جاءت» اي لم تنزل ولم يوح الله بها، كما اوضح هذا بقوله ـ ص ٢٧١ ـ « لا بد ان القارىء اصبح مدركا ان اسفار التوراة العبرية دونت وجمعت اصلا على ايدى كتبة من بنى اسرائيل يعيشون فى بلاد اسرائيل ويهودا اي فى بلاد السراة وما يليها غربا من جبال تهامة ووهادها»..

ولكيلا تفزع القارىء كلمتا «اسرائيل» و «يهودا» ينبغى ايضاح رأي الاستاذ الدكتور حيالهما فهما لا يعبران عن مدلولهما فى عصرنا، بل يقصد الدكتور بهما أمتين عربيتين من الشعوب العربية البائدة التى عاشت فى جنوب جزيرتنا العربية ـ ص ١١ ـ كما ان اللغة العبرية احدى لهجات اللغات السامية التى كانت منتشرة فى الأزمنة التوراتية فى انحاء مختلفة من جنوب شبه الجزيرة العربية وغربها ومن الشام ـ ص ٢٩ ـ.

١ ـ إن تلك الجنة التى سماها الدكتور «جنة عدن» هي كما استنتج من نصوص التوراة العبرية موقعان احدهما «جنة» وهو ما ارتآه «الجنينة» فى اسفل وادى بيشة ـ سبق تحديد موقعها ـ.

اما «عدن» فإنها موضع آخر عاد الى تحديده اعتمادا على ما فهم من

النصوص ومنها ان الجنة تسقى من نهر عدن، إذن أين عدن هذا؟ يقول الدكتور ـ ص ٢٧٨ ـ على مسافة قصيرة فوق قرية «الروشن» على مسار وادى تبالة قرية تسمى «العدنة» تحمل الى يومنا هذا اسم «عدن» التوراتية وتقع قرية الجنينة بعد «الروشن» من العدنة، وهكذا فان مياه وادى تبالة تلتقى مع روافد بيشة عبر الروشن، لتسقى واحة الجنينية، ثم يؤكد هذا قائلا: وهذا تماما ما يقوله « سفر التكوين» وكان نهر يخرج من عدن ليسقى الجنة.

٢ ـ لقد مرت بالقارىء كلمة «الروشن» وهو اسم قاعدة بيشة، افلا يكون له من نظرات الدكتور الصائبة نصيب من التفكير؟ ولم لا؟!

قال استنادا الى «سفر التكوين» فإن نهر «عدن» انقسم ليصير اربعة رؤوس «رعش» بجوار عدن وجنتها، وما زالت لفظة «رعش» التوراتية مستمرة فى الوجود كاسم لقرية «الروشن» الواقعة بالقرب من النقطة التى يلتقى فيها وادى تبالة «فيشون» بالمسار الرئيسى لوادى بيشة ـ ص ٢٧٦ ـ إذن الكلمة العبرية «رعش» اصبحت «الروشن»! لا ادرى لم لم ينل اسم «تبالة» من عناية الدكتور ما نالته الاسماء التى بقربها من حيث المقابلة باحدى الكلمات العبرية وايضاح المدلول اللغوى، وسبق انه اختار بدله اسما «توراتيا» هو «الشوفان» تحوير «فيشون» العبرية، والشوفان قرية فى مرتفعات النماص!

٣ ـ يشير الدكتور الصليبى الى قصة قابيل وهابيل المعروفة: «وانه ورد فى التوراة ان «قايين» بعد قتل اخيه طرد من جنة عدن فاخرج الى ارض «نود» الواقعة شرقى الجنة، فأين «نود» هذه؟!.

إن مؤلفى «التوراة» سجلوها وهم فى بلاد السراة غربا من جبال تهامة، ولهذا فإن الشرق ينبغى ان يعتبر بالنسبة الى المكان الذى كانوا يحلونه اثناء التاليف، ومن هنا استنتج الدكتور موقع «نود» بعد ان وجد قرية خربة تدعى «النودة» فى شمال اليمن مذكورة فى كتاب «صفة

جزيرة العرب» ولكنها لا تقـع الى الشرق من وادى بيشــة حيث قرر الدكتور وقوع موضـع «جنة عدن» ولما لم يجد اسم قرية تطابق ذلك الاسم بحث عن معنى للكلمة العبرية، فوجـده «تاه» بمعنى ســار ف القفار على غير هدى، ومن هنا قرر ان ارض «نود» هي ارض «التيه» بمعنى القفار ـ ف رأيه ـ وجنة عدن التى هي «الجنينة» هي منتهى العمران ف منطقة بيشة، وما يليها الى الشرق هو القفار اي ارض «نود» حيث تاه «قايـين» هاربـا بعد ان قتـل اخاه «هـابيل» كمـا ف «سفر التكوين».

٤ ـ ومن صفات جنة عدن على ما علم الدكتور الصليبى من «سفـر التكوين» احد اسفار «التوراة» العبرية: ان آدم عندما طرد هو وزوجه من الجنة أقام الرب «الكروبيم» شرقى جنة عدن لحراسة طريق شجرة الحياة ـ ص ٢٧٦ ـ.

فما معنى «الكروبيم»؟ يقول الدكتور: من وطن الصفـا بمنطقـة نجران قرية «القربان» ربما كانت الاشارة ف سفر التكوين» إلى هذا الموقع عن «الكروبيم» الذين وكل اليهم حراسة طريق شجرة الحياة.

ثم يرجع عن هذا الرأي قائلا: لكن الأرجح ان «الكروبيم» كانوا كهنة «جنة عدن» وبعض الأديان القديمة ف شبه الجزيرة كان يرتبط ارتباطا وثيقا بتقديس حدائق معينة، وكان كبار الكهنة يقيمون ف هذه الحدائق «الجنات» ويرتزقون من محاصيلها الزراعية، فيـأكلون من عنبها ونخيلها ـ ص ٢٧٨ و٢٧٩.

ثم احال الى سورتى «الاسراء» و «الفرقان» وهو يشير الى الآيات الكريمات: «وقالوا لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الأرض ينبـوعا او تكون لك جنة من نخيل وعنب فتفجر الأنهار خلالهـا تفجيرا» ـ من سورة الاسراء ـ والآية التى فيها «او يلقى إليه كنز او تكون له جنة يأكل منها» ـ من سورة الفرقان.

٥ ـ ولعل القارىء لا تستثيـره هذه القفـزة الذهنية وان يتصف بالاناة حتى انتهى من عرض آراء الدكتور الصليبى عن «جنة عدن» لأبدى ما اراه حياله مفصلا.

٦ ـ وشجـرة الحياة التى اقـام الرب «الكروبيم» لحـراسة طريقهـا ذاتةصلة بالجنة التى وصفها الدكتور الصليبى ولهذا اشـار الى ان «سفر التكوين» ذكر شجرتى الحيـاة والمعرفـة فى جنة عـدن، ويرى الدكتور ان فى هذا إشارة الى عبادة إله للحياة وإله للمعرفة فى المنطقة ذاتها التى كانت جنة الاله «يهوه» موجودة فيها قبل ظهور اليهودية.

إذن أين مقر هذين الالهين؟ يجيب الدكتور: فى ســراة بنى عمرو وغرب وادى بيشة ما زالت هناك قرية تحمل اسم الاله القديم للمعرفة وهو بالعبرية «هـ د عه» وبالأرامية «دعىء» وهي قرية «دعْيا» وهناك قرى كثيرة فى جوار وادى بيشة ما زالت تحل اسم الاله القديم للحياة ـ بالعبرية «حييم» ومفردها «حي وحية» ومن هذه القرى آل حي، وآل ابن حي فى السراة، وآل حياة فى منطقة ظهران الجنوب وحيين فى منطقة جيزان.

ويختتم الدكتور بحثه عن جنة عدن: وهكذا فإن «سفر التكوين» لا يحفظ لنا صورة دقيقة عن مواقع «جنة عدن» التوراتية فى وادى بيشة فحسب، بل يحفظ لنا ايضا شيئا من الذاكرة الاسطورية للعبـادات السابقة لليهودية فى تلك المنطقة وجوارها.

اتـرى اوفى من هـذا التفصيـل واعمق فى الدراســة من هــذه الاستنتاجات التى إن لم تقع من تفكيرك حيث ترضى، فلا شك بأنها داعبت عاطفتك؛ إن لم تكن اثارتها.

مطالعات فى كتاب
- ٢ -

ما تقدم فى العدد الماضى هو خلاصة ما وصل اليه الدكتـور كمال الصليبى فى كتابه «التوراة جاءت من جزيرة العرب» وهو شرح نص ذكر انه نقله من «سفر التكوين» - ٢/٨ - ١٤ - احد اسفار التوراة التى دونت وجمعت على ايدى كتبة من بنى اسرائيل، كانوا يعيشون في بلاد السراة وما يليها غربا من جبال تهامة ووهادها.

وذلك النص لا يختلف كثيرا عما عرفه علماء المسلمين ومؤرخوهم، ومن اقـدمهم ابن قتيبـة - عبـدالله بـن مسـلم - ٢١٣/٢٧٦هـ (٨٢٨/ ٨٨٩م) - فقد اورد فى كتاب «المعارف» نقلا عما قرأه فى اول سفر من أسفار «التوراة» ما نصه: (ونصب ربنا الفردوس فى عدن، وبها نهر يسقى الفردوس فانقسم على اربعة رؤوس: فيشـون، وهو محيط بارض حويلة كلها، وثم اجود الذهب وحجارة البلور والفيروز واسم النهر الثانى: جيحون، وهو محيط بارض كوش ، والحبش. واسم النهر الثالث: دجلة، وهو الذى يذهب قبل اثور - قال: وهو الموصل، والنهر الرابع: وهو الفرات ، ونصب شجرة الحياة وسـط الفردوس، وشجرة علم الخير والشر، وقال لآدم كل ما شئت من شجرة الفردوس، ولا تأكل من شجرة علم الخير والشر، فإنك يوم تأكل منها تموت).

وليس الغريب حقا ما أتى به الدكتور الصليبى فى شرح ذلك النص فحسب، بل جميع ما بنى عليه كتابه من آراء خالف بها قاصدا جميع ما اشتهر عند علماء التاريخ منذ عرف التاريخ ودِّون حتى عهدنـا، مما اشار اليه فى مقدمة كتكبه من قوله: (وقد تبد مقولة الكتاب فى منتهك الغرابة ليس بالنسبة الى اليهود ةالمسيحيين، بل ايضا بـالنسبة الى

المسلمين الذين اخذوا هذه الفكرة عن اليهود والمسيحيين). وهو يعنى بهذه الفكرة التى بنى عليها تلك الآراء من ان ارض التوراة جزيرة العرب، مدركا قبل غيره ان آراءه ستحدث بلبلة فى افكار الناس لخروجها عن المألوف والمتعارف ـ ص ١٤، ١٩ـ.

إذن فإن الحديث من الدكتور الصليبى ـ حول آرائه تلك ـ ينبغى ان يقوم على اساس ما بنيت عليه، لا الاستناد الى اقوال المؤرخين من قدماء ومحدثين، والى آرائهم لبيان بطلانها، فما الكتاب ـ فى جميع مباحثه ـ سوى نقض لأقوال اولئك وإبطال لآرائهم، وانصراف تام عن كل ما أتوا به مما يخالف ما استخلصه من نتائج تدور فى جملتها حول اثبات ان جميع نصوص التوراة تتعلق بجنوب الجزيرة، وعلى هذا فيحسن الالمام بالنهج الذى سار عليه.

وقد اوضحه فى الفصل الثانى من كتابه بعنوان:

(مسألة نهج) ـ ص ٥٧ ـ.

١ ـ فبدأه بجملة: (كل معرفة صحيحة تتضمن قدرا من نبذ المتداول) وواضح من هذا ان المؤلف يعنى عدم التقيد بما هو معروف ومتداول من الافكار، المتعلقة بالموضوع الذى عني بدراسته.

٢ ـ ووصف اللغة العبرية التى كتبت بها التوراة بأنها لغة مجهولة يجب تفكيك رموزها لا معاملتها كلغة مكشوفة الاسرار ـ ص ٥٨ ـ موضحا أن هناك فرقة من علماء التوراة سماهم (المصورتيين) اضافوا الى النصوص العبرية منها الاشارات الصوتية ، وكانت الكلمات مكتوبة بالاحرف الساكنة، ووصف عمل اولئك بالعناية الفائقة للمحافظة على النص المكتوب بالأحرف الساكنة، وبالأمانة العلمية الدقيقة ـ ص ٥٨ ـ.

٣ ـ أما التحريف الذى دخل على التوراة فالمؤلف لا يعترف منه إلا بادخال الحركات والضوابط ـ ص ١٥ ـ ولهذا فهو يتخذ النص العبرى القديم للتوراة اصلا صحيحا اعتمد عليه فى دراساته.

٤ ـ وقرر فى مواضع من الكتاب ان عمله هو لغوى بحت يعتمد على البحث فى اسماء الأماكن باللغتين العبرية والعربية، ومقارنة الاسماء السامية القديمة باسماء اماكن ما زالت موجودة فى عسير وفى جنوب الحجاز.

٥ ـ ولم يغب عن ادراك الدكتور الصليبى ان هنام فترة تقرب من ثلاثة آلاف سنة تفصل الصيغ التوراتية لتلك الاسماء عن مثائلها الراهنة ـ كذا قال ص ٦١ ـ وهذه الفترة الطويلة لا بد أنها احدثت تغييرات لغوية وتحولات طارئة فى اللهجات، ومن هنا شهدت الأسماء التوراتية بعض التحريف خلال تلك المدة.

٦ ـ واشار الى ان الأبجدية العبرية تقتصر على اثنين وعشرين حرفا، وان من حروفها ما يقابله فى العربية اربعة حروف مثل حروف الصاد والزاى والدال، ومنها ما يقابله ثلاثة كالقاف، ومنها ما يقابله حرفان، واوضح هذا ـ ص ٢١، ٦٢ وما بعدها ـ وسلك طرقا اخرى لا تقتصر على تماثل الاسمين فى اصل الاسم، بل يلجأ الى القول بالقلب مثل (فوط) يراه قلب فاصبح (الطائف) ـ ص ٢٤٨ ـ (محزو): (مزاح) ـ ص ١١٩ ـ (كسلح): (الحسكة) ـ ص ٢٥٠ ـ (سدوم): (دامس) ـ ص ١٤٦ ـ (يرقد): (القراد) ـ ص ٢١٨ ـ.

وتغيير بعض الحروف: (نفتوحين): (الفطاحين) ـ ص ٢٥٠ ـ (شمعون): (شغنون) ـ ص ٣٠١ ـ (قدمن): (الدمجان) ـ ص ٢٦١ ـ.

والحذف مثل: (جعلد): (الجعد) ـ ص ٢٥٠ ـ والتحريف: (هـ مفقد): (العد) ـ ص ١٨٧ ـ الى غير ذلك من التصرف فى بنية الأسماء حتى يتم التطابق بينها فى الصورة أو التقارب ولو ببعض الحروف.

٧ ـ ولم يغرب عن ذهن الدكتور الصليبى ان التوافق بين اسماء الأماكن فى التوراة ومثيلاتها فى غرب شبه الجزيرة لا يكفى وحده برهانا على ان غرب شبه الجزيرة كان الأرض الحقيقية للتوراة، فرام من الباحث ان يتأكد اول الأمر من ان التوافق نفسه بين هذه الأسماء لا

يوجد فى مناطق اخرى، وان يتأكد من ان احداث الأماكن التى تحمل اسماء توراتية تتوافق مع الأحداث المعطاة لهذه الأماكن، ومثل لهذا فيما يورده من اسماء ربط بينها وبين حوادث ورد ذكرها فى التوراة كنوع الحجر الذى بنى منه قصر سليمان.

٨ ـ وقرر ان علم الآثار له دوره فى اكتشاف ما اذا كان الموقع الموجود فى غرب شبه الجزيرة والذى حمل الاسم التوراتى قد كان بالفعل مسكونا فى الفترة التوراتية المحددة وبأى نوع من المادة الحضارية كان يرتبط وان على علماء الآثار التأكد باكتشافاتهم وبطرقهم الخاصة عن الاكتشافات التى بنيت عليها هذه الفرضية التى يطرحها فى كتابه.

٩ ـ ولم يغفل علوم (الطبوغرافيا) و (الجيولوجيا) والمعادن والمياه والحيوان والنبات ومثّل ذلك بأن الباحث اذا وجد نهرا او جدولا او مجرى ماء فى غرب شبه الجزيرة يسمى (فيشون) فان هذا النهر لا يحتمل ان يكون هو (فيشون) المذكور فى التوراة إلا اذا كان يمر على منطقة يمكن العثور فيها على الذهب فى الماضى، واحال الى «سفر التكوين»، كما مثَّل بأن (سدوم) و (عمورة) لم تكونا بلدتين قديمتين على شاطىء البحر الميت فى فلسطين لعدم وجود اي اثر لبراكين قديمة هناك، علما بأن النار التى احرقتهما على ما تقول التوراة كانت نارا بركانية، فاذا وجد الباحث اسميهما فى غرب شبه الجزيرة فعليه ان يتأكد من وجود بركان او آثاره بالقرب من المكان ـ ص ٦٤ الى ٦٦ ـ.

ومن هذه الاشارات ومما فصله المؤلف فى الفصل الذى خصصه لبيان منهجه يتضح ان الأمر بالنسبة لمناقشة الآراء التى اوردها فى هذا الكتاب لا تقف عند حد البحث فى المقارنة بين الاسماء لادراك مدى انطباقها، بل تتطلب الالمام بعلوم واسعة فى التاريخ والآثار، والجغرافيا وطبقات الأرض والمعادن الى جانب التمكن من علم اللغتين العربية والعبرية.

ولا شك ان الدكتور ادرك انه لم يكن محيطا بكل هذه العلوم، ولهذا

ترك الباب مفتوحا امام الدارسين وقرر فيما قرر ـ فى خاتمة الكتاب ص ٢٩٥ ـ بأنه اذا قامت دراسة جديدة للتوراة على اساس هجر التقاليد البالية، بالاضافة الى اتباع منهج اوضح ـ فانه لا بد ان يتجلى الكثير من الغموض، ليس عن تاريخ التوراة فقط، بل عن مجمل تاريخ الشرق الأدنى، اذ يصبح من المستطاع الوقوف على حقائق لا نهاية لها بشأن التاريخ القديم لمصر والشام والعراق، ناهيك عن تاريخ شبه الجزيرة حيث ترسخ ـ على ما يبدو ـ اقدم الجذور واعمقها لحضارة العالم.

وعلى ما تقدم سأحاول ان اتناول جوانب مما ورد فى كتاب الدكتور الصليبى، سائرا على النهج الذى رسمه هو فى استنتاج افكاره. وأنا بهذا لا اتحدث الى اولئك الذين ينظرون الى آراء الدكتور باعتبارها باطلة من اساسها لمخالفتها ما اجمع عليه علماء التاريخ فى قديم الزمان وحديثه، ولكننى اريد من الدكتور الصليبى ومن المتأثرين بآرائه ـ سلبا او إيجابا ـ اعتباري مشاركا فى دراسة هذه الأبحاث التى اقل ما توصف به انها احدثت بلبلة فى الأفكار يرى المعنيُّ بها انه بحاجة الى ما يزيلها من التعمق ومواصلة البحث لابراز الحقائق مجردة من كل غاية لا تهدف الى ذلك، غير متأثرة بأية نزعة من النزعات العاطفية.

ولم اجد غضاضة فى التعبير عن سرورى لو صح ما اضافه الدكتور الصليبى الى بلادنا من امجاد، باعتبارها موطن التوراة، ومهد قدماء الرسل من عهد آدم وداوود وسليمان وموسى، تضاف تلك الأمجاد الى ما شرفها الله تعالى به من كونها مهد رسالة خاتم الرسل واشرفهم محمد ـ عليهم الصلوات والسلام.

جـنـة آدم:

تتفق نصوص الكتب السماوية ـ القرآن والتوراة ـ على كون آدم عاش فى الجنة ثم اخرج منها، ويقع الاختلاف بين المفسرين لتلك النصوص فى موقع هذه الجنة هل هي فى السماء أم فى الأرض، وهل هي الجنة التى وعد بها المتقون.

وجمهور علماء المسلمين على انها هي التى فى السماء وهي جنة المأوى، ويرى آخرون من علماء المسلمين بأنها كانت فى الأرض، وانها ليست جنة المأوى، وهذا الرأى يتفق مع ما فى التوراة التى فى ايدى اهل الكتاب، ويورد ابن كثير فى «البداية والنهاية» الأدلة على الرأيين ثم يضيف - ١/ ٧٦ - (وذكر الهبوط فى قوله تعالى: «اهبط منها» لا يدل على النزول من السماء لأن الله تعالى قال: «قيل يا نوح « اهبط بسلام منا» وإنما كان فى السفينة وقال تعالى «اهبطوا مصرا فإن لكم ما سألتم».

وصلة الانهار التى تقدم ذكرها بالجنة ورد فى حديث رواه مسلم فى صحيحه عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «سيحان وجيحان والفرات والنيل كل من انهار الجنة»، وفسر العلماء الحديث بأن هذه الأنهار تشبه انهار الجنة فى صفائها وعذوبتها وجريانها، وغير ذلك من الصفات، واوضحوا انها هي الأنهار المعروفة الآن، فجيحان وسيحان النهران اللذان ينبعان من بلاد الروم ثم يجتمعان عند مدينة اذنة، ويصبان فى البحر الأبيض المتوسط بقرب طرسوس، والنيل والفرات النهران المعروفان.

ومما تنبغى ملاحظته ان كثيرا من الأقوال المنسوبة الى التوراة وجدت لدى بعض المفسرين من القبول ما دفعهم الى إضافتها الى كتب التفسير، وموقف المسلمين إزاء ما ينقل عن اهل الكتاب واضح، فما وافق الحق فهو حق يجب قبوله، وما خالفه فهو باطل يجب رده، وما لم يتصف بإحدى الصفتين فينبغى التوقف فيه.

هذه مقدمة ليست فى صميم البحث وإنما دعت المناسبة لايرادها توطئة للتباحث مع الدكتور كمال الصليبى فيما سبق ايضاحه من آرائه.

١ - قرية الجنينة: جنة عدن

حاول الدكتور الصليبى - ص ٢٧ - تطبيق النص الذى قرأه فى «سفر التكوين»: (وغرس الربُّ جنة فى عَدْنٍ شرقا ووضع هناك آدم)

وقال إن نص الأصل: (الله يهوه جن) طبقه على طريق الجنينية التى وصفها بأنها لا تعتبر جنة بمقاييس عصرنا الحاضر، ولكنها جنة بالنسبة الى ما يليها من البرارى القاحلة، واستدل بان فلبى فى كتابه: ARABIAN HIGHLANDS,PP — 29 — 31 سماها جنة عدن، ولم يأت فى الفصل الذى خصصه لهذا الموضوع بأكثر من إيراد النص من «سفر التكوين» ووصف فلبى، والاستدلال بأن كتبة التوراة كانوا يعيشون فى بلاد السراة وما يليها غربا من جبال تهامة، فهى فى رأيه تقع شرقهم، وخلص اى ما يشبه الجزم بأن (جن) فى العبرية القديمة المعبر بها عن الجنة تطابق اسم (الجنينة) التى تقع شرقا بالنسبة لمن يكون فى السراة.

ولكن ألَايحق أن يوجه للدكتور هذا السؤال، ولم تخصيص هذا الموضع وهناك مواضع كثيرة يطلق عليه اسم (الجنينة) تقع شرق السراة - وبمعنى ادق - بمواقع مماثلة من حيث النسبة للسراة لموقع الجنينة؟!

فهناك مثلا (الجنينة) موضع من حرة خيبر مطل على وادى الحناكية (نخل قديما) من الشمال، وهذا الموضع متصل بمنطقة عرفت فى القديم بأن من بين سكانها يهود، ثم هو فى الوقت نفسه ليس بعيدا عن موضع يسمى (عدنة) يقع شرقى الحرة شمال وادى الرمة، وهو ابلنسبة لمن فى سراة بلاد عسير يماثل موقع الجنينة من حيث الجهة؟! ومن المواضع ايضا:

الجنينة روضة فى نجد بين ضرية وحزن بنى يربوع،
والجنينة صحراء باليمامة،
والجنينة قرب وادى القرى.
والجنينة فى عقيق المدينة.
والجنينة ثنى من وادى السرير،
والجنينة من قرى أجا.

ومعروف من الناحية اللغوية ان الجنينة فى الأصل وصف مشتق من الجنة التى هي الحديقة والبستان، ثم اصبح من الاسماء المألوفة التى يكثر استعمالها.

هذا بصرف النظر عن كون الجنينة التى هي من قرى بيشة ليست فى متسع من الأرض؛ وليبس لها من صفات الجنة ما يميزها على غيرها، والأوصاف الواردة فى التوراة عن (الجنة) تبرزها مكانا يحله اصناف من الخلق وهو ذو انهار واشجار كثيرة.

ومادة (جن) قد تكون من الكلمات التى اتفقت فيها اللغتان العبرية والعربية، ولكن مترجمى «التوراة» الأوائل اوردوا كلمة (الفردوس) بدل (جن) كما فى النص الذى نقله ابن قتيبة قبل ألف عام عن «التوراة».

٢ ـ عَدْن:

وكان نهر يخرج من عدن ليسقى الجنة.

فسر الدكتور الصليبى هذا النص كما قرأه فى «سفر التكوين» تفسيرا استنتجه من وجود اسماء متباعدة، فقد تخيل ان اسم وادى تبالة كان يطلق عليه اسم (فيشون) لأن قرية تسمى (الشوفان) فى مرتفعات النماص على ما قال: وهناك ينبع عدد من روافد وادى تبالة (فيشون) ـ على زعمه ـ وأن هذا الوادى يمر بقرية (العدنة) فيلتقى مع سائر روافد وادى بيشة التى تجرى عبر (الروشن) لتسقى واحة الجنينة ـ كذلك قال الدكتور واستنتج ـ ص ٢٧٣ ـ.

ولكن هناك من الأدلة ما يبطل هذا الاستنتاج ـ احدها: ان وادى تبالة يسمى بهذا الاسم منذ عصور سحيقة قد تمتد الى عصر التوراة، فقد نقل ياقوت فى «معجم البلدان» وغيره ان تبالة الوادى سمى بتبالة بنت مدين بن ابراهيم، وبصرف النظر عن حجة هذا القول، إلا أنه بدون شك يدل على قدم الاستعمال، فلماذا نلجأ الى تسمية من نتيجة الخيال؟!

الثانى: ان قرية (الشوفان) لاتقع فى مرتفعات النماص، وعلى فرض وقوعها فإن سيول تلك المرتفعات لا تنحدر الى تبالة بل تنحدر الى واد ترْج الذى يجتمع بوادى بيشة قبل اجتماع وادى تبالة ببيشة، ولا صلة لوادى ترْجٍ بقرية الشوفان.

الثالث: أن فروع وادى تبالة تقع فيما بين درجتى العرض ١٥ / ١٩ و../ ٢٠ وتلك الفروع هي وادى سروم، فوادى عقيلان وهما يأتيان من الشمال، ثم وادى رناح من الغرب، فوادى الحفياء فوادى قرف من الجنوب، هذه أشهر روافد وادى تبالة.

الرابع: الربط بين كلمتى (فيشون) و(الشوفان) من الأمور التى لا تجيزها قواعد اللغة، فالأولى: من (ف ش ن) والثانية من (ش و ف) ولكل واحدة منهما معنى يغاير معنى الآخر بصرف النظر عن اطلاق اسم (فيشون) على وادى تبالة مما استنتجه الدكتور استنتاجا لا يقوم على اساس؛ إذ الوادى منذ عشرات القرون معروف باسم (تبالة) كما تقدمت الاشارة الى ذلك.

أما قرية (الشوفان) فسميت باسم ساكنيها ـ وليس اسم موضع قديم ـ وهي على ما هو معروف من قرى العلاية فى بلاد بلْقَرْن.

٣ ـ حويلة:

وينقل الدكتور الصليبى عن التوراة: ان نهر فيشون هو المحيط بجميع ارض حويلة حيث الذهب، وذهب تلك الأرض جيد، وهناك المقل وحجر الجزع.

سبق ان طبق الدكتور اسم (فيشون) على وادى (تبالة) مع الاشارة الى خطأ هذا التطبيق، فأين (حويلة) هذه؟!

يحددها الدكتور ـ ص ٢٧٤ ـ بقوله: حويلة التى قيل: إن فيشون يحيط بها هي اليوم قرية حوالة فى سراة غامد، الى الشمال من النماص، والمسار الرئيسى لوادى بيشة يحيط عمليا بالطرف الشرقى من بلاد غامد ـ إلى أن قال ـ ويبدو ان وادى تبالة كان يعتبر فى الأزمنة التوراتية

المسرى الرئيسى لوادى بيشة، ولذلك يصفه صاحب «سفر التكوين» بأنه يحيط بأرض حوالة.

يلاحظ على هذا أمور:

اولها: التناقض بين رأيين تقدما للدكتور: احدهما انه قال عن وادى بيشة بأنه المعروف فى التوراة باسم (جيحون)، واستدل على ذلك بأن فى حوض هذا الوادى قرية تسمى (آل جحْون) من قرى بنى واهب ـ ص ٢٧٤، ٢٧٥ ـ.

والثانى: انه قال عن هر (فيشون) انه وادي تبالة الذى هو احد فروع وادى بيشة، وهنا خلط بين الواديين من حيث التسمية، وعلى هذا فإن فيشون وجيحون ـ على رأي الدكتور ـ اسمان لمسمى واحد هو وادى بيشة، ومن هنا يظهر التناقض.

الثالث: قرية حوالة الواقعة فى سراة غامد لا صلة لها بوادى تبالة الذى سماه الدكتور ـ ص ٢٧٣ ـ (فيشون) وتخيل هذا الاسم اسما لوادى تبالة، قرية حوالة تقع غرب قرية قدانة (في الخريطة جذانة خطأ) بجوارها، بقرب خط الطول ٤٠/٤١° وخط العرض ٠٠/١٩٠°، وسيلها ينحدر مشرقا نحو وادي شواص، وشواص هذا من فروع وادى رنيه، ويقع فى الشمال الغربى من فروع وادى تبالة الذى يمتد بقرب درجة الطول ٣٠/٤٢° درجة العرض ٠٠/٢٠°.

الرابع: ينعت الدكتور حوالة بقوله: وصحيح ان هذه كانت ارض ذهب فى القدم، وهناك رافد صغير لوادى بيشة يعرف الى اليوم بوادى الذهب ـ ص ٢٧٤ ـ.

وادى الذهب هذا اسمه الصحيح وادى الذهاب، وهو يرفد وادى بيشة بعد ان يجوز الوادى قرية الجنينة بمسافات بعيدة، فقرية الجنينة تقع بقرب درجة العرض ١٥/٢٠°، ووادى الذهاب الذى رسم فى الخريطة خطأ وادى ذهب WADI DIAHAB يجتلع مع وادى بيشة هو وروافد اخرى كثيرة بقرب خط العرض ٣٠/٢٠° شمالا، والوادى له

شهرة باسمه الصحيح فى اخبار ايام العرب فى الجاهلية، ورد فى شعر عامر بن الطفيل ولبيد بن ربيعة وغيرهما، ولا صلة لتسميته بالذهب، ولكن هذا لا يمنع وجود معادن ذهب مشهورة فى منطقة بيشة، منها معدن بيشة الواقع فى شرقيها، ومعادن اخرى ذكرها الهمدانى فى كتابه «الجوهرتين» وغيره.

الخامس: أيَّةُ إحاطة لوادى بيشة بـ (حوالة) التى اعتبرها الدكتور الطرف الشرقى من بلاد غامد؟ إن نظرة إلى هذا الوادى من فروعه حتى مفيضه فى اي مصور جغرافى حوى ذلك الوادى - يتضح منها خطأ رأي الدكتور، كما يتضح ان هذا الوادى بعد ان يتجاوز قرى بيشة يتجه نحو الشمال، يفصله عن شرقى بلاد غامد فروع وادى رنية الكثيرة التى تنتشر فى منطقة واسعة من الأرض.

وكذا فروعه المنحدرة من هذه المنطقة، كلها تنحدر لتجتمع بالوادى، ولا تتجه غربا حيث بلاد غامد فى سراتها وسفوحها المرتفعة لتحيط بها، بل تنحو فى مسارها الأرض المنخفضة حيث المسار الطبيعى للوادى وفروعه.

٤ - جيحون:

احد انهار الجنة المحيط بأرض (كوش).

بصرف النظر عن خلط الدكتور فى كلامه المتقدم بين فيشون وجيحون وهما نهران؛ إذ أطلق اسم فيشون على وادى تبالة - ص ٢٧٣ - وقال عن وادى تبالة: إنه كان يعتبر فى الأزمنة التوراتية المسرى الرئيسى لوادى بيشة - كذا ص ٢٧٤ - بصرف النظر عن هذا، نجد الدكتور يعود فيقول: ان نهر جيحون هو المسرى الرئيسى لوادى بيشة. إذ لا يزال احد روافده يعرف بوادى (جوحان). وهذا الوادى يقع بين خميس مشيط وأبها، وهناك قرية فى حوض بيشة تحمل اسم (آل جَحْوَن)، والاسم الحالى لوادى بيشة يتأتى من قرية بيشة، وكوش المحاطة ارضها بجيحون هي اليوم قرية (الكوثة) بجوار خميس مشيط

التى تجاور وادى جوحان.

هذا القول مبنى على اساس غير صحيح هو ان الاسم الحالى لوادى بيشة يتأتى من قرية بيشة) يوضح هذا:

(أ) ان بيشة اسم أطلق منذ العهد الجاهلى على عرض من اعراض نجد - «صفة جزيرة العرب» ص ٢٤٠ - وهي الأودية التى توجد فيها الزروع والنخيل والقرى الكثيرة، ثم صار الاسم يطلق على اشهر قرى هذا الوادى. وفى عصرنا الحاضر لا توجد قرية فيه تختص بهذا الاسم، واذا اطلق اسم بيشة فإنه يتجه الى اكبر القرى التى تعتبر قاعدة المنطقة ويضاف بعض اثناء الوادى الى من كان يحلها مثل (بيشة ابن سالم) من شيوخ قحطان و(بيشة مشيط) من شيوخ شهران، وأسفل الوادى كان يعرف باسم (بيشة بُعطان) مضافا الى احد روافده وهو (بُعْطان) من اودية خثعم.

(ب) أما آل جَحْون: فاسم حغيث لفرع من فروع بنى واهب من شهران، لا يتعدى مئات السنين، فضلا عن انه يبلغ الآلاف - عهد التوراة -ه

(ج) الكوثة: - وان كانت من قرى خميس مشيط - ولكن محاولة الربط بين هذا الاسم واسم (كوش) ثم القول بأن بقرب (الكوثة) فرعا من فروع وادى بيشة يدعى (جوحان) يحيط بها - كل هذه استنتاجات مبنية على جهل الدكتور بالاسم القديم لوادى بيشة.

ومع ان الدكتور - فى موضع آخر من كتابه - ٩٣/ ٩٤ - بعد ان اشار الى رأى القدماء من مفسرى «التوراة» فى الصلة بين (كوش) و(مصريم) وان المراد بهما الحبشة (مصر).

حاول ان ينفى ذلك وان يؤيد استنتاجاته التى وصل اليها فيقول: والباحث عن (كوش) يجدها فى (الكوثة) قرب خميس مشيط، عبارة عن واحة تقع على مسافة قريبة شرق أبها، فى المنطقة التى توجد فيها قرية (المصرمة).

هكذا استنتج الدكتور وقرر رأيه حول (كوش) وانها (الكوثة) وان (مصر) هي (المصرمة) إلا أن الباحث يقف موقف الحيرة وعدم القناعة إزاء تلك الاستنتاجات القائمة على مجرد التقارب الحرفي بين اسماء لا رابطة بينها، وليس ثمة اعتبارات للفوارق الزمنية السحيقة التى تفصل بين حدوثها ووجود اماكن فى التوراة مضى عليها قرون.

ثم هو يفسر الاحاطة بالقرب من الموضع؛ اذ وادى بيشة بصرف النظر عما اختار له من الاسماء - لا يحيط بهذا الموضع الذى وصفه بأنه واحة تقع شرق أبها، وإنما سيول تلك الجهة تنحدر الى وادى بيشة، لا أن الوادى يحيط بها.

٥ - نهر حِدَّاقل الجارى شرق آشور:

لا يرتضى الدكتور ما اجمع عليه مفسرو التوراة وغيرهم من العلماء من اطلاق هذا الاسم على نهر دجلة، بل يحاول ان يبين خطأ هذا الرأي من حيث بنية الاسم ومن حيث بعد النهر عن الموقع الذى اختاره، ويخلص الى القول - ٢٧٥ - بان اسم (حدقل) ما زال مستمرا فى الوجود كاسم لقرية (آل جحدل) فى مرتفعات سراة عبيدة جنوب شرق خميس مشيط حيث توجد رؤوس مياه وادى تندحة، ولا بد أن وادى تندحة كان فى الأزمنة التوراتية يسمى (حدقل).

انه لا يقف عند حد تكلف التطبيق بين كلمتى (جحدل) و(حدقل) مع اختلاف بنيتهما وتخالف بعض حروفهما، بل يحاول ايجاد اسماء لمواضع منها ما اسمه معروف منذ مئات السنين كما يفعل فى اسم وادى تبالة وكما حاول الآن فى اسم تندحة الذى اوشك ان يجزم حين عبر بكلمة: (ولا بد ان وادى تندحة كان فى الأزمنة التوراتية يسمى حدقل).

لماذا ايها الاستاذ؟ وعلى اي اساس بنيت هذا القول؟!

إن وادى تندحة يعرف بهذا الاسم منذ عهود قديمة، قد تمتد الى العصور المجهولة التاريخ، بحيث عرف به منذ اكثر من عشرة قرون،

ولو رجع الدكتور الصليبى الى احد الكتب التى عدها من مصادره، وهو كتاب «صفة جزيرة العرب» للهمدانى لوجد اسمه مذكورا بما هذا نصه فى الكلام على جرش واحوازها: (ثم تندحة ـ وهي العين من اودية جرش. وفيها اعناب وآبار، وساكنه بنو اسامة من الأزد) انتهى، إذن فالوادى معروف ومعمور وهو ابرز اودية جرش واشهرها، كما يفهم من كلمة (العين).

فعلام نحاول الارتكاز على الأوهام والظنون؟

اما اسم (آل جحدل) فيطلق على فروع من عشيرة تنتسب الى قحطان (مَذْحج) ولا ذكر لهذا الاسم فى كتب النسب المؤلفة قديما لحدوثه فى عصور متأخرة، لا ترقى الى اكثر من بضع مئات من السنين، باعتبار تحديد اهل القرن بثلاثة اجيال على ما قرره علماء التاريخ المتقدمون كابن خلدون وغيره.

ثم انه اسم لسكان القرية، والسكان كما هو معروف عرضة للتنقل، وخاصة سكان الجزيرة لكثرة ما يحدث من القلاقل والفتن فى العصور الماضية.

ويقال مثل هذا حيال رأي الدكتور فى اسم (آشور) فهو لا يرتضى اطلاق الاسم على الأمة المعروفة بهذا الاسم، وعلى بلادها المعروفة، بل يرى ان نهر (حدقل) الجارى شرق آشور هو (جحدل) الذى تقع شرقه قرية (آل ثور). فوادى تندحة يقع شرق هذه القرية.

وفات الدكتور ان قرية (آل ثور) او (آل ابن ثور) تقع على ضفة وادى بيشة بعيدة عن قرية (آل جحدل) الواقعة فى سراة عبيدة، وقرية (آل ثور) هؤلاء تقع على ثنى وادى بيشة المعروف بوادى ابن هَشْبَل، وهي تجاور قرية ابن هشبل من الشمال على ضفة الوادى، وآل ثور هؤلاء بطن صغير من عشيرة بنى بجاد من فرع شهران القبيلة التى ترجع بنسبها الى خَثْعَم.

(تقع قرية آل ثور بقرب الدرجة ٤٠َ/٤٢° شرقا و٣٥َ/١٨° شمالا).

وما اكثر ما يفوت الدكتور فى استنتاجاته مراعاة الفارق الزمنى بين اسماء وردت فى التوراة قبل خمسة وعشرين قرنا واسماء حديثة لا ترقى إلى اكثر من مئات السنين!!

كما يفوته عدم التفريق بين اسماء مواضع ثابتة، واسماء عشاير هي عرضة للتنقل من امكنتها كما حدث مثل هذا لكثير من فروع القبائل التى تسكن تلك المنطقة ومنها: العواسج الذين كانوا يحلون بلدة جُرش فانتقلوا الى وادى ابن هشبل، وعشيرة شِمْران التى كانت فى بلادها القديمة شرقى السراة جوار منازل عشيرة سنْحان اختها فى النسب، فانتقلت إلى اطراف السراة فى غرب بيشة.

٦ ـ الفرات: احد أنهار الجنة.

حين لا يجد الدكتور اسما يتفق مع هذا الاسم فى الحروف ولا يقاربه يجنح به الخيال الى كلمة (الطارفة) إذ يلمح فيها الاتفاق بالراء والفاء، وقد يلمح كون حرف التاء نُطق (طاء) أما التقديم والتأخير بين الحروف فأمر قرره الدكتور من القواعد التى يسير عليها فى تحليل رموزها كلمات التوراة التى لا تزال بحاجة الى تحليل ـ على ما يرى.

وفات الدكتور ان (الطارفة) ليست اسما وان تخيل (انه يطلق محليا على مراكز الامارات بمنطقة بيشة دون غيرها) ـ ٢٧٦ـ.

وكأنه ظن ان استعمال كلمة (الطارفة) خاص بهذه المنطقة، واذن فهناك علاقة بين (طرف) و(فرت) وإلا لماذا اورد هذه الكلمة.

إن كلمة (الطارفة) من الأسماء التى يكثر استعمالها وإطلاقها فى بلاد نجد، حيث يقال: عندنا طارفة من آل فلان ـ أي إنسان فأكثر وجاءنا طارفة من الأمير الفلانى ـ أي احد مندوبيه ـ وفى المكان الفلانى طارفة للحكومة ـ أي مندوب سواء كان فردا أو جماعة، وامثال تلك الكلمات التى تذكر فيها (الطارفة)، فهى ليست خاصة بمنطقة بيشة، وليست علما على موضع هناك، ولا صلة بينها وبين كلمة (الفرات)، إلا إذا أردنا أن نهمل كل مقاييس التفكير الصحيحة مما نربأ بالدكتور عن الوقوع فيه.

٧ ـ نـود:

الموصع الذى أبعد إليه (قايين) بعد قتل اخيه، الواقع شرقى عدنٍ. يقرر الدكتور ـ ٢٧٨ ـ بأنه ليس هناك اليوم مكان اسمه (نـود) الى الشرق من وادى بيشة حيث كانت جنة عدن، فيعمد الى تفسير الكلمة لغويا: ارض (نود) هي ارض التيه أي القفار، والجنينة التي هي جنة عدن هي منتهى العمران فى منطقة بيشة وما يليها الى الشرق هو القفار أي ارض (نود) حيث تاه (قايين) هاربا.

لا اعتقد ان الدكتور الصليبى يجهل ان هذا الموقع الذى وصفه هو حيث يتسع مجرى وادى بيشـــة، ومعروف ان الأوديـــة كلما اتسعت مجاريها اصبحت صالحة للعمران، وان مظاهر العمران فى عصرنا لا يمكن ان يستدل منها على ما كانت عليه فى ســابق العصور، ولهـذا فالحكم بأن ما بعد قرية الجنينة من وادى بيشة يعتبر مقفرا فى تلك الأزمنة السحيقة فى القدم، لا يرتكز على اسس صحيحة، إذ كثيرا ما نشاهد الآن صحارى وقفارا كانت قبل عصور واحات مخصبة كثيرة السكان والعمران، ومن البداهة بمكان ان الأودية تجتمع مياهها فى مغايضها ومفايضها وهناك يتجمع السكان فيحدث العمران حول المياه.

ولم تجر بعد تنقيبات اثرية فى امتداد وادى بيشة من الجنينة الى مغيضة فى الرمال ليعرف مدى العمران فى تلك المنطقة.

وإذن فالحكم بأن تلك الجهة كانت (ارض التيه) لا يزال بحاجة الى ما يسنده من الأدلة.

٨ ـ الكروبيم حراس طريق شجرة الحياة.

معروف بأن الكروبيين عند المسلمين اسم يـطلق على طائفـة من الملائكة، ولكن الدكتور الصليبى يراهم من الكهنـة يتولون حـراسة الجنة وفيها شجرتا الحياة والمعرفة، مما سأحاول إطراف القـارىء برأى الدكتور حول هاتين الشجرتين عند إيضاح رأيه عن (آلهة التوراة أين كانت؟!)

مطالعات فى كتاب

ـ ٣ ـ

بلاد السراة مهد آلهة التوراة

الحديث عن الآلهة فيه ما فيه، وهو لجفافه بحاجة الى الاستطراد بذكر ما هو ادعى لاراحة ذهن القارىء، وكان الانسان فى عصوره الأولى ـ إلا من عصم الله ـ يعبد أربابا ولا يوحد الاله المستحق للتوحيد، وكان يتخيل ان تلك الأرباب لها طبائع البشر فى جميع اعمالها.

وكنت أذكر أول عهدى بالدراسة فى «المعهد السعودى» بمكة المكرمة أننى عرفت الأستاذ محمد حسن عواد ـ رحمه الله ـ عرفته دمث الأخلاق متحببا إلى الشباب، يأنس بهم، ويسرُّ بمن يزورنه منهم فى بيته، وكان يسكن فى قاعة الشفاء فى اول الشارع الممتد من الحلقة الى الفلق، فى حجرة صغيرة اتخذ منها مجلسه ومكتبته وموضع نومه، ولم يكن ضنينا بإعارة ما لديه من كتب على قلتها..

وكان مما استعرت منه كتاب «الالياذة» لشاعر اليونان المشهور هوميروس، معربة شعرا بقلم الاستاذ سليمان البستانى.

ولعل فى سهولة شعر البستانى ووضوح معانيه ما استهوانى إلى مطالعة ذلك المجلد الضخم، أو لعل ذلك لما يحويه من قصص خرافية عن بطولات الأغريق التى ترتفع فى كثير من الأحيان فتتصل بآلهتهم فتصورها صورا مستوحاة من حياة ذلك الشعب ـ والخرافات يجتذب النفوس ما فيها من خيال..

ادركت مما قرأت فى ذلك الكتاب أن قدماء الأغريق يعبدون آلهة

متفرقين لهم كبيرهم الذى يدعونه زفس «زيوس» ولكل مظهر من مظاهر الحياة إله، فللجمال عندهم إله وللحب وللشعر وللحكمة وللحرب ولغيرها.. ولهذه الآلهة امكنة تستقر فيها هي قمم الألمب «اولمبيا» ومن هذا الاسم ومما كان يقيمه قدماء الأغريق من احتفالات بأربابهم استمرت حتى تبلورت فى هذا العصر بالالعاب الرياضية «الأولمبية» التى تقام فى اوقات محددة من الزمن.

وما كنت اتصور ان القدماء الوثنيين في بلادنا من الأحوال والخرافات المتصلة بمعبوداتهم مثل ما لقدماء اليونان، وان مهد تلك المعبودات جبال السروات، لا امكنة العبادة المعروفة فى العصور القديمة حتى قرأت الفصل الذى خصصه الدكتور كمال الصليبى فى كتابه للحديث عن آلهة السراة ـ بعنوان «ملكي صادق وآلهة الشراة» ـ ص ٢٢١ إلى ٢٣٤ ـ وهو الفصل الثانى عشر.

ولقد حاول في هذا الفصل إبطال ما يعتقده اليهود والمسيحيون من وجود كاهن معاصر لابراهيم يدعى «ملكى صادق». وذلك بتحليل النصوص العبرية من كتاب «التوراة» بطريقة لغوية تخالف ما عرف عن علماء اهل الكتاب فى جميع العصور. وهذا الأمر قد لا يعنى الباحث كثيرا، فهو لا يأتى بجديد عما عرف من طريقة الدكتور كمال فى تحليله للأسماء وللكلمات القديمة تحليلا يعتمد أكثر ما يعتمد على فهمه هو للنص ولمفرداته، بل على تمكنه من حل «لغز» تاريخى يتعلق بالأصول الوثنية المنسوبة للديانة اليهودية فى غرب شبه الجزيرة ـ ٢٢٩ ـ وتأثير ابراهيم ـ عليه السلام ـ فى زعزعة تلك الأصول، وإن لم يشر بصراحة الى نبوته، وقيامه بنشر الملة «الحنيفية» ولم يتعرض بتوسع لايضاح الجهة التى قدم منها الى غرب الجزيرة مع انه قرر ان «شلم» ما هي سوى قرية «آل سلامة» بجوار بلدة «النماص».

ثم عرض لأسماء الآلهة الواردة فى التوراة واستخلص مما عرض

منها ـ ص ٢٢٩ ـ ان استعراضا سريعا لأسماء الأمكنة التى تبدأ بـ «آل» مع مقارنتها مع «عل ـ العبرية بمعنى إله» ـ فى غرب شبه الجزيرة ناهيك باسماء الأماكن التى لا تحصى والتى تبدأ بأداة التعريف العربية «ال» التى يمكن ان نفهم منها على انها استمرار في الوجود للعبرية «عل» ـ يمكنه ان يبين ان تجمع آلهة غرب شبه الجزيرة فى الأزمنة القديمة كان يبلغ مئات من الآلهة.

تلك نتيجة ما توصل إليه الدكتور كمال من مجمل بحثه فى هذا الفصل، وعلى هذه النتيجة بنى آراءه التي تتلخص فى «أن كل اسم مبدوء بـ «آل» أو «ال» له صلة بالكلمة العبرية «عل» بمعنى «إله»».

ثم لا تسل على هذا الأساس عن كثرة الأسماء التى تبدأ بإحدى الكلمتين المذكورتين سواء من أسماء المواضع أو اسماء الأسر التى اصبحت اسماء آلهة..

وقبل عرض نماذج لما قرر الدكتور الصليبى بأنها اسماء عبرية قديمة وردت في «التوراة» لألهة كانت تعبد قبل انتشار دين التّوحيد. وبقيت متداولة إلى عهدنا فى بلادنا لا باعتبارها اسماء آلهة بل اسماء أسر ومواضع ـ قبل ذلك اشير بإيجاز إلى أن ما افهمه ـ من قواعد اللغة عدم صحة نتيجة الدكتور كما يتضح هذا بالرجوع الى الكتب اللّغوية حيث يتضح:ـ

١ ـ أن الآل ـ من «ال ل»: فى اللغة العربية قد يقصد به الرب أو الاله، وفى الكلام المنسوب إلى ابى بكر الصدّيق ـ رضي الله عنه ـ حين سمع كلام مسيلمة: إن هذا لم يخرج من إلٍّ.. ومثله ما نقل عن ابن الكلبى من ان كل اسم يختتم بـ «إل» أو «إيل» فهو مضاف إلى الله، مثل: جبرإل، وميكاإل: «جبرائيل وميكائيل».

وهذا الاستعمال لكلمة «إل» مما اتفقت فيه اللغات السامية القديمة العربية والعبرية وغيرها ـ انظر «المعجم الكبير» ١ / ٤٢٦.

٢ ـ أما كلمة آل فهي من «اول» ومعناها «أهل».

وعلى ذلك فالكلمتان ليستا من اصل واحد، إلا أذا أراد الدكتور الصليبى أن يُؤصل الكلمات على طريقة جديدة مبنية على تماثل بعض الحروف في الكلمات المتباعدة الأصل. وهذا باب واسع لا يفتح المجال للعبث بقواعد اللغات فحسب. بل يوقع في بيداء مُضِلَّةٍ من الأوهام، تقوم على اساس اطراح مقاييس العقل والمنطق فى جميع نواحى التفكير، وما اظن ان الدكتور يرمى الى ذلك فيما يقدمه من آراء. إلا أن هذا ما استنتجته منها، وأرجو أن أكون مخطئا، إذ الغاية المشتركة هي بلوغ الحقيقة.

وأرجو أن لا يغرب عن ذهن القارىء ما سبقت الاشارة إليه من ان الدكتور الصليبى فى كثير مما اورده من اسماء الأماكن أو اسماء الأسر، وحاول تطبيقه على ما قرأ او فهم من التوراة العبرية لم يراع فى كل ذلك الفوارق الزمنية، بل تخيل أن اسماء هذه الأسر المعروفة الآن والأماكن ترقى إلى آلاف السنين، بدون ملاحظة أن الأسماء التاريخية القديمة قد عُنى العلماء المتقدمون الذين تصدوا لتحديد الأمكنة والمواضع الجغرافية فى جزيرة العرب بتدوين كل ما عرفوا منها وذكرها فى معجمات متداولة معروفة، وفى مؤلفات مخصصة لبيان منازل القبائل، وفى شروح اشعار الشعراء منهم كما أن كتب اللغة تناولت هذا الموضوع من الجوانب التى تعنى بها مما لا يجهله الدكتور الصليبى، إلا أننى لم أره اعاره أي اهتمام، ومن هنا فإن الهوة السحيقة التى تفصل لنا بدون تحرج ولا تردد ما ينبغى أن نعرفه عن بين حدوث هذه الأسماء الواقعة فى الجزيرة وبين الأسماء المذكورة فى التوراة من نحو ثلاثة آلاف سنة تنقض جميع الأسس التى بني عليها آراءه في كتابه «التوراة جاءت من جزيرة العرب»..

ولنا معاشر القراء ان نتساءل: لماذا اغفل جميع المهتمين بتدوين

تاريخ العالم من عرب وغربيين منذ اقدم العصور إلى عصرنا هذا، لماذا اغفلوا ذكر تلك الظواهر الدينيـة فى هذه البـلاد التى قرر الدكتـور الصليبى انها مهد آلهة التوراة، وانه اهتدى بدراساته بحوثه الخاصة الى معرفة العشرات منها وحدد أمكنتها؟!

لا اعتقد أن الزعم بأن الدين الاسلامى إذ قضى بازالة جميع آثار الوثنية انها زالت كلها حتى اخبارها وآثارها، والقرآن الكريم ذكر أشهر الأصنام، ومواضع عبادتها لا تزال معروفة واخبارها متناقلة فى الشعر القديم، وفى كتب التفسير والحديث، بل فى مؤلفات خاصة بها وصل إلينا بعضها ككتاب «الأصنام» لابن الكلبى المتوفى سنة ٢٠٤هـ. ولا نجد فيما وصل إلينا اية إشارة إلى هذه الآلهة التى عرفها الدكتـور الصليبى.

وآمل ان لا يجد بعض القراء حرجا فى السير خطوات مع الدكتور الصليبى لاقتباس جمل من كلامه تتعلق بأرباب بني اسرائيل على ما ذكروا فى التوراة التى يراها الدكتور إنما كتبت وجمعت عـلى ايدى اناس من البشر. فعلماؤنا المتقدمون نقلوا أوثان الجاهلية وأوصافها وتحديد امكنة عبادتها إيضاحا لما جاء فى القرآن الكـريم وفى السنة المطهرة وفى الشعر القديم من اخبارها.

الاله «يهوه» إله بني اسرائيل:

يحاول الدكتور الصليبى أن يبين اشتقاق هذه الكلمة من اللغتين العبرية والعربية، فيقول ـ ص ٢٢٨ ـ «والصحيح أن اللفظة العبرية «يهوه» يجب ان تقرأ على انها صيغة الفعل المضارع من فعل «هيه» أي «كان».

ولكنه يعود . ص ٢٣١ ـ فيقول: وما زال الباحثون يختلفون حول معنى «يهوه» ومعظمهم يعتبر الاسم صيغة المضارع من «هيه» بمعنى: هو يكون، ويمكن تفسير الاسم بكل بساطة كاسم فِعْلٍ على وزن «يفعل»

من الجذر «هوه» وليس «هيه» أي كان، والجذر هذا يفيد بالعبرية والعربية «هوى» معنى السقوط، وهو ايضا بالعربية بمعنى الصعود والارتفاع، ومنه «الهواء» وبذلك يصبح «يهوه» من مفهوم هذا الاسم إله الرفعة والعلو والشموخ».

قد لا يعنى القارىء ما فى كلام الدكتور من اضطراب من كونه وصف كلمة «يهوه» بأنها صيغة مضارع، ثم وصفها بأنها اسم فعل فى آن واحد..

وقد لا يعنيه ايضا انه خلط بين اصل كلمتين احدهما: واوي «هوه» والآخر يائي «هيه» وما اورده من المعانى اللغوية لا ينطبق على الكلمة الواوية «هوه».

وقال عن هذا الاله «يهوه»: إنه محدد بشكل مميز على انه «شلوم»، واورد من «سفر القضاة»: أن جدعون بنى له مذبحا فى «عفرة» فى مكان لأناس من «عذر» وفسر هذا ـ ص ٢٢٦ ـ: «عفرة» هي اليوم «العفراء» فى منطقة النماص ـ و«عذر» هي «العضرة» فى بنى عمرو الى الشمال من النماص، ولا شك أنها «عذر» التوراتية ـ ومن الواضح ان المذبح الذى اقامه جدعون للاله «يهوه شلوم» لم يكن غير آل سلامة فى جوار النماص وهي «شلم» المذكور من «سفر التكوين».

ثم اضاف ـ ص ٢٢٨ ـ: ولهذا الاله مقام في «صدق» كما فى «المزمور السابع» وصدق ربما كان قرية «صديقة» فى منطقة جيزان.

وذكر ـ ص ٢٢٧ ـ من صفات هذا الاله والقابه «أبى عد». واضاف: وقد استمر هذا لاله فى الوجود كاسم لقرية ابو العيد فى منطقة جيزان.

وقال: وأكيد ايضا ان «عل جبور» هو اسم إله مماثل لـ «شلم» و «أبى عد» استمر فى الوجود كاسم لثلاث قرى ببلاد عسير تدعى آل جبار إحداها فى منطقة تنومة والثانية فى سراة عبيدة والثالثة فى منطقة المجاردة.

وتسأل الدكتور الصليبى: وعلى أي أساس تمكن من الوصول إلى هذه النتائج التى يعبر عنها كحقائق ثابتة؟! فيجيبك من خلال كتابه: لا شيء سوى التشابه بين الأسماء والتحوير فى بعضها ليتقارب تشابهها وما أوهى اساس نتيجة تبنى على هذا!

أما وقد كاد السأم ان يصرف القارىء عن الاستمرار فى السير مع الدكتور بطريقة جادة فإن استعراض بعض اسماء الأسر والقرى التى رفعها الدكتور الصليبى إلى مصاف الآلهة قد يكون فيه ما يريح الذهن..

١ ـ آل الأعلم: وتنطق بتسهيل الهمزة «لعلم» من قرى آل بورياع من بنى شهر تقع شرق النماص. هي عند الدكتور اسم الاله «عولم» ـ ص ٢٢٥، ٢٣٠.

٢ ـ آل جبار اسم يطلق على ثلاث قرى فى بلاد عسير: الاله «عل جبر» الذى ينتظر قدومه بنو اسرائيل ـ ٢٢٧، ٢٣٠.

٣ ـ آل حي وآل حياة: اسماء قرى فى السراة وفى منطقة ظهران الجنوب: إله الحياة القديم «حييم» ـ ص ٢٨٠.

٤ ـ آل دعيا: اسم قرية فى سراة بنى عمرو غرب وادى بيشة وهو اسم إله المعرفة «هـ ـ دعه» ـ ص ٢٨٠.

٥ ـ آل دغمان: قرية في بلاد ظهران: «عل دغْمن» الاله «داجون» ـ ص ٢٣.

٦ ـ آل ذبابة: قرية من قرى خميس مشيط وكذا قرية ذبوب وذبابة فى منطقة جيزان: «عل ذبب» المذكور فى «سفر الملوك» الثانى باسم «بعل زبوب» ـ ٢٣٢.

٧ ـ آل الرهوة: من قرى رجال المع: إله الفوهة المائية «البئر» أي إله الري ـ «إيل رُئي» فى «سفر التكوين» ـ ص ٢٣٠.

٨ ـ آل الزرعى: قرية فى اسفل وادى الغيل الى الجنوب الشرقى من

القنفذة: الاله «ءل زرع» ـ ص ٢٠١.

٩ ـ آل سادى: من قرى منطقة ظهران الجنوب: «ءل سدى» ـ ص ٢٣٠.

١٠ ـ آل سرة: من قرى منطقة أبها: «يسر ءل» ـ ص ١٩٦.

١١ ـ آل سكوت: قرية فى سراة بني عمرو شمال النماص: الاله «سكوت» ـ ص ٢٣١.

١٢ ـ آل سلامة: قرية بجوار النماص: الاله «شلم» ص ٢٢٥، ٢٢٧، ٢٢٩، ٢٣٠.

١٣ ـ آل علم من قرى تنومة فى عسير: الاله «عولم» ـ ص ٢٩.

١٤ ـ آل عليان: قرية بمنطقة النماص: الاله «عليون» «ءل لين» ـ ص ٢٢٥.

١٥ ـ آل الغبران: فى منطقة ظهران الجنوب: «ءل غبرن» اي إله العبرانيين ـ ص ٢٣٨.

١٦ ـ آل فرزان: من قرى بنى شهر فى بلاد عسير: «ءل فرزن» ـ ٢٦١.

١٧ ـ آل كنعان فى وادى بيشة: «ءل كنعن» إله الكنعانيين ـ ص ٢٦٢.

١٨ ـ آل كوعان: من قرى سراة عبيدة: الإله «كيون» . ص ٢٣١.

١٩ ـ آل مفتلة: قرية فى منطقة البرك: «ءل مفتل» اي إله «نفتلى» ـ ص ٣٠٢.

٢٠ ـ آل هاشم: من قرى المكارمة بمنطقة نجران «ءل نوشى هشم» ـ ص ٢٣٤.

٢١ ـ آل هية: من قرى منطقة النماص: ربما كان مقاما للاله «يهوه» ـ ص ٢٣٠.

وحسب القارىء هذه النماذج لأسماء الآلهة التى يرى الدكتور الصليبى انها تبلغ المئات فى بلاد السراة مما لا يزال معروفا منها ـ إلا أنها ـ فى الواقع ـ تربو على الآلاف فى تطبيق القاعدة التى اتخذها

اساسا لاستنتاجاته باعتبار كل اسم مبدوء بـ «ال» أو «آل» له صلة بالكلمة العبرية «عل» بمعنى «إله».

ليس معقولا ان الدكتور كمال الصليبى - وهو هـو حيث مكانتـه العلمية - على درجة من الجهل باللغة العربية بحيث لا يميز بين مدلول كلمات «عل» العبرية و«ال» و «آل» العربيتين إو انه لا يدرك ان القرى المبدوء اسمها بإحدى الكلمتين العربيتين كانتةتحمل اسم سكانها فى اول الأمر، وان هؤلاء السكان فى جميع تلك القرى التى تناول اسماءها بالدراسة ما هى سوى اسر صغيرة نشأت منذ عصور حديثة، يتضح هذا بالرجوع إلى كتب النسب التى الفت فى القرن الثـانى الهجرى، فذكرت اصول تلك الأسر مفصلة منذ العهود القديمة حتى ذلك العصر، ولم تذكر احدا من تلك الأسر لأنها لم تعرف فى ذلك العهد.

إلا ان الدكتور الصليبى لا يتنكَّب فى سيره عن النهج الذى رسمه هو، ولو افضى به الى متاهات توقع فى الحيرة والضلال، كصحراء ابى الطيب:

يـتـلَوَّنُ الْخِــرِيّــتُ مــن خِــوْفِ التَّــوى
فــيـهــا كــمــا تَــتَــلَوَّنُ الْحِــرْبَــاء

إنى لا اخال احدا قرأ او سمع طرفا مما عرض أو اورد من تلك الأسماء فى كتاب «التوراة جاءت من جزيرة العرب» إلا وتعتريه حالة ارتياب وشك اكان المؤلف جادا فيما يتحمس لتقـريره وإيـراده من الآراء؟ أم انه فى كل م يقول ويقرر يداعب عقول القراء بما هو اقرب إلى خيال الشعراء منه الى حقائق العلم.

فالشجر النابت الثابت فى الموقع الذى حدده واختاره مكانا لجنة عدن لا يلبث ان يبلغ مصاف الآلهـة، ثم يتقمص من مظاهـر البشر وصفاتهم ما يبقى به خالدا على مر العصور فى أُسر حية متناسلة، وفى

قرى متجددة العمران على تفرقها وتباعد ما بينها.

إن شجرتى «الحياة» و «المعرفة» المغروستين فى جنة عدن «الجنينة» بمنطقة بيشة - بزعم الدكتور الصليبى - المذكورتين فى «سفر التكوين» من «التوراة»: وانبت الرب كل شجرة شهية للنظر وجيدة للأكل. وشجرة الحياة «حييم» وشجرة معرفة الخير والشر «دعه».

ان هاتين الشجرتين ما هما سوى رمزين إلى «إله الحياة» و«إله المعرفة» وهذان الرمزان يتجليات للعيان منذ آلاف السنين الى عصرنا الحاضر فى هذه القرى المتفرقة فى مناطق بيشة، وجازان، وظهران الجنوب. - ٢٨٠ -.

اترى القارىء بحاجة الى الاسترسال فى الاستمتاع بمثل هذا الخيال؟!!

□□□

مَاجَاء بـه الصَليـبى أشَبه بـمَـن ألقى بحَجرٍ صَغيرٍ فى خضـمٍ عظيـم

لا مراء فى ان الصليبى نظر إلى تلك التوراة التى عرفها ووصفها بأنها من صنع البشر فسلك النهج القائل: «خذ رَفْشَكَ واتبعني» وحاول ـ ما استطاع ـ أن يأتى بكل وسائل الزعزعة والتشكيك على جميع ما أثر عن علماء الأديان على اختلاف نِحَلهم، منذ عرفت الأديان، وما عرف عن علماء التاريخ بصفة عامة، بحيث لا يصح وصفه بأنه جامل قوما على حساب آخرين، أو خدم بتلك الآراء اتجاهات معينة، أو أتى بحقائق من العلم تصلح لتتخذ أساسا لما حاول زعزعته وإزالته فيكون لتلك الحقائق ما يحدث الرهبة فى النفوس، وغاية ما في الأمر فى رأيى ـ انه فيما أتى به اشبه بمن ألقى بحجر صغير فى خِضَم عظيم، لا تلبث تلك الفقاقيع التي تطفو فوق مائه من اثر إلقاء ذلك الحجر أن تتلاشى بنفسها.

وما أريد بهذا أن أنظر إلى استاذ له مكانته العلمية نظرة استخفاف أو ان اقف من آرائه موقف استهانة، مما لا يتفق مع ما يجب للعلماء من احترام ما لم تتضح لهم من الغايات والأهداف ما يحمل على تغيير ذلك الموقف.

وكل ما استطعت إدراكه ـ من خلال مطالعتى في كتاب الدكتور الصليبى ـ وإن جانف ما اصبح عقيدة راسخة في نفسى مما اكتسبته

من معارف وعلوم ـ اظهر لي أن الدكتور كما وصف نفسه في مقدمة كتابه ـ ص ١٩ ـ «وجل ما في الأمر أنني اجتهدت قدر الامكان.. وليس بالضرورة ان يكون كل مجتهد مصيبا».

أما بواعث هذا الاجتهاد فأسوأها ـ في رأيي ـ إبراز آراء فيها طرافة، وفيها جِدَّة، ولو لم يكن في إبرازها سوى السير على قاعدة «خالف تعرف» وما آسى إن كنت مخطئا في هذا.

سأستمر في عرض نماذج من هذا الكتاب أرى في عرضها ما يكون اوضح دليل لكي يدرك القارىء قدر ما يبديه الدكتور الصليبي في محاولة إقناعه لتقبل آرائه من حجج ترتكز اول ما ترتكز على المقارنة بين الأسماء، وهي مقارنة ما أراني ابعدت النجعة حين مثَّلتها بعمل ذلك الرجل الذي سمع قول الفرزدق:

إن الذي سمك السماء بنى لنا
بَيْتاً دعائمه أعز وأطول
بيت زرارة مُحتَبٍ بفنائه
ومَجاشِعٌ وأبو الفوارس نَهْشَلُ

فقال: ما سمعت بأكذب من بني تميم، زعموا ان هذا القول في رجال منهم، فقيل له: ما تقول أنت؟ قال: البيت بيت الله الحرام، والزُّرارةُ الحجبي، فقيل له: فمجاشع؟ قال: زمزمُ جشعت بالماء، قيل: فأبوا الفوارس؟ قال: أبو قبيس، قيل: فنهشل؟ ففكر طويلا ثم قال: ونَهْشَلُ اشده. ثم قال: نهشل مفتاح الكعبة طويل اسود!!

إن هذا الرجل فسر هذه الأسماء بما اتضح له من معان، أما الدكتور الصليبي فعمد إلى التشابه في الحروف فاتخذها أساسا

للمقارنة، ثم اعطى كل اسم من المعانى ما يلائمه في سياق نصوص التوراة على ما فهم، ولا شيء من ذلك فيما ادركته وفهمته من اقواله.

* * * * * *

إن استقرار آدم قبل الخطيئة ـ كما هو معروف ـ كان فى جنة عدن، وهذه الجنة حسبما توصل إليه الدكتور الصليبى بعد بحث ودراسة واقتناع هي «الجنينة» القرية المعروفة فى منطقة بيشة، وما يتصل بها من الأرض الخالية من العمران هي «نُود» الأرض التي «تـاه» فيها قابيل «قايين» ابن آدم، بعد ان قتل اخاه «هابيل».

وبصرف النظر عن اختلاف المؤرخين فى موقع جنة آدم، وفى المكان الذى استقر فيه بعد اخراجه هو وزوجه منها، وما تناقلوه من ان «نُود» اسم موضوع لا كما يرى الدكتور الصليبى من انه وصف وليس علما ـ فإن كل هذا من الأمور التى لا تزال بحاجة الى مزيد من التعمق فى الدراسة، ولن تقنع النـظرة التى استنتج عنهـا الدكتور رأيـه فيها، فالتشابه بين الأسماء فى العبرية والعربية لم تكن يوما ما اساسا من اسس المعرفة، ومع هذا فما الذي يضير هذه البلاد حين يقرر العلم ـ في يوم من الأيام ـ أنها كانت مهد أبي البشر، وأول بقعة في العالم قام الانسان بعمرانها؟! إن البلاد ـ أي بلاد كانت ـ تسمو ويرتفع قدرها حين يحلها الصالحون الذين يعمرونها بما فيه صلاحها وعـزها من الأعمال النافعة.

ثم ماذا فى أن يأتي الدكتور الصليبى ـ وهو استاذ جامعى معروف ـ فيقـرر ان عددا من الأنبيـاء ممن قررت التـوراة وجودهم كـانوا يسكنون ظهر هذه البقعة من الأرض، وان علماء التوراة لم يهتدوا الى اماكن سكناهم حين زعموها مواضع اخرى فأوقعوا الناس من عهد التوراة الى زمننا في خطأ عظيم من حيث تحديد مساكن اولئك الأنبياء

حتى اهتدى الدكتور الصليبى الى تحديدها إقليما فإقليما، ثم قـرية فقرية؟!

وكما توصل الدكتور الصليبى الى تقرير حقيقة علمية لم يسبق إليها وهي أن اسماء الآلهة المذكورة في التوراة، بل مئات الأسماء الأخرى لها لا تزال باقية ومعروفة فى بلاد السراة ـ وذلك من خلال تحليل كلمة «إل» السامية وانها تعنى «إله» ثم بمقارنتها بأسماء المواضع والعشائر في تلك البلاد ـ فقد استطاع بما يقرر من تلك الطريقة أن يرسم مصورا جغرافيا دقيقا لسير حياة النبي ابراهيم منذ ان وجد حتى استقر فى القرية التى وَارَتْ جسده الطاهر. ولا يعنى الدكتور الصليبى انه فى كل ما أورده عن هذا النبي الكريم اتى بآراء تخالف ما اتفق عليه علماء الأديان من مسلمين ومسيحيين ويهود وما عرف عن جميع المؤرخين منذ عرف التاريخ حتى زماننا.

إن القارىء هنا يدرك ان المسلمين يعتقـدون بأن ابـراهيم خليل الرحمن، وانه أتى بالملة الحنيفية التى هي عبادة الله وحده، وقد عاش اول ما عاش فى ارض الكلدانيين من بلاد بابل فى العراق، ثم هاجر الى الشام، وأتى مصر، وذهب الى الحجاز بابنه اسماعيل مع امه هاجر، حتى وضعها في ارض مكة، ثم بنى البيت العتيق بعد ذلك هو وابنه اسماعيل بأمر الله سبحانه وتعالى، ودعا الناس الي حجه.

وادركته الوفاة فى بلدة «حبْرون» التى عرفت فيما بعد باسم الخليل، وقد عرف قبره منذ ذلك العهد كما قال ابن كثير فى «البداية» ـ ١ / ١٧٥ ـ وهذا تُلُقى بالتواتر أمة بعد امة وجيلا بعد جيل من زمن بنى اسرائيل الى زماننا ان قبره بالمربعة التي بناها سليمان بن داود ببلد حبرون المعروف بالخليل اليوم تحقيقا..

وفي القرآن الكريم وفى الصحيـح من الحديث النبـوى مما يتعلق

بخليل الرحمن ما يجب على كل مسلم ان يتلقـاه بالقبـول، وفى كتب التفسير والتاريخ من الايضاح والتفصيل عن سيرته ما هو معروف.

والدكتور الصليبى قد ادرك بدون شك ما يراه المسلمون ويعتقدونه فى امر هذا النبي الكريم.

ولهذا فهو يحاول ان يستدل بالقرآن الكريم على بعض ما يأتى به من آراء فقد قال ـ ص ١٥ المقدمة ـ: «إن القرآن الكريم يقول بكل وضوح: إن مقام ابراهيم كان بمكة» واحال الى سورة آل عمران الآية ٩٦، مع انه ينظر الى جميع الكتب السماوية والى غيرها من الكتب على اساس «كل معرفة صحيحة تتضمن قدرا نبْذِ المتداول» ومثل هذا النبذ هو الجوهر فى مجال دراساته هذه ـ ص ٥٧ ـ.

وتحدث فى حاشيتـه ـ ص ١٧٥ ـ عن بلدة «حبرون» الواردة فى التوراة التى ترتبط بسيرة ابراهيم الذى وصفه القرآن الكريم بـأنه خليل الله؛ واضاف: فقد قبلت التقاليد الاسلامية التعريف اليهودى والمسيحى للخليـل بأنهـا حبرون ابـراهيم، وقال: بـأن اسم المكان «الخليل» لا يعنى الصديق بل هو تعريب لاسم مكان سامٍ قديم هو «حليل» من حلل فى العبرية أي جوف، وهي تقارب بالعربية «خلل» اي اخترق ونفذ، وتعني كهفا او مغارة فالبلدة الفلسطينية اخذت اسمها فى الأصل من الكهف المعروف المجاور لها الذى كرس فى التقاليد التالية على انه ضريح ابراهيم.

لقد حاول من هذا الكلام التشكيك فيما هـو معروف من ان بلدة الخليل منسوبة الى ابراهيم الخليل ـ عليه السلام ـ وقرر ان اسم ذلك المكام مأخوذ من معنى عبري يقصد به الجوف، او المغارة بالعربية، ومن هنا تنتفي نسبته الى ابراهيم الخليل.

إذن أين حبرون المذكورة فى التوراة؟! إنه يراها قريـة «خربـان» الواقعة فى منطقة القنفذة ويعتبرها عاصمة داود الأولى، بعد ان تمكن

من تحديد مواقع اسماء امكنة اخرى ذات صلة بها مثل «جبعون» التي هي اليوم آل جبعات و «حلقة حصوريم» التى هي اليوم الحلق والصرام في المنطقة نفسها.

ولك أن تقارن بين اسماء تلك المواضع وان تعجب إن كنت ذا عجب!!

ثم استمع الى قصة ابراهيم ملخصة مما يرويه الدكتور الصليبى مع المحافظة التامة على عباراته وما تؤديه من معنى - ص ٢٣٧ الى ٢٤١ - يشكك الدكتور اولا فى صحة اطلاق اسم ابراهيم على نبي الله المذكور فى التوراة ويرى ان الصواب «ابرام» ويقول ص ٢٤١ - يلاحظ ان اسم إبرام «ءبرم» استمر فى الوجود كاسم لموقعين فى المنطقة التى قضى فيها الجزء الأكبر من حياته وهما قرية شعب البرام فى رجال المع وبرمة «برم» فى منطقة القنفذة، ويزعم ان اسم «ابرام» هو الوارد فى «سفر التكوين» ثم تحول بدءا من «الاصحاح» الثانى عشر الى «ابراهيم».

ثم بعد ان يبحث فى اصل كلمة «عبر» التى اشتق منها اسم «العبرانيين» يهتدى الى معنى غريب للكلمة، يوضحه بقوله: من الأفضل ان نضرب صفحا عما قاله العلماء حتى اليوم فى أمر العبرانيين، فنعود الى التوراة لنتتبع قصة ابرام العبرانى، جد الشعوب العبرانية، كان ساكنا في حرش مورة، واسم العبرانيين مأخوذ من «غبر» وفي مرتفعات عسير قرية تسمى قرية آل الغبران في منطقة ظهران الجنوب، يظهر انه الغابات والأحواش التي كان ابراهيم ساكنا فيها، وقد جاء فى سيرته انه وقومه جاءوا من «اوركسديم» ولا بد ان هذا المكان هو «آورية» فى وادى اضم، فانتقل ابرام الى حاران التى يظهر انها خيران فى وادى إضم، وعندها انفصل عن قومه، وتابع سيره باتجاه الجنوب الى جوار «شكيم» وهي الكشمة في رجال المع، حيث

استقر فى حرش «مورة» التى يظهر انها المروة الحالية من قرى بني عبد شحب فى رجال المع. وبعد ذلك انتقل ابرام الى «بيت ءيل» التي هي البتيلة فى رجال المع، ونصب خيمته فى مكان الى الغرب في «هـ - عي» التى هي الغي فى المنطقة نفسها، وكان انتقاله التالى باتجاه «هـ - نجب» التية هي اليوم قرية النقب فى رجال المع، ومن هناك ذهب الى «مصريما» قرية المصرمة بين أبها وخميس مشيط، حيث يقال: انه واجه مشاكل مع فرعه «فرعون» الذى يظهر انه الحاكم المحلى، وكون هذا الاسم اسم إله أمر واضح من اسم قرية آل فراعة فى منطقة بلسمر، ومعبد هذا الاله بلا شك فى المصرامة، ومن هناك عاد ابرام الى «هـ - نجب» النقب فى رجال المع، وكان قد حصل فى المصرامة على ثراء عظيم، ثم تنقل من النقب بين «بيت ءيل» اي البتيلة و «هـ عي» اي الغي ومن هناك ذهب اخيرا ليستقر فى حرش «ممرا» قرب حبرون التى هي اليوم النمرة فى منطقة القنفذة من الخربان «حبرن» فى منطقة المجاوردة.

وبالقرب من النمرة فى منطقة القنفذة بالذات توجد اربع قرى، هي قرية آل سيلان وقرية الشياب وقرية عاصية وقرية عامر، ولا شك ان هذه القرى الأربع هي «قريت اربع» التوراتية حيث كانت سارة «ساراى» زوجة ابرام تقيم عند وفاتها. وفى هذا الجوار توجد قرية مقفلة «مكفلة» حيث اشترى ابراهيم حقلا ومغارة ليدفن فيها زوجته ثم يضيف الدكتور الصليبى: وقد زرت جميع هذه المواقع بنفسى، وتحققت من وجودها فى جوار واحد هذا عن الدقة الجغرافية لقصة «سفر التكوين» إذا ما درست فى ضوء خريطة شبه الجزيرة.

اترى الدكتور الدكتور الصليبى يعجزه على طريقته هذه ان يغير جميع معالم تاريخ العالم؟!

ومن هذه الاسماء التى وردت فى قصة ذلك النبي الكريم كما عرضها الدكتور الصليبى، وانتهى الى دراستها إلى نتائج منها:

١ ـ «العبرانيون»: ليسوا الشعب المشهور منذ اقدم العصور، بل المقصود بهذا الاسم قرية تدعى «آل الغبران» نسبة الى سكانها، واقعة ف ظهران الجنوب بمنطقة إمارة بلاد عسير، حدثت ف عصور متأخرة.
٢ ـ «اوركسديم»: ليس اور الكلدانيين ف العراق بل هو «ورْية» القرية الصغيرة الواقعة ف وادى اضم من قرى آل فقرة، وعدم ورود اسمها في المصادر القديمة من كتب اللغة ومعجمات الأمكنة يدل على حدوثها..
٣ ـ «حرن»: اسم الموضع الذي انتقل اليه ابراهيم الخليل اول ما انتقل، وهو حرَّان ف رأي متقدمى العلماء، ولكن الدكتور الصليبى يراه «خيران» وهذا اسم قريتين ف وادى اضم بمنطقة الليث سكانها آل معاف وآل عيش، والقريتان حديثتان لم يرد لهما ذكر فيما عرفت من المؤلفات القديمة.

٤ ـ «شكم»: المذكورة ف التوراة بقرب حران هي قرية الكشمة من قرى رجال المع، ووقع الاختيار على هذه القرية مع ان الاسم يطلق على غيرها لقربها من منطقة الليث.
٥ ـ «مورة»: المكان الذى استقر به ابراهيم في حران، هي قرية المروة من قرى رجال المع ولا ادرى لم اختار الدكتور الصليبى هذه القرية نفسها من بين خمس وعشرين قرية تسمى بهذا الاسم؟ ولعل ذلك يرجع لوقوعها بمنطقة رجال المع ، هذه المنطقة التى اراد ان يركز حركات تنقل ابراهيم حولها، مع عدم الصلة اللغوية بين «أور» و«مرو» اصل الكلمتين اللتين حاول الدكتور الربط بينهما.

وقرية المروة هذه ـ التي زعم الدكتور ان ابرام استقر بها ـ محظوظة ف نظره، فقد وقعت فيها على زعمه الحادثة التي وردت ف القرآن الكريم وفي التوراة ف سفر التكوين «منها، حيث اوردها بهذه الصورة: «إن الآلهة أمرت ابراهيم بأن يأخذ ابنه اسحاق الى ارض مورة «هـ ـ مرية» وهي اليوم المروة ليقدمه كمحرقة ف جبال الرب يرى

«يرءه» وهي اليوم «يراء» من قرى بني عبد شحب ف رجال المع، ثم يسوق القصة ويعلق عليها بأن مترجميها لم يلاحظوا الفرق بين كلمتي «إله» و«آلهة» ف اول القصة، وهذا مما قد لايعنى القارىء ف شىء، غير انه ستضطرب مشاعره حين يقارن بين ما قرره الدكتور عن تحديد مكان القصة وبين ما يعتقده كل مسلم من صلة ذلك بالمشاعر المقدسة من مِنى، والدكتور الصليبى ـ وإن كان مسيحى النحلة ـ إلا أنه لا يقيم لنحلته وزنا فيما يبديه من آراء. فما ظنك بما لا يدين به من النحل الأخرى؟!

ولن يعزب عن ذهن القارىء ان الغاية هي عرض نماذج مما قدمه ف كتابه من افكار يتضح تهافتها وضعفها وبطلانها بمجرد عرضها ـ لا الاستدلال على ذلك بإيراد الأدلة وايضاح البراهين:

وليس يصح ف الأذهان شىء
إذا احتاج النهار الى دليل

٦ ـ «بيت عِل»: سبق فيما قرره الدكتور الصليبى ان عِل» تعنى «إله» وعلى هذا يفهم من معنى الكلمة «بيت الاله» ولكنه الآن هنا يرى ان هذا الاسم يقصد به البتيلة، وهذه من قرى رجال المع وهي قاعدة بني قيس منهم ولا صلة لاسم القرية بالاسم العبرى، فهى مشتقة من «بتل» وهذا جذْر لغوي له معان لا تتصل بمعنى الكلمة العبرية.

٧ ـ «هـ ـ عي»: هي الغى، وهذا الاسم يطلق على قرية تدعى المسيل من قرى رجال المع، والاسم في الأصل ليس علما ولكنه وصف موضع مثل: الْجَبيل، والحجاب، والذنب.

٨ ـ «هـ ـ نجب»: هي قرية النقب ف رجال المع، ولا يعنى الدكتور كون الاسم ف الأصل ليس علما، وانه وصف للموضع، ثم اطلق اسما لقرية لبنى عبد شحب من رجال المع.

٩ ـ مصرمة: حين يقرر علماء التاريخ ان ابراهيم ذهب الى مصر، وقابل فرعون فى تلك البلاد، وحدث بينهما ما هو مفصل فى كتب التاريخ، بل فى الكتب المقدسة، يـرى الدكتور الصليبى خـلاف ذلك، فمصر فى رأيه «مصرمة» هي قرية «المصرامة» بـين خميس مشيط وأبهـا من بلاد عسير.

أما فرعون فيراه حاكم تلك القرية، وربما كان الاله المحلى، ويحاول ان يؤيد هذا الرأي بالاشارة الى ان هناك نحو ثمان وعشرين قرية فى غرب شبه الجزيرة تحمل اسم «فرعة» وان كون هذا الاسم اسم إله أمر واضح من اسم قرية آل فراعة في منطقة بني الاسمر، وهناك قريتان تسميان الفرعة بالقرب من أبها حيث توجد قرية المصرمة، ثم يضيف: وبيت فرعة الذى اصيب بضربات عظيمة بسبب ساراي امرأة ابرام كان بلا شك معبد هذا الاله فى المصرمة، حيث اخذت ساراى على انها اخت ابرام وليست زوجته، وربما كان فرعة لقبا لحكام المصرمة في زمن ابرام ـ حاشية ٤ ـ ص ٢٤٠ ـ.

لا تبتئس أيها القارىء الكريم فما هذا الذي عرضته عليك سوى رأي استاذ له منزلتـه، وهو كغيـره من الآراء التى ينبغى ان لا تهز مشاعرك بغرابتها ما دمت لم تر فيها ما يقنعك بقبولها، إنما هي انماط مما اتخذه الدكتور أساسا فى دراسته التى بلغ بها ما عرضته عليك منها.

١٠ ـ حرش «ممرا»: يؤول الدكتور كلمة «ممرا» بأنها «النمرة» بقاب الميم نونا، وهي قرية على ما قال بمنطقة القنفذة، وتلك القرية هي نمرة بدون تعريف من قرى آل منتشر من اعمال العرضية الشمالية بمنطقة القنفذة من القرى الحديثة وكان الدكتور اختصر لي هذا الاسم لقرية من قرية تدعى الخربان من قرى المجاردة فى منطقة تهامة، وللخربان شأن أي شأن!!

١١ ـ «حبرون»: هو الموضع الذى يرى الدكتور ان «ابرام» استقر فيه، لا بلدة حبرون التى بقرب بيت المقدس والتى تعرف باسم الخليل، وحبرون هذه هي التى اصبحت فيما بعد عاصمة داود فى اول امره، فأين حبرون؟ إنه يفصل هذا ـ ص ١٧٥ ـ قائلا: هناك خمسة امكنة تسمى حبرون ما تزال موجودة تحت اسم خبران «خربن» على المنحدرات البحرية لعسير، ومن بين هذه الأمكنة يحتمل ان عاصمة داود كانت قرية الحربان فى منطقة المجاردة التى كانت ذات يوم «حبرون ابرام».

١٢ ـ قريت اربع»: هي قرية آل سيلان وقرية الشباب وقرية عاصية وقرية عامر التى لا يشك الدكتور انها هي «قريت اربع» حيث كانت سارة زوجة ابراهيم تقيم عند وفاتها.

١٣ ـ «مكفلة» لا يجد الدكتور الصليبى صعوبة فى العثور على هذا الاسم، ففى جوار القريات الاربع توجد قرية ولولا وجودها ووجود القرى الأربع بالقرب من الخربان لما امكنه الاهتداء الى معرفة المسميات الواردة فى التوراة، ومما زاده اطمئنانا الى صحة ما اهتدى اليه ان اسم ابرام استمر فى الوجود الى هذا العهد في قريتى شعب البرام وبرمة، الأولى فى رجال المع، والثانية في منطقة القنفذة ـ حيث قضى الجزء الأكبر من حياته فى هاتين القريتين.

وقد تسأل ـ أيها القارىء الكريم ـ وقد مر بك رأي الدكتور الصليبى فى مصر البلدة الواردة في قصة الخليل ـ عليه السلام ـ وانه عنى بها قرية «المصرامة» الواقعة على مقربة من مدينة أبها قاعدة بلاد عسير ـ قد تسأل: وماذا عن مصر وعن عزيز مصر فى قصة الصديق يوسف ـ عليه السلام؟!

وهذا يستلزم من التفصيل فى الاجابة ما يدعو لافراده فى بحث خاص.

الجاسر يرد على الصليبي
مطالعات في كتاب «٥» نظرة أخيرة

عرض آراء الصليبي أقصر طريق لتوضيح ضعفها وتهافتها يأبى الصليبي إلا أن يأتي بمفاهيم جديدة للشعر العربي القديم

أراني ـ وقد امللت بما سردت من انماط آراء الدكتور الصليبي ـ جديرا بان اترك لمن شاء من القراء ان يرجع الى كتابه ليستكمل ما يرغب استكماله من معرفة بقية تلك الآراء التى قد تكون بحاجة الى التعمق فى ايضاح ما لها وما عليها اكثر من سردها، لولا ان النهج الذى سار عليه الدكتور الصليبى فى استنتاج تلك الآراء كان من الضيق بحيث لا يتيح المجال لتناولها من جوانب اخرى.

فهو بعد ان يورد مقدمات متماثلة متشابهة من اول الكتاب الى آخره يستخلص النتائج المتعددة المختلفة من تلك المقدمات المتماثلة.

وبمعنى اوضح فإن كل الآراء التى اتى بها مبنية على اساس المقارنة بين الاسماء الواردة فى التوراة واسماء المواضع والعشائر او الأسر المعروفة فى هذا العهد فى المنطقة التى اختصها بدراسته، فهى مبنية على قاعدة واحدة هي دراسة الاسماء من الناحية اللغوية.

ومن هنا فإن مجرد عرضها هو اقوى الوسائل فى ايضاح تهافتها اذ مجرد الاعتماد على تشابه الاسماء لم يكن يوما ما من طرق المعرفة التى تفضى الى ادراك الحقائق وإن اتخذ فى بعض الأحوال لايضاحها.

ومن السهولة بمكان لكل قارىء ان يدرك من خلال قراءة الاسمين المتماثلين ما بينهما من فوارق لغوية فى الصورة والمعنى والأصل.

ولعلم اللغات اسس وقواعد لا يصح اطراحها كما حاول الدكتور الصليبى فى مواضع كثيرة من كتابه حضارتنا العربية - فى رأى الدكتور الصليبى - لها اسس اخرى، أما فى الغرب فهم يعتبرون الكتاب المقدس «العهد القديم» هو اساس بناء الحضارة العربية - المقدمة ص ٥ -.

من هنا قامت دراسة الدكتور للتوراة، وعلى تلك النظرة بنى آراءه حولها، ولا يعنيه ان تأتي تلك الآراء بالهدم على جميع المفاهيم الموروثة، والدراسات المعروفة منذ اقدم العصور، فقد سلك نهجا لم يسلكه احد قبله، فتمكن من فهم ما استغلق فهمه على غيره من رموز ذلك الكتاب، حتى برزت له حقائق من العلم خفيت على جميع من تقدمه من العلماء والباحثين، ومن ثم اتضح له خطأ نظرة الغربيين الى اصل حضارتهم، وانجلى له - فوق ذلك - كثير من الغموض عن مجمل تاريخ الشرق الأدنى القديم الذى درس على اساس مفهوم جغرافى مغلوط للتوراة، من قبل باحثين غربيين، صعب عليهم كنه اسرار اللغات السامية، فاستطاع الوقوف على حقائق لا نهاية لها بشأن التاريخ القديم للشرق ص ٢٩٦ -.

وما إخال المعنى بدراسة الدكتور الصليبى وقد سير ذلك النهج الذى سلكه - يجد اية صعوبة فى اتباعه، بعد ان اصبح ممهدا مسلوكا، والسير فيه لا يتطلب اختصاصا او تعمقا فى علم اللغات ولا في غيره منو العلوم الجغرافية او الأثرية أو التاريخية؛ انه لا يعدو الالمام بقدر يسير

من معرفة اللغة العبرية من يمكن من قراءة اسفار «التوراة» للاهتداء الى اسماء الاعلام فيها. وما على الباحث بعد ذلك سوى النظر فيما يماثل تلك الأسماء أو يقاربها او يتفق معها ولو ببعض الحروف من آلاف اسماء الأماكن أو القبائل أو الأسر فى العصر الحاضر ـ بدون اعتبار للفارق الزمنى ـ فى اية منطقة يختارها من مناطق هذه الجزيرة العربية الواسعة، مما حوته المؤلفات الحديثة من معجمات الأمكنة واسماء السكان، ولن يعدم بعد ان يبلغ ما بلغ الدكتور الصليبى من نتائج ابرزها فى كتابه «التوراة جاءت من جزيرة العرب».

ويأتى بعد ذلك موقف الباحثين عن الحقائق فيما اعتبره نتائج: انه لا يقدمها تقديم المدل بها أو المطمئن الواثق بصحتها بل عبر عنها بأنها (فرضية) اي على سبيل الفرض والتقدير: (وقبل النظر الى الفرضية التى يطرحها هذا الكتاب كفرضية نهائية سيكون على علماء الآثار ان يؤكدوا الاكتشافات التى بنيت عليها هذه الفرضية بطرقهم الخاصة) ـ ص ٦٥ ـ.

وليت الدكتور الصليبى قدم نتائج دراساته كلها باعتبارها (فرضية)، لكنه فى كثير منها طرحها كقضايا مسلمة، ترتكز على حقائق علمية فيما بدا له، وامثلة ذلك سبق عرض بعضها، ومنها ما يتعلق بيوسف ـ عليه السلام ـ مما احاول تلخيصه خاتمة لهذا البحث:

١ ـ يوسف الصديق احد انبياء الله:

قد اختصه بسورة فى القرآن الكريم، ووردت قصته فى التوراة، واتخذ الدكتور منها وسيلة لدراسة لا تتفق مع ما فى القرآن الكريم، ولا ما هو ظاهر نصوص التوراة، ولا فيما أثر عن علماء التاريخ من جميع النحل:

فالدكتور الصليبي وإن كان يرى ان بنى اسرائيل من الشعوب العربية البائدة ـ ص ١١ ـ والكتاب بجميع فصوله الف لتوضيح هذا،

إلا أن يوسف من اصل آرامى.

ومن الخطأ فى رأى الدكتور الاعتقاد بأن الآراميين من شمال الشام، بل كانوا موجودين فى غرب الجزيرة، وما ورد فى التوراة من انهم عاشوا فى بلاد ما بين النهرين ليس المقصود به نهري العراق بل قرية (النهارين) فى منطقة الطائف، واسم (فدن) المضافة فى التوراة إلى آرام هي الدفينة فى جنوب الحجاز؟ وآرم ذات العماد لعلها قرية (العماد) فى مرتفعات بلاد زهران وهناك قرية أريمة. ومن المؤكد على ما يقول الدكتور - أن أرض آرام فى التوراة تضم الأجزاء الجنوبية من الحجاز، فبيت رحوب وآرام صوبه: إمّا رحاب فى منطقة الطائف والصابة فى وادى اضم، أو رحاب المعتمة والصوبة فى رجال المع، وهي ليست بعيدة عن وادى ورم - ص ٣٠ حاشية وص ٢٢٩-.

وللدكتور الصليبى نظرة الى اصول الأمم المذكورة فى التوراة تغاير نظرة جميع من عنوا بكتابة تاريخ امم العالم فى إرجاع تلك الأصول الى الساميين والحاميين واليافثيين، فهو يرى ان كثيرا من الصلات بين الشعوب والأمم القديمة ما كانت تقوم على اساس تقارب فى النسب بينها، بل كانت خاضعة لعوامل اخرى من ابرزها المصالح التجارية، وهذا ما اوضحه فى محاضراته التى القاها اثناء انعقاد (ندوة دراسة مصادر تاريخ الجزيرة) فى جمادى ١٣٩٧ - نيسان ١٩٧٩م بعنوان (الاطار التاريخى لجاهلية العرب) حيث قال[١]: (التفاهم التجارى بين مملكة اسرائيل فى عهد سليمان وبين مملكة سبأ كان موجها ضد المصالح التى كانت للفينيقيين، وربما شدد العبرانيون آنذاك على انتمائهم الى مجموعة بنى عابر والى الأسرة الابراهيمية من ضمن هذه المجموعة للتقرب من الشعوب التى كانوا يتعاملون معها تجاريا فى الحجاز وبلاد سبأ، ومنها من كان ينتسب الى ابراهيم من ابنه اسماعيل، ومنها من كان ينتسب الى يقطان بن عابر، والجد وهو عابر

المنحدر من سام بن نوح واحد حسب الافتراض. أما الكنعانيون ومنهم الشعب الفينيقى المنافس لبنى اسرائيل فى تجارة البحر الأحمر فأبعدهم النسابة العبرانيون عن الدوحة السامية. والحقوهم مع اوليائهم المصريين ببنى حام الذى حلت اللعنة به وبنسله الى الأبد لأنه تجرأ عى النظر الى عورة أبيه ـ كما يقول «سفر التكوين» ـ انتهى.

وما اخاله ـ خلال هذه الفترة التى لا تتجاوز بضع سنوات ـ غير تلك النظرة، بل ما اراه فى كتابه الذى بين ايدينا إلا زادها اتساعا بحيث شملت جميع الأمم المذكورة فى التوراة، لا من حيث الصلاة المختلفة بينها، بل باعتبارها امما اخرى تختلف فى جميع احوالها عما تعارف عليه المؤرخون عنها منذ عهودهم القديمة.

٢ ـ يعقوب بن اسحاق:

يراه الدكتور من اصل حجازى، ودلل على ذلك باسمه وباسماء زوجاته أمهات بنى اسرائيل على هذا النحو:ـ

١ ـ يعقوب: يقابله بالعربية الاسم القبلى (عقبة) وهناك عدة قبائل فى شبه الجزيرة تحمل هذا الاسم، وهناك قرية اسمها العقب فى سراة زهران، واربع اخرى اسماؤها عقوب وعقيب والعقيبة واليعاقيب كلها فى منطقة الطائف ـ ص ٣٠٠ـ.

٢ ـ بتوئيل جد يعقوب لأمه: هو اليوم اسم قرية بطيلة بسشراة زهران الى القرب من أرْيمة، لأن بتوئيل آراميا، وآرام هي قرية اريمة ـ ص ٢٢٩ـ.

٣ ـ رفقة أم يعقوب: ما زالت قرية الربقة الواقعة فى سراة غامد تحمل اسم رفقة العبرى، وهى بنت بتوئيل كما ان هناك قرية الربكة بقرب رابغ ـ ص ٢٩٩، ٣٠٠ـ.

٤ ـ لابان خال يعقوب: هناك قرين لبن بمنطقة رابغ وقرين لبان بمنطقة الزيمة وهذا هو اسم لابان الآرامى ـ ص ٣٠٠ـ.

٥ ـ ليئة زوجة يعقوب: هو اليوم اسم وادى ليئة بمنطقة الطائف ـ ص ٣٠٠ـ.

٦ ـ زلفة جارية ليئة هي الزُّلُوف بمنطقة الطائف وكذا الذلف والزلف فى وادى اضم كلها تحمل اسم زلفة العبرى الذى هو اسم جارية ليئة ـ ص ٣٠٠ـ.

٧ ـ راحيل زوجة يعقوب: اسم راحيل هو اسم قرية الرُّخَيْلة فى وادى لِيَّة، وهناك رُخيلة فى سراة زهران، وقرية رخل بجوار ينبع النخل ـ ص ٣٠٠ـ.

٨ ـ بلهة جارية راحيل: الاسم هو اسم قرية البلهاء من قرى الليث ـ ص ٣٠٠ـ.

وانهى الكلام بقوله: وكل هذا يشير الى اصل حجازى لنسب امهات بنى اسرائيل ـ ص ٣٠٠ـ وسبقت الاشارة الى ان بنى اسرائيل من الشعوب العربية البائدة.

٣ ـ وعن اخوة يوسف (الأسباط):

١ ـ رؤبين : استدل على ان هذا السبط كان يعيش فى جنوب الحجاز من بلاد زهران ـ بوجود اسماء قرى مشابهة لاسمه وهي قرية الريبان فى سراة زهران، وقرية ربوان فى وادى اضم، وقرية رابن فى تهامة بجوار بلدة رابغ.

وكذا الروابين من اسماء القبائل فى شمال الحجاز ـ ص ٣٠١ـ.

٢ ـ شمعون : وحدد منازل هذا السبط بأنها فى الجزء الجنوبى من منطقة جيزان عند حدود اليمن، فهناك قرية الشعنون لعلها تحريف للاسم، واثنتان تسميان الشعاع، وهناك شمع فى منطقة القنفذة وآل شمعة قرب الطائف، والسماعنة من القبائل العربية فى الشام، وربما كانت نسبتهم الى قرية السمعانية باليمن ـ كذا قال الدكتور ص ٣٠١ ـ

ولا يعنيك هذا الخلط على حد قول الشاعر:

يـومـاً بِحُـزْوا ويـومـاً بـالعَقِيق وبـالـ
ـعُـذَيْب يـومـاً ويـومـاً بـالخَلَيْصَـاء
وتـارةً تـنـتـحـى نَـجْـداً وأونَـةً
شـعـب الغُـويْـر وطوراً قصْر تَـيْـمَـاء

٣ ـ لاوى: الاسم مشابه لاسم القبيلة العربية لُؤي، وتوجد بقعة اللاوات فى منطقة جيزان حيث قرى اللاوي واللوي واللَّويـة، وهناك قريتان تسميان لاوة واللَّويَّة فى وادى اضم، وقريتان تسميان اللوية فى تهامة زهران وفى منطقة الطائف، ومن هنا استنتج الدكتور ان قبيلة لاوي كانت فى منطقة جيزان فى جنوب الحجاز ـ ص ٣٠٢ـ.

٤ ـ يهوده: خصص لهذا الاسم الفصل الثامن من الكتاب قرر فيه ـ ص ١٥٥ ان يهوذا كان اسما جغرافيا قبل ان يصبح اسما لقبيلة من بنى اسرائيل، وحاول ارجاعه الى الجذر العربى (وهد) ومن معانيه: الانخفاض.

وقرر فيما بعد ان الوهادين وهادى من اسماء القبائل المعروفة اليوم، وذكر اربع قرى فى رجال المع وفى سراة زهران، وفى منطقة النماص وفى وادى اضم باسم الوهدة، والوهاد فى منطقة بيشة وخلص من ذلك ان موطن هذا السبط فى وادى اضم حيث قرية لخية الواردة فى التوراة باسم لحي، وفيها ام لحم والفرت والواردتان باسم بين لحم وافرته.

٥ ـ دان: اسم احد الأسباط قال هي الدنادنة القرية التى فى تهامة زهران، وان الدوانية والدنيوى والدندنة من اسماء القبائل المشهودة فى شبه الجزيرة العربية الى اليوم ـ ٣٠٢ ـ واحال إلى ما اورده فى الفصل الرابع عشر عن قصة شمشون الجبار، التى قال فيها: إن شمشون ولد فى هضاب تهامة زهران فى قرية الزرعة، ووالده من عشيرة دان التى

هي اليوم قرية الدنادنة ـ ص ٢٥٤ ـ الى آخر ما قد يجد فيه القارىء محلا للتندر والفكاهة.

٦ ـ نفتالى: قال : ربما كانت قرية آل مفتلة، وفى منطقة جازان قريتا نفتل نشب ومفتل نشيلى، والمفتلى فى منطقة بلسمر، والمفاتيل ابراج للمراقبة اشتقاق من فَتَل العبرى بمعنى قاتل، والفلاتين من قبائل شبه الجزيرة ـ ص ٣٠٢ـ.

٧ ـ جاد: لعل ارض هذا السبط فى جنوب الحجاز
ففي سراة غامد الجادية
وفى منطقة الجموم جيدية
والجدية فى منطقة الطائف
وجدة المدينة المعروفة
ووادى الجادة جنوب الحجاز
والجدة وابن جدة قريتان فى منطقة القنفذة
والجديين فى منطقة جيزان.

وآل جودى من قبائل الحجازيين وادى يلملم والليث ـ ص ٣٠٣ـ.

٨ ـ اشير: هو بالذات اسم المكان وشرقى منطقة جيزان، وربما كان شرورا فى منطقة نجران، ومن قبائل شبه الجزيرة ذوى شارى الذى لا يختلف عن اشر ولعله الاسم ذاته ـ ٣٠٣ـ.

٩ ـ يَسَّاكر: الشكل العربى للاسم هو يشكر، وهذا من القبائل القديمة، وقبيلة الشكر فى وادى ساية بجنوب الحجاز تحمل ما يظهر على انه الاسم، وهناك قبيلة الشكرة وفى وادى الدواسر غرب وادى بيشة ـ ص ٣٠٤ـ.

ويظهر ان الدكتور لا يهتم كثيرا من حيث تحديد الأمكنة فغاية قصده الاهتداء الى الاسم المشابه ولا يعنيه وقوع الخطأ فى تحديد موقعه، فوادى الدواسر ليس غرب وادى بيشة بل شرقه، ووادى ساية

ليس فى جنوب الحجاز بل فى شماله فى شمال مكة بينها وبين المدينة.

١٠ - زبلون الزبَّالة فى مرتفعات عسير الجنوبية احدى قبائل شبه الجزيرة اليوم، والأخرى في وادى حجر بجنوب الحجاز - ص ٣٠٤ -.

ولا ادرى ما المراد بوادى حجر هذا، ولكن الزبالة من فروع بلىّ التى تقع منازلها غير بعيدة عن وادى الحِجْر (العلا) وهذا فى شمال الحجاز لا جنوبه، ولكن يظهر انه يعنى وادى حجر القريب من رابغ حيث تقيم قبيلة الزبَّالة احد فروع زُبَيْدِ من قبيلة حرب، وهذا الوادى يقع شمال مكة لا فى جنوب الحجاز.

١١ - يوسف: استدل الدكتور من المقارنة بين آصف والأصفاء على ان سبط يوسف كان يحل المنطقة الواقعة بين الليث وبلاد بنى عمْرو بالسراة، إذ قال: والأرجح ان الاسم (التوراتى) استمر في الوجود فى الصيغة المعربة (الأصفاء) وهو اسم قرية فى منطقة بنى عمرو بالسراة واسم قرية اخرى بمنطقة الليث - ص ٣٠٤ -.

أي إن قرية الأصفاء هذه لها أكثر من خمسة وعشرين قرنا!!

١٢ - بنيامين: يرى الدكتور ان هذا الاسم يعنى ابن الجنوب، وانه مطابق لاسم ابن يامن الذى اطلق على اهل اليمن فى الشعر الجاهلى، وان بنيامين قد سمى (بن أونى) قبل تغيره الى بنيامين، وأونى بالعبرية تعنى القافلة، ولعل هذه الصلة بين الاسمين لها علاقة بقوافل التجارة لأن عسير الجغرافية كانت تعتمد فى تجارتها على القوافل القادمة من اليمن - ص ٣٠٤ -.

وحتى الشعر العربى القديم يأبى الدكتور الصليبى إلا أن يأتى له بمفاهيم جديدة تخالف ما عرفه علماؤه، وعرف عنهم حياله، فما كانوا يرون ابن يامن سوى علم لملاح من اهل هجر (الاحساء) وعلى ذلك جرى تفسيرهم لقول الشاعر الجاهلى طرفة بن العبد البكرى فى معلقته:

عَدَوْلِيَّةٌ أَوْ مِنْ سَفِين ابن يامِنٍ
يجورُ بها المَلاَّحُ طوراً ويهتدي

وما كانوا يرون المقصود به من حيث الاطلاق اهل اليمن ـ انظر «ديوان طرفة» ـ ٧ شرح الأعلم الشنتمرى ـ طبعة المجمع العلمى العربى بدمشق، و «شرح القصائد السبع» لابن الأنبارى ـ ١٣٧ـ.

لندع هذا ولكن الايقنعك ان الدكتور امدك بنحو سبعين اسما من اسماء القرى والعشائر التى لا تزال بين سمعك وبصرك، لتختار من بينها اكثرها انطباقا او تشابها أو تقاربا فى الصورة لتلك الأسماء العبرية المتعلقة باسرة يوسف الصديق الاثنين والعشرين الواردة فى «التوراة» ثم على اساس اختيارك تكون النتيجة كما ارادها الدكتور: التوراة جاءت من هنا!!

وما دام التشابه فى الأسماء واضحا ـ كما اراده ـ فلا تُلْقِ بالاً لما بين تلك الأسماء من عدم اتفاق فى الأصول مثل: أرم وريم، وفدن ودفن، وبتال وبطل، ورفق وربك، وزلف وذلف، وربن وروب، وأسف ووصف، وأمثال هذا الاختلاف في الكلمات الأخرى، حتى ولو خالف بعضها ما كرره فى مواضع اخرى من كتابه مثل كلمة (بت إل) فقد اعتبرها من اسمين آخرهما بمعنى (إله) وهنا اصبحت البطيلة!

ودع عنك جميع ما قرره علماء اللغات من قواعد علوم الصرف والاشتقاق وغيرهما من العلوم اللغوية:

ودع كل صوت بعد صوتى فإننى
أنا الصائح المحكى والآخر الصدى

أما التباعد بين مواقع تلك المسميات التى سردها كأن يكون احدها فى نجد، كالدَّفينة، والأخرى فى الربع الخالى مثل شرورا وغيرهما فى شمال الحجاز، والثانى فى جنوبه او فى تهامة أو فى السراة او حتى فى اليمن أو الشام ـ فلا يعنيك من امره اكثر من مشابهة حروف ذلك الاسم لأحد اسماء الأسرة المذكورة فى «التوراة» فهذا وحده كافٍ للحكم باستقرار تلك الأسرة فى البقعة التى حدد موقعها الدكتور الصليبى فى كتابه!!

ولئلا يُفْهَمَ من كلامى التجنى على استاذ له منزلته اعرض طرفا من سياقه لقصة يوسف، يمثل نهجه فى جميع مباحث الكتاب، مما يتضح به أنه اشبه بحائر فى بيداء مضَلّة من الأرض، يتخبط في مجاهلها بغير هدى.

قال - ص ٢٤٢ -: من المعروف ان يوسف - حسب «التوراة» كان يعيش مع أبيه فى حَبْرون، وهي قرية الخربان فى منطقة المجاردة، فى حين كان اخوته يرعون القطعان قرب شكيم - أي الكشمة في رجال المع.

وعندما أرسل يوسف ليتفقد اخوته في شكيم، واخفق فى العثور عليهم تبعهم الى دوثان، التى هي اليوم الدثنة من قرى جبل فيفا، وهناك القى اخوته القبض عليه، وباعوه على قافلة من التجار المارين فى طريقهم فأخذوه معهم، وبيع كعبدٍ فى مصر، التى هي اليوم إما المصرمة فى جوار أبها، أو مصر فى وادى بيشة.

وبعد ذلك تبعه اخوته هربا من الجوع في موطنهم الأصلى، ثم هاجروا جميعهم الى مصر فى حوض بيشة، وعند إقامتهم هناك عرفوا بكونهم (العبرانيين) بمعنى اهل الغبر، أو اهل الأحراش - إذ عبر: غبر بالغين والعين - وإله (العبرانيين) اليوم فى مرتفعات عسير، قرية آل غبران، فى منطقة ظهران الجنوب - ص ٢٣٨/٢٤٢-.

انها الأسماء ولا شىء غيرها نظر إليها من حيث تشابه حروفها من زاوية ضيقة محددة، لا تقوم على اساس من الدراسات اللغوية الصحية، ولا ما يرتبط بها من النصوص التاريخية، ولم يلاحظ الفارق الزمنى بين اسماء وردت فى «التوراة» قبل عصور سحيقة فى القدم، وبين اسماء قرى صغيرة حديثة النشأة، واسماء أُسر صغيرة قليلة الأفراد لا تتجاوز اعمارها كلها مئات السنين، ولا ذكر لها فى التاريخ المأثور لهذه البلاد فى ماضيها لحداثة وجودها.

ولم يخن الدكتور الصليبى ذكاؤه فى طريقة عرض نظراته التى

ضمنها كتابه. فقد ادرك انها ستحدث بلبلة فكرية فى نفوس من سينظر إليها نظرة لا تتسم بالعمق المبنى على اسس قوية من المعرفة، كما ادرك انها ستحدث عند آخرين ما قد يكون اسوأ وقعا فى نفس مؤلف مرموق المكانة العلمية بحيث تقابل بالاطراح أو السخرية عند التعمق فى دراستها؛ من قبل علماء ذوى اختصاص فى جميع ما تناوله كل فى حدود اختصاصه.

ولهذا قرر ان العمل الراهن هو عمل لغوى بحت، يبحث فى اسماء الأماكن وعبر عن محتويات الكتاب بأنها (فرضية) على علماء الآثار ان يؤكدوا الاكتشافات التى بُنيت عليها هذه (الفرضية) بطرقهم الخاصة - ص ٦٥-.

وعزز هذا القول - قد يكون المنفذ الذى ولجه ليخرج بالمثير من آرائه - بما نقل عن جيرالد دي غورى ARABIA PHOENIX LONDON, 1946, P 119 — GERALD DE GAURY — فى كتابه - ص ١٠٤ - ما تعريبه: هناك فى وديان عسير واليمن والحجاز خرائب قد تقدم ذات يوم لعلماء التاريخ وللعالم معرفة اكبر بالدول القديمة بالممالك الأقدم لشبه الجزيرة العربية وقد تفصح بوضوح عن معانى الكتب المبكرة للتوراة وعن معانى التلميحات التاريخية فى القرآن، ومن يدرى اية كنوز تاريخية ترقد دفينة فى خرائب عسير الدراسة؟. انتهى.

وهنا بعد أن أثار الصليبى فى مشاعر بعضنا ما أثار من اضطراب حين طرح ما دعاه (فرضية) علق الأمر فى إثباتها بعلماء الآثار. ألا يحق لنا أن نتساءل: هل هذا الجزء الذى حصر فيه بحوثه من وطننا قد نال من علماء الآثار فى بلادنا من الدراسة والبحوث والتنقيب ما يمكن الرجوع إليه باعتباره اساسا نطمئن إليه لمعرفة تاريخ تلك المنطقة وتقدير ازمان عمرانها؟!

ثم هذه المواضع الكثيرة فى تلك المنطقة التى لا يجد الباحث لأكثرها

- ان لم يكن كلها - ذكرا فيما هو معروف من كتب التاريخ والجغرافيا بينما يمنحها الدكتور الصليبى من الاعمار ما يبلغ احقابا طويلة من الزمن، أليس لدى علماء الآثار القول الفصل فى تحديد ازمنة وجودها؟!

ثم هؤلاء العلماء الذين جازوا اعلى مراتب التعلم فى مختلف العلوم، وحازوا ارفع الشهادات فيها، ممن تزخر بهم جامعات بلادنا السبع، اليس اولى وأول ما يجب ان يعنوا بـه، وان يتجهوا إليـه وان يكون هدفهم الأسمى - كلٌ فى حدود اختصاصه - هو رعاية هـذا المجتمع المتماسك عقيدة وفكرا واتجاها وعملا، وحمايته من أي مؤثـر فكرى يحدث فى تماسكه أو فى سيره ضعفا أو وهنا أو انحرافا؟!.

(١) دراسات تاريخ الجزيرة - الكتاب الثانى ص ٣٢٠.

□□□

دحض مزاعم الدكتور كمال الصليبي بأن التوراة جاءت من عسير

بعد قراءتي لكتاب كمال الصليبي - التوراة جاءت من عسير - اعتراني العجب والتساؤل ذلك أن الدكتور الصليبي البحاثة والمؤرخ ، ما الذي دعاه لأن يتلاعب على الفترات التاريخية واللغوية ويسبغ على أمور قديمة أمورًا حديثة دون أن يذكر الدافع الذي جعله يغير منهجيته إلى منهج لا يفسر إلا في ضوء مسلك واحد ، وهو تقديم خدمة مجانية للدولة العنصرية الصهيونية ضاربًا عرض الحائط بأمور جوهرية تتعلق بـ :

١ - أنها جاءت لتنسف كل مقولات القرآن الكريم التي يتناول فيها قصة الخروج من مصر ونزول الديانة اليهودية في صحراء سيناء .

٢ - بإعطائهم حقًا مجانيًا في أرض المملكة العربية السعودية التي لها مكانتها في قلوب كل المسلمين لأنها تضم مقدساتهم ، بعد أن ابتلعت فلسطين موطن المسجد الأقصى وكنيسة القيامة .

وعلى ماذا بنى دعوته هذه ؟ على افتراض وهمي مغاير للحقائق التاريخية واللغوية وهو أن اللغة الكنعانية سميت «بالكنعانية» نسبة

إلى شعب توراتي كان يتكلمها . قافزًا قفزة مميتة بالنسبة للحقيقة والتاريخ ، متجاهلاً أن بلاد كنعان معروفة من كل المؤرخين القدامى والمحدثين ، الأجانب والعرب ، ولا خلاف عليها ، لأنها تركت حضارة مازالت ماثلة للعيان بآثارها حتى يومنا هذا ، فكيف استطاع أن يسميها بلغة «الشعب التوراتي» ناسفًا بذلك حضارة يفوق عمرها الألفي سنة عند مجيء الشعب اليهودي مع موسى . فالبلاد الكنعانية «واللغة الكنعانية» والحضارة الكنعانية التي هي نتاجهما وجدت منذ الألف الثالث قبل الميلاد ، وهو يعلم أن مايسمى «بالشعب التوراتي» نسبة إلى توراة غير موجودة في هذا القدم (كما أشار في الهامش ٣ من صفحة ٢٩) .

وهذا الخلط بين اللغة العبرية واللغة الكنعانية السابقة للغة العبرية بما يزيد عن الألفي سنة لا أظن أنه يغيب عن بال مؤرخ جدي ، إلا إذا كان الهدف بناء فكرة لخدمة قضية فاشلة تاريخيًا وجغرافيًا ولغويًا . وهو العودة باللغة العبرية إلى تاريخ سحيق ليوجد مبررًا لدعوته هذه . ويشير في الصفحة (٣١) بقوله : والمرجح أن الانتشار المبكر لليهودية من موطنها الأصلي في غرب شبه الجزيرة العربية إلى فلسطين وبقاع أخرى في الشمال اتبع مسار القوافل التجارية العابرة لشبه الجزيرة العربية .

هنا يجدر بنا أن نتوقف قليلاً عند كلمته «موطنها الأصلي» على ماذا استند ليؤكد أو ليرجح على أن غرب شبه الجزيرة هو الموطن الأصلي لليهود ؟ والتاريخ شاهد كما الآثار على أن :

١ ـ لم يكن لليهود وجود قبل الدعوة اليهودية أي حوالي ١٢٢٧ ق.م وأن اليهود تواجدوا في الجزيرة العربية بعد السبي

الأول (٧٠١ ـ ق.م) الذي قام به سنحاريب الملك الآشوري .

والسبي الثاني الذي قام به الكلدانيون وقضوا على مملكة يهوذا وسبوا اليهود إلى بابل . فالملك نبوخذ نصر الذي دام حكمه (٦٠٥ ـ ٥٦٢ ق.م) قام خلال عشر سنوات بحملتين سبا فيهما اليهود على دفعتين في عام ٥٩٦ ق.م (الحملة الأولى) وعام ٥٨٦ ق.م (الحملة الثانية) التي كانت على أورشليم وكان ملكها يهوياكين الذي سباه مع كل اليهود إلى بابل .

وهرب اليهود الباقون إلى الجزيرة العربية حيث نشروا معتقداتهم الدينية بين بعض سكانها . فهذه الحقائق التاريخية تنفي ما اعتمده الصليبي من تشابه في الأسماء . ولقد أكد العلماء مرارًا وخاصة علماء اللغة على أن العبرية مزيج وخليط في الأحرف يدل دلالة واضحة على أن مدوني التوراة والذين زوَّروا فيها قد انتحلوا الأسماء . والحقيقة الثانية لعدم وجودهم قبل هذه الفترة الزمنية وعدم وجودهم الأصلي بعدها ، هي عدم وجود آثار عبرية أو نقوش عبرية لهذه الفترة الزمنية بالذات . فسد مأرب يعود إلى هذه الفترة والنقوش الحميرية تعود أيضا إلى هذه الفترة وهي نقوش عربية وثنية ولو كان هناك آثار عبرية لعثر عليها كما عثر على الكثير من الآثار العربية في رحاب الجزيرة .

ومن ص (٣٢) وحتى ص (٣٩) يذكر أن الأسماء الواردة في فلسطين هي نفس الأسماء في الجزيرة وبدل أن يربطها بالهجرات الكنعانية التي تعود إلى الألف الثالث قبل الميلاد والتي تبعتها هجرات آرامية إلى بلاد الشام يربطها بالدولة الإسرائيلية التي يصر على أنها قامت في شبه الجزيرة (ص ٣٤) بين أواخر القرن الحادي

عشر ومطلع القرن العاشر قبل الميلاد . ونحن نعلم أن داوود عليه السلام الذي حكم ٤٠ سنة (١٠٠٤ ـ ٩٦٣ ق.م) كان في بيت المقدس وأنه أراد أن يبني مسجدًا في القدس فأوحى الله إليه أن هذا البيت مقدّس . فلست ببانيه (على حد قول التوراة ـ والفقهاء المسلمين) .

وأعجوبة الأعاجيب إصراره على أن الحملات الفرعونية كانت موجهة بالدرجة الأولى ضد غرب شبه الجزيرة العربية فلو كان ذلك صحيحًا لوجدنا آثارًا فرعونية هناك . فمجيء الفراعنة للسيطرة على بلاد الشام تؤكده المكتشفات الأثرية الفرعونية في بلاد الشلام . كالذي في مدينة جبيل والرسائل الموجودة بين ملكها (رب عدي) والفراعنة ، والعكس صحيح . والنقوش الفرعونية في نهر الكلب والتي يعرفها الدكتور الصليبي لا وجود لمثيلاتها في شبه الجزيرة العربية .

فهل يجدر بمؤرخ أن يقرر حقيقة تاريخية بالاستناد إلى تشابه بالأسماء ؟ وهو لم يصل إلى هذا التشابه إلا بعد تحريفها وقلبها وتفسيرها ؟ وننكر ما نراه من آثار شاهدة ومازالت ماثلة حتى يومنا هذا عن الحملات الفرعونية إلى بلاد الشام ؟ (وهو مايذكره في الصفحة ٥٣) وكلنا أيضًا نعلم أن الألواح الطينية التي اكتشفت تثبت أن كل مايتناوله اليهود ماهو إلا سرقة لحضارة البلاد التي كانت معروفة في عصرهم وهي «السومرية» و«الآشورية» و«الكنعانية» وهو نفسه يذكر أن العبرية فرع من هذه اللهجات . فمقولته في (ص ٧٦) بأن كلمة «يهودا» من الوهاد وهي كلمة عربية ومفردها «وهدة» تبين إلى أي حد لعب على الألفاظ واعتدى على المعنى فهنا اختلاف باللفظ والمعنى ، فلا يمكن أن تكون كلمة «يهودا» من

وهاد فالتشابه في الأحرف لايدل على أن معناه اللفظي هو معناه اللغوي ، وكلمة يهود والذين هادوا في القرآن الكريم واضحة وجلية ، وهي من عرفوا طريق الهدى ، فهادوا أي عادوا إلى الله والطريق المستقيم .

ثم يذكر في مكان آخر أن علماء الآثار لم يحفروا بعد المناطق موضوع البحث أو أي جزء آخر من عسير لهذا الغرض ، وهنا يعترف أنه يبني دعوته على اللغة فحسب ، وعندما نعلم أين كتبت التوراة ندرك الغلط الكبير في القول بوجود تاريخ يستند إلى مقولاته .

بعد أن كشف علماء الآثار حقيقة علمية على جانب كبير من الخطورة وهى أن غالبية أسفار التوراة اليهودية ، أو العهد القديم كما تسمى ، ليست سوى نسخ وترجمة لروايات وحكم وأساطير عدد من شعوب المنطقة العربية مثل السومريين والبابليين والآشوريين والأكاديين والكنعانيين والمصريين القدماء الذين تعاقبوا على إنشاء حضارات المنطقة طوال أربعة آلاف سنة قبل المسيح والذين ترجع أصول غالبيتهم إلى الجزيرة العربية مصدر الهجرات والتكوينات الحضارية فيما بين النهرين وساحل البحر المتوسط ووادي النيل وقد كان القرآن الكريم صريحًا في الإشارة إلى موضوع التحريف هذا الذي اكتشفه العلماء حديثًا مع كل ضربة معول في خرائب أور وبابل وأوغاريت وإيبلا وأريحا وتل العمارنة والتي بيَّنت بأن مايسمى بالحضارة اليهودية ماهو إلا أكذوبة تاريخية تظهر مع كل ترجمة للوح جديد . وبدأ تركيب جديد للتاريخ على أساس الروايات الأصل التي تركها الأقدمون ممن سبقوا عهد التوراة ببضعة آلاف من السنين وأعيد النظر في أصل كل شيء . وتبين أن القرآن عندما

تناولهم بقوله : «يحرّفون الكلم عن مواضعه ويقولون هذا من عند الله .... الآية»

كان يقصد مايفعلون وينبه المسلمين إلى كذبهم منذ أكثر من ١٤٠٠ سنة .

وبيت القصيد أن الدكتور الصليبي يهدف إلى نسف أخبار القرآن الكريم ، الذي يتناول بوضوح أخبار بني إسرائيل في مصر مع الفرعون في سورة الشعراء ، ويأمرهم بالخروج من مصر نحو الشرق . فالآيات بذلك صريحة تأمرهم بالخروج من مصر «فأتبعوهم مشرقين» «سورة الشعراء - الآية ٦٠» فكيف يكون موطن بني إسرائيل الأصلي عسير ؟

ألا من صوت يرتفع ليرد إلى الحقيقة نقاءها ؟ ، إن مصداقية القرآن ، لم يستطع حتى الآن أي عالم طبيعة أو كيميائي بالإتيان بما يخالفها ، فما جاء به القرآن الكريم من آيات بينات هو هدى للعالم ، فكيف يريدنا الدكتور الصليبي أن نؤمن بدعواه ، دعوى الافتراء على الحقيقة ، والطعن بقدسية كتابنا الكريم ؟؟؟

□□□

محمد العزب موسى

مملكة داوود
هل قامت في جزيرة العرب

اثارت الدراسة الهامة التى قدمها المؤرخ اللبنانى كمال صليبى ضجة واسعة، وجدلا عنيفا، حتى قبل صدورها فى كتاب، وهي الدراسة التى تعالج مدى صحة ان احداث التوراة قد وقعت بالفعل فى فلسطين ويقدم اسانيد علمية جديدة على انها وقعت فى منطقة عسير بالجزيرة العربية.

يقول البروفيسور كمال صليبى وهو استاذ تاريخ بالجامعة الامريكية ببيروت ان مملكة داود وسليمان لم تكن فى فلسطين وانما قامت اصلا فى منطقة عسير جنوبى الحجاز بشبه جزيرة العرب، ففى هذه المنطقة وليس فى فلسطين ينبغى البحث عن جذور الديانات السماوية الثلاث اليهودية والمسيحية والاسلام.

ولا ينكر كمال صليبى انه قرابة زمن المسيح انتقل محور التاريخ اليهودى الى فلسطين كما انه لا ينكر قيام وجود يهودى متنام فى هذه المنطقة فى ازمنة اكثر قدما ولكن صلب احداث العهد القديم من زمن ابراهيم الى موسى الى داود وقعت فى بلاد العرب!

والكتاب بعنوان: «الانجيل جاء من بلاد العرب» عن مؤسسة دير شبيجل الالمانية للنشر وهو بمثابة قنبلة فكرية تنسف اسمى الدراسات

الانجيلية التى استقرت عبر القرون، كمـا تنسف ايضا اسس دولة اسـرائيل التى تـزعم انها قـامت فى الأرض التى وعد بهـا الله بنى اسرائيل وهي فلسطين.

ويقول البروفيسور صليبى ان نظريته تعنى لماذا لا نكاد نعثر فى فلسطين على اسماء معظم الاماكن التى وردت فى العهد القديم ولماذا تظل الشواهد الأثرية الى هذا الحد عن وجود الاسرائيليين فى فلسطين القديمة، ولماذا تغمض مصادر اليهودية فى فلسطين.

وكما يتوقع صليبى فقد هوجمت آراؤه بشدة من جانب الباحثين اليهود والاسرائيليين، فوصفها حاييم تادعور استاذ التاريخ بالجامعة العبرية بالقدس بأنها «نظرية اسطورية وخرافة علمية» وقال الحاخام عدنان شتاينهانز: انها «هراء ليس له مثيل»، ونقاد آخرون اتهمـوا صليبى بأن له دوافع سياسية وانه يحاول ان يزلزل ادعاءات اسرائيل الحديثة فى فلسطين القديمة.

ومعظم هؤلاء المهاجمين لم تتح لهم فرصة قراءة الكتاب، ولذلك فان نقدهم يتخذ شكل ثورات الغضب والسخرية ضد المؤلف اللبنانى، وهو مسيحى بروتستانتى، اما صليبى فانه يدفع عن نفسه الاتهام بأن له دوافع سياسية قائلا: انه لو كان الأمر كذلك لما اختار منطقة تقع فى قلب الأراضى العربية ليجعل منها وطنا قديما لليهود.

وقد استطاع مراسل صحيفة كريستيان ساينس مونيتور ان يقرأ مخطوطة الكتاب وهى فى مرحلة الاعداد للنشر، ويقـول المراسـل ان مؤسسة تدير شبيجل قد احـالت اصول الكتـاب الى عدد من كبـار الباحثين الانجليين للقراءة الوثيقة قبل اتخاذ القرار بنشر الكتاب، وهذا الحرص وراءه بالتحديد ما وقعت فيه مؤسسة «شتيرن» المنافسة من حرج بالغ بقبولها نشر مذكرات هتلر المزيفة دون تمحيص كاف. واذا كان معظم هؤلاء الباحثين قد هاجموا الكتاب الا ان بعض ثقاة العلماء

الالمان فى اللغات السامية وصفوا الكتاب بأنه «صحيح تماما فى شواهده اللغوية ولا يمكن رفضه»

أما كمال صليبى فيبدو واثقا تماما من انه على صواب، ويعتقد ان نظريته التى تقوم حتى الآن على شواهد جغرافية ولغوية سوف تدعمها فى المستقبل الشواهد الأثرية ايضا.

والمؤكد ان الكلمة النهائية فى هذا الموضوع لا بد ان تأتى من الشواهد الأثرية خاصة انه مما يبعث على الدهشة ان الاسرائيليين المعاصرين قلبوا كل شبر من ارض فلسطين خلال الثلاثين عاما الماضية بحثا عن الآثار اليهودية القديمة دون ان يجدوا اية شواهد اثرية او مادية تشير الى الاحداث او الاشخاص والأماكن التى ورد ذكرها فى التوراة.

ويعتقد صليبى ان كتابه سوف يجعل من الانجيل «وثيقة تاريخية صحيحة» اكثر مما كان يعتقد عنه من قبل. فالأمر ببساطة أن الأثريين ينقبون عن احداث الانجيل فى المكان الخطأ وهو ارض فلسطين، ولم تجر حتى الآن تنقيبات ذات بال فى منطقة عسير.

ومع ذلك، ومما يثير الدهشة، ان السعوديين انفسهم هم اصحاب الفضل فى نظرية كمال صليبى، فقد نشر بالرياض فى عام ١٩٧٧ اول معجم جغرافى سعودى شامل يورد ويحدد مكان آلاف من اسماء الأمكنة فى كل انحاء المملكة، مما مكن كمال صليبى من العثور على اكتشافه.

وكمال صليبى مؤلف لعدد من الكتب ذات القيمة العلمية المعترف بها فى تاريخ الشرق الأوسط، وكان قد وضع مؤخرا كتابا فى تاريخ شبه الجزيرة العربية ولكنه وجد نفسه غير راض عن قلة المعلومات المتاحة عن المرحلة التاريخية المبكرة، والتى يطلق عليها المؤرخون العرب اسم «العرب البائدة» فقرر ان يدرس المفردات اللغوية واسماء الاماكن ذات

الأصل القديم التى لا تزال باقيــة فى بلاد العــرب الحديثــة على ان يستخلص منها ما يلقى الضوء على بعض النواحى التاريخية.

وكتب كمال صليبى فى مقدمة كتابه يقول: «كنت ببساطة ابحث عن اسماء الأماكن ذات الأصل غير العربى فى غرب شبه الجزيرة العربية حين صفعتنى فجأة حقيقة ان ارض التوراة القديمة بأسرهــا كانت هنا.. لقد وجدت ان كل اسماء الأماكن تقريبا التى وردت فى الأسفار الأولى مركزة فى منطقة طولها حوالى ٦٠٠ كيلومترا وعرضها ٢٠٠ كيلو متر «٢٧٠ ميلا × ١٢٥ ميلا» وهى تمثل اليوم اقليم «عسير» فى الجزء الجنوبى من الحجاز.

وعاد صليبى الى النص التوراتى الاصلى لليهود والمكتوب بكلمات ملتصقة بدون حركات المد - وهو خبير ايضا فى اللغــات الساميــة - فاكتشف ان كثيرا من الفقرات التى كانت تبدو غامضة فيما قبل قد اصبح لها معنى فى ضوء نظريته الجديدة بل وقدمت صورة تختلف جذريا على صورتها فى الترجمات المعتمدة.

وهكذا، طبقا لنظرية كمال صليبى، فان الأرض التى وعد بها الرب «ابراهام» تقع بين نهير مسريما ونهيرات فيرات. جنوب الحجاز، وليس بين النيل والفرات.

وهذا يجعل من السهل علينا ان نفهم كيف جــاء ابراهيم بـولده اسماعيل وزوجته هاجر الى مكة حيث تركهما بواد غير ذى زرع فانه من المتصور ان يصل ابراهيم الى هذا المكان قادما من عسير وليس من شمال الهلال الخصيب قاطعا كل القفار العربية الى الجنوب.

ويكون موسى، طبقا لنظرية صليبى، قد قاد بنى اسرائيل عبر احد وديان عسير التى تغرقها السيول وليس عبر البحر الاحمر. وتكــون مدينة داود ليست هي القدس وانما كانت فى مكان القرية السعودية المعــاصرة «الشــارم» والتى تعود اسمهــا الى اورشاليم فى التــوراة

اليهودية وهي تقع فى مكان يقال له الآن كوة زيان وتسميه التوراة «تل صهيون».

وقد حفظ التراث ان سليمان كانت له مناجم فى جنوب شبه الجزيرة العربية «كنوز الملك سليمان» وبالطبع فان ذلك يكون اكثر تصورا اذا كان سليمان يقيم فى نفس المنطقة وليس فى فلسطين التى تبعد عنها آلاف الكيلو مترات.

□□□

متابعة / مطيع النونو

الإدعاء أن عسير مهد التوراة تدحضه الحقائق التاريخية

تاريخ اليهود واليهودية، الغامض والحافل بالتناقضات والذى يكتنفه الشك من اساسه ولا يكاد يستوى على شىء من التماسك حتى واقلام علماء اليهود وانصارهم تسنده من كل جانب.. وجد اخيرا من يدعى تماسكه!

المدعى هو الدكتور كمال الصليبى رئيس قسم التاريخ والآثار فى الجامعة الأمريكية فى بيروت. وخلاصة الادعاء: ان التوراة ولدت فى عسير. هناك وقعت احداثها، وهناك عاش اليهود الأوائل وهناك «الأرض الموعودة» وليس فلسطين.

وهكذا يضفى هذا المؤرخ على احداث التوراة المزعومة «مصداقية» تاريخية تنقلها من ارض مزعومة يقال انها كانت محور هذه الأحداث، الى ارض اخرى يراد ان يقع الوهم على انها الأرض الحقيقية التى شهدت تلك الأحداث. ما يعنى ظاهرا اضفاء المصداقية على تاريخ اليهود شعبا ودينا، وما يحمل فى تضاعيفه مغزى هو من الوضوح بحيث لا يحتاج الى ادنى تفسير.

قبل ان يعرض الدكتور كمال الصليبى النظرية التى حاول بناءها فى مبحث تاريخى - اثرى - لغوى على محك التمحيص والنقد العلمى ليسبر مدى صحتها وسلامة اركانها، ولو فعل لوجد بنيانها يتهافت من

ادنى نسمة، وقبل ان ينتهى من ترتيب فصولها فى كتاب، وجدت هذه النظرية، غير المكتملة حتى فى نظر مبتكرها، طريقها سريعا الى وسائل الاعلام الغربية التى اصطنعت لها اصداء لا يخفى ما وراء رجعها من اغراض لا تتصل بالبحث العلمى او التاريخى من قريب ولا بعيد.

وعلى جارى العادة لم يدع بعض الصحف العربية الفرصة تفوته فسارع الى تلقف ما نشرته الصحافة الغربية عن هذه النظرية وصاغها فى عبارات عربية فصيحة «لتعم الفائدة» ابناء الضاد، وليحسن فى عين «الاساتذة» الاجانب الاستعداد «الفطرى» لدى بعض حملة الاقلام من العرب للانفتاح على الاكتشافات «العلمية» و «الحضارية».

ولو ان بعض تلك الصحف عرض هذه النظرية وقومها وناقشها مستعينا فى ذلك باصحاب المعرفة والاختصاص الذين لا تحوم حول نزاهتهم العلمية الشبهات. لما قلنا فيها ما قلنا، ولكان من حقها علينا ان نمتدح حماستها للعلم واخلاصها للحقيقة. ولكن هيهات!

«التوراة تلك التى بين ايدى اليهود اليوم ولدت فى شبه الجزيرة العربية، وتحديدا فى منطقة عسير جنوب المملكة العربية السعودية، فعسير اذن هي «الأرض الموعودة» فى التوراة، وفيها وقعت الاحداث الواردة فى التوراة، وليس فى فلسطين كما يزعم اليهود».

تلك هي خلاصة النظرية التى يقول بها اليوم الدكتور كمال الصليبى رئيس قسم التاريخ والآثار فى الجامعة الأمريكية فى بيروت، وهو المؤرخ اللبنانى وحامل الجنسية الامريكية فى الوقت نفسه. وهو يقول ان ما توصل اليه كان نتيجة سنوات من البحث بدأت بدراسة اسماء الأماكن والمدن والقرى والانهار وغير ذلك مما ورد فى التوراة، دراسة تحليلية لغوية مقارنة قادته، بعد الاطلاع على تقويم صدر عام ١٩٧٧ فى السعودية يتضمن اسماء ارجاء المملكة، الى القول بأن الاسماء الواردة فى التوراة انما تعود الى تلك المنطقة لا الى فلسطين،

وانه اعتمد فى ذلك ايضا على دراسات اثرية وجغرافية عن منطقة عسير.

ويضيف الدكتور الصليبى انه اجرى اتصالات مع بعض الجهات المعنية بالشئون التاريخية والأثرية فى المملكة العربية السعودية طالبا اليها ابداء الرأى فى اطروحته هذه وتعهد بنشر الرد السعودى فى ذيل كتابه عند صدوره.

لكن المسؤولين السعوديين لم يعيروا هذه النظرية اي اهتمام لاقتناعهم بتداعى اركانها واحتوائها على مغالطات تاريخية صارخة لا يمكن تصويبها حتى من قبل المؤلف نفسه.

واذا كان هذا موقف المسئولين فى المملكة العربية السعودية، فان المؤرخين وعلماء الجغرافيا والآثار فى المملكة الذين يشاطرون المسؤولين الرأى فى هذه النظرية، لا يكتفون بتجاهلها وانما يعمدون الى تنفيذها ودحضها التزاما منهم بمسؤولياتهم العلمية ودفعا لما قد تثيره هذه الاطروحة من بلبلة فى اوساط غير المطلعين من شأنها ان تترك انعكاسات سلبية فى اوساط الرأى العام العربى خاصة والعالمى عامة.

فماذا يقول اصحاب الاختصاص فى المملكة العربية السعودية فى الادعاءات التاريخية التى تضمنتها مقولة الدكتور كمال الصليبى.

الكاتب السعودى المعروف حمد الجاسر الحائز على جائزة الدولة التقديرية للأدب فى المملكة ومؤسس مجلتى «اليمامة» و«العرب» وصاحب عدة مؤلفات فى التاريخ والجغرافية والشعر والأدب. قال لـ «كل العرب» : « ان ما جاء به الدكتور كمال الصليبى هو من التهافت بحيث لا يحتاج منه الى اكثر من تعليق مختصر هذا مؤداه: «ان كل من قرأ التاريخ القديم يلمس فى وضوح عدم صحة هذه النظرية. واذا تمعنا فى ابعاد هذه الادعاءات وامثالها وجدنا انها تخدم ما تدعيه اسرائيل وما يطالب به حكماء صهيون من قيام دولة اسرائيل الكبرى

من الفرات الى النيل. وعلى كل حال فان من الكتاب والمؤرخين من يكتب ما يروقه من نظريات من دون الاعتماد على اسس صلبة تدعم مذهبه. وعلى كل حال فان علماء التاريخ المدققين والأمناء لعلمهم يستطيعون ان يفندوا مثل هذه النظريات الداخلة في صلب التاريخ القديم للساميين».

وما لم ير الكاتب حمد الجاسر ان يخوض فى تفاصيله، تصدى له الدكتور عبدالله حسن عثمان مصرى وكيل وزارة المعارف للشئـون الثقافية. وهو من مواليد مكة المكرمة وله من العمر ٣٩ سنة، متخصص بعلم الآثار، وحائز على درجة الدكتوراه فى العلوم الانسانية من جامعة شيكاغو عام ١٩٧٣، وله عدة مؤلفات منهـا «التطور الحضـارى فى جنوب غرب الجزيرة العربية» و«مقـدمة فى تـاريخ المملكـة العربيـة السعودية» واطروحة تبحث «فى ما قبل التاريخ فى شمال شرق الجزيرة العربيه». قال:

«ان الحـديث عن هذا المـوضوع التـاريخى لا يخرج عن كـونه مقترحات وضعها الدكتور الصليبى، وهي ليست بشيء جديد بالنسبة الى القائمين على الآثار فى المملكة العربية السعودية. فقد سبق رصدهم للموضوع منذ منتصف السبعينيات عنـدما كـان الدكتور الصليبى يتولى شرح افكاره تلك فى المحافل العلمية وغـير العلمية، كمـا سبق للادارة العامة للآثار ان ارسلت الى الجامعة الامريكية فى بيروت طلبا مهذبا لاستيضاح الدكتور الصليبى ماهية افكاره ومقترحاته والأسس العلمية التى يستند عليها فى فرضياته، وكان ذلك عام ١٩٧٩م. ولكن الجهات المختصة فى الجامعة ـ قسم التاريخ ـ لم ترد على الطلب، ويا للأسف، وربما حالت دون ذلك احداث لبنان.

وكان الهدف من وراء ذلك الطلب هو تمكين الباحثين لدى الادارة العامة للآثار فى المملكة من الاطلاع على منهج البحث الذى يقـوم به الدكتور الصليبى بغية مقارنة هذا المنهج بالمصادر الأثرية القائمة فى

منطقة عسير. ففى تلك الآونة كانت الادارة قد شرعت فى عمل مسوحات واستكشافات اثرية شاملة لمنطقة عسير بدأت منذ عام ١٩٧٩ وكان آخرها فى عام ١٩٨٢. وتظهر فى اعداد حولية الآثار العربية السعودية «اطلال» كل الدراسات المتعلقة بذلك، والتى لا تشير ولا تؤيد فى مجملها او تفاصيلها ايا من فرضيات الدكتور الصليبى فى ان منطقة عسير هي ارض الانبياء ومنبع التوراة.

وعلى العكس يستدل من المعثورات الأثرية فى طول المنطقة وعرضها ان عسير لا تختلف نوعا فى تجربتها التاريخية المتواصلة من الناحيتين الاجتماعية والسياسية عن منطقة مكة المكرمة او الطائف او نجران وكلها مناطق محيطة بعسير.

ان دراسة المصادر والآثار الظاهرة فى المنطقة والمكتشفة توضح انه خلال الحقبة الممتدة من القرن الثانى عشر أو الثالث عشر قبل الميلاد حتى الميلاد، كان ثمة ارتباط بين حضارة عسير وحضارة جنوب الجزيرة العربية مع وجود استثمار تجارى كثيف للمعادن كالذهب والفضة فى مواقع عدة منتشرة فى منطقة عسير.

وقد تم الوقوف على عدد من المدن المندثرة فى تلك الحقبة التاريخية اي من نحو الف سنة قبل الميلاد. ولا يستدل من اسماء تلك المدن اي تطابق مع المسميات الجغرافية المتعارف عليها فى فلسطين.

والواقع ان مسألة دعم او دحض فرضيات الدكتور الصليبى لا تتأتى من طريق التعليقات العامة او الرفض المجرد من دون الدخول فى التفاصيل. ولذا فانه من العسير ان نتناول فى هذه التعليقات المختصرة ما تحت ايدينا من دلائل ثابتة لمواجهة فرضيات الدكتور الصليبى. والباحث العلمى المتأنى، لو افترضنا أن الدكتور الصليبى ينتمى الى هذه الفئة، يكون من الأفضل له التعامل مع الحقائق الملموسة جغرافيا واثريا قبل الذهاب بعيدا والتنظير حول هذه المسألة بناء على مقارنة مسميات فقط.

وعلى اي حال فان ما نعرفه حتى الآن من افكار الدكتور الصليبى فى هذا الموضوع لا يتعدى ما قرأناه من تعليقات فى الصحف والمجلات العالمية حيث لم يصدر حتى الآن ما يؤيد نشر هذه الافكار فى كتاب. وحتى صدور الكتاب وتحسبا لما قديورده الدكتور من تفاصيل لم نقف عليها فاننا نفضل ان نـرجىء الحكم النهائى عـلى المفاهيم العلميـة ومستوى الأمانة التى يتمتع بها الدكتور الصليبى».

وكان لــ «كل العرب» لقاء آخر مع احـد ابرز الخبـراء العرب فى التاريخ والآثار واللغويات فى العالم العربى والاسلامى، هـو الدكتور حسن ظاظا المصرى الجنسية واستاذ اللغة العربية فى جامعة الملك سعود فى الرياض.

الدكتـور ظاظا عاش سنـوات فى فلسطين المحتلة وهـو من كبـار المختصـين باللغـة العبريـة. وله العديـد من المؤلفـات والكتب حول «فلسطين» و «القدس» و«اليهودية» و «عن تـاريخ الانبيـاء عند بنى اسـرائيل» و«الفكـر الدينى الاسرائيـلى» و«الصهيـونيـة العـالميـة واسرائيل».

سألت الدكتور حسن ظاظا:

ما رأيك فى ما ذهب اليه الدكتور كمال الصليبى من ان منطقة عسير كانت مستقرا لليهود فى القديم، واين هي الحقيقة التاريخية فى هذه المقولة؟

قال: الدكتور كمال الصليبى قد لا يعد من الشرقيين بقدر ما يصنف فى عداد المستشرقين. فلا مـراء فى انه من اصـل عربى لكنـه امريكى الجنسية والاقامة والعمل. وهو استاذ له احترامه فى مجال الابحاث الشرقية عامة والابحاث المتعلقة بمـا قبل التـاريخ الرسمى للعـرب خاصة.

لقد طلع على الفكر العالمى باطروحة مثيـرة سيضمنها كتـابا من

احدث كتبه. وخلاصة اطروحته ان اليهود فى العالم صنفان: صنف شرقى قديم موغل فى القدم، وصنف احدث واكثر ارتباطا بالغرب يرجع اصله الى بلاد القوقاز فى منطقة بحر الخزر. ويركز الاستاذ الباحث على الصنف القديم فيرى انه كان مستقرا فى اقليم عسير فى الجنوب الغربى. مما اصبح يعرف فى العصر الحديث بالمملكة العربية السعودية. وهو يعتمد فى ذلك على اسماء مواضع مذكورة فى اقليم عسير وردت اسماء شبيهة بها فى التوراة اليهودية على انها مواضع فى فلسطين. أي ان المنهج هنا يعتمد على مقارنة لغوية فى اسماء الاعلام لكن بين اعلام نعرفها منذ اجيال قديمة باسمائها فى اقليم عسير واسماء معروفة فى فلسطين حتى قبل النزوح اليهودى القديم اليها.

وعلى الرغم من بريق هذه الاطروحة فانه يبدو ان ركائزها العلمية فى حاجة الى اعادة نظر. اذ من المعروف ان شبه الجزيرة العربية كانت هي المهد الأصلى للساميين جميعا وانها كانت فى بعض هذه الأدوار الجيولوجية والجغرافية التى مرت بها خصبة خصب وادى النيل او وادى الرافدين او السهول السورية والفلسطينية. فقد كان يجرى فيها نهران ينبع احدهما من جبال اليمن ثم يستدير على حافة ما يسمى الآن بالربع الخالى ليأخذ مجراه فى وادى الدواسر حتى يصب فى الخليج وفى شط العرب. وأما النهر الثانى فكان ينبع من مرتفعات المنطقة الشمالية الغربية قريبا من المدينة المنورة ثم يأخذ مجرى له فيما يطلق عليه اليوم وادى الرمة مارا جنوبى جبلين شهيرين هما «إجا وسلمى» فى منطقة حائل الى ان يصل هو ايضا الى الخليج.

ولهذا الشكل الجغرافى ذكرى اسطورية يحكيها رواة التوراة فى قولهم فى «سفر التكوين» ان الجنة الأرضية التى سكنها آدم كانت تجرى فيها اربعة انهار تلتقى كلها فى نقطة واحدة وهي : الدجلة والفرات ونهر فيشون ـ هكذا اسموه ووصفوه بأنه يدور بأرض حويلة

وهو اسم قديم لليمن. ويؤكد ذلك قول الراوية انه فى تلك الأرض يوجد معدن الذهب ومنها يستخرج الجزع اليمانى - وأما النهر الثانى فيسمونه نهر «جيجون» وهوطبعا غير النهر الذى يحمل هذا الاسم فى وسط آسيا.

فاذا كان من المتفق عليه بين الباحثين ان الساميين جميعا قد انتشروا فى العراق وسوريا والأردن وفلسطين آتين من شبه الجزيرة العربية، كما انتقلت عناصر منهم الى الحبشة وصعدت فى وادى النيل شمالا الى مصر، فان ذلك قد تم كله فى فترات متباعدة جدا فى ما قبل التاريخ بشهادة ما يوجد من الفاظ وقواعد نحوية وصرفية شديدة الشبه بالعربية فى الحبشية الجزعية القديمة وفى المصرية الفرعونية. واكثر من ذلك فى الاكاديمية العراقية والآرامية السورية والكنعانية الفلسطينية. كل هذا خضع لأزمات من القحط والهجرات السكانية التى لا تزال شغلا شاغلا للعلماء فى جميع انحاء العالم. اذ لم يكن القحط وقفا على منطقة الشرق الأوسط بل حدث مثيل له فى الهند وايران ادى الى انتقال ملايين من السكان لاستعمار اوروبا. ولا تزال اللغات الأوروبية الحديثة تحمل ملامح السنسكريتية الهندية القديمة، كذلك الهجرات التى كان ينبض بها قلب آسيا فجاء منها التتر والمغول والترك وغيرهم.

فإذا عدنا الى دعوى الاستاذ الدكتور كمال الصليبى، بعد ان عرفنا ان الجزيرة العربية هي مهد الساميين الأوائل جميعا، فاننا نلاحظ فى حكمه تسرعا يدعو الى الدهشة. فاليهود لم يظهروا على مسرح التاريخ الا فى ايام موسى عليه السلام وهي ايام فى صميم العصور التاريخية. وكانوا إذ ذاك آتين الى فلسطين من مصر حيث كانت عشائرهم تطوف بالمدن الفلسطينية القديمة على شكل بدو رحل يحكمهم شيوخهم بأعراف متوارثة لا ارض لهم ولا عاصمة ولا وطن. ثم خرجوا مع موسى

كما تحدثنا كتب الله السماوية فضلوا فى التيه اربعين عاما. ويبدو انه كان تيها اجباريا ليس بسبب فقدان الاتجاه أو الطريق فشبه جزيرة سيناء يمكن لمن ضل الطريق فيها أن يسير مستقيما لبضعة ايام فيصل اما الى البحر الأبيض المتوسط او الى البحر الأحمر او ما كان يسمى قديما ببلاد الشام. وقد يكون هذا التيه الاجبارى بسبب قتال مع قبائل سينائية ترفض ان تدوس جموع بنى اسرائيل ارضها. وكانت وراء هذا بلا شك ارادة إلهية حتى يتم كلمته الى موسى ويقيم الحجة على المستكبرين والمنافقين من قومه.

فعندما يقول لنا الدكتور كمال الصليبى انه وجد موضعا اسمه «عي» فى فلسطين وان موضعا بهذا الاسم موجود فى عسير فإن برهانه على ان اليهود كانوا يسكنون تهامة من قبل برهان ضعيف جدا. لأنه لم يثبت لنا ان الاسم الموجود فى فلسطين من وضع اليهود، بل الراجح علميا انه اسم قرية فلسطينية موغلة فى القدم، لم يصنع اليهود شيئا الا انهم اشتبكوا مع اهلها فى اوقات مختلفة من مرحلة تشردهم فى ارض كنعان خصوصا فى الفترة التى يسمونها حكم القضاة التى اعقبت وفاة موسى وهارون ويوشع بن نون. وهي مرحلة بطولية كثرت فيها قصص الاشتباكات بين بنى اسرائيل الدخلاء على فلسطين وبين السكان الأصليين وطريقة السرد فيها تذكرنا بقصص الزير سالم او أبى زيد الهلالى او ما يرويه الرواة في ايام العرب فى الجاهلية.

لم يستطع الدكتور كمال الصليبى ان يرينا فى عسير بلادا تحمل اسماء مثل يافا او عسقلان او حيفا فضلا عن بيت المقدس «اورشليم» وما وجده من اسماء ان كانت متصلة بعسير فهى من وضع الكنعانيين القدامى الذين نزحوا الى فلسطين قبل ظهور اليهود على مسرح التاريخ بآلاف من السنين لا يعلمها إلا الله وحده.

ما هو التاريخ الحقيقى للكنعانيين القدامى؟.

يقول المؤرخ اليونانى هيروث انه زار بلاد الكنعانيين فى الشام وسألهم عن اصلهم فأخبروه ان اسلافهم اخذوا بحر ارتيريا وهو الاسم القديم لجنوب البحر الأحمر وهاجروا فيه حتى خليج العقبة. ومن ثم انتشروا فى سهول الشام. فربما سموا بعض المواضع التى هبطوا اليها باسماء المحلات التى نزحوا عنها كما صنع المهاجرون الأمريكان عندما تركوا اوروبا الى الدنيا الجديدة.

والغريب ان عالما مسلما قديما قبل ان تعرف اوروبا المقارنات اللغوية التى اعتمدها الدكتور كمال الصليبى فى مقارنة اسماء الاعلام قد وصل الى الأصل العربى للكنعانيين وليس لليهود، وهو اللغوى الأندلسى الامام ابن سيده صاحب كتاب «المخصص». فهو يقول فى الجزء الأخير الخاص باسماء الاعلام عن كتابه هذا : ان كنعان امة بالشام لغتها شبيهة بالعربية.

هل من معلومات جغرافية مفصلة عن الانهار الأربعة فى الجنة الأرضية التى سكنها آدم عليه السلام؟ وعن الجغرافية السكانية لهذه المنطقة وعن العرب البائدة؟

ـ الانهار الأربعة التى جف منها اثنان وبقى الدجلة والفرات كتب عنها كثير من العلماء وفى مقدمتهم العلامة الألمانى «فيرتز هومل» فى مقال علمى قيم نشره عام ١٩١٢. وكان المقال حول ترحال الاصنام المعبودة فى الشرق القديم قبل الديانات السماوية فى ارجاء هذه المنطقة. ووجد انه لا بد ان يقدم شيئا عن الجغرافية السكانية والزراعية المندثرة فى تلك العصور السابقة للتاريخ والتى كان العرب يعرفون يقينا انها كانت موجودة، فهم الذين قالوا قبل العالم الألمانى بوجود «العرب البائدة». كما ان القرآن الكريم قص سيرة بعض هؤلاء مثل «عاد» وما كان من امر عاصمتهم «إرم ذات العماد التى لم يخلق مثلها فى البلاد».

وأضاف رواة السيرة من العرب قبائل طسم وجديس وجُرْهُم ووبار وغيرها على انها من العرب البائدة وان قريشا حلت مكة على اثر انتهاء أمر جُرهم.

ما هو فى تصوركم السبب فى تقديم اطروحة الدكتور كمال الصليبى عن اصل اليهود فى كتابه الجديد؟

هناك سؤال يطرح نفسه فى نهاية هذه الخواطر التى اعبر فيها عن عدم اقتناعى بالأدلة التى وردت فى بحث الدكتور الصليبى. وهذا السؤال هو: لماذا هذه الاطروحة فى هذا الوقت بالذات ومن عالم جليل جذوره عربية وثماره امريكية؟ ارجو الا يكون من وراء هذه الأطروحة المثيرة رغبة فى بلبلة اذهان العرب حول «إخوة» مصطنعة ونحن نعرف ماذا كان من اخوة بكر وتغلب وعبس وذبيان وغيرهم. الا أن يكون الاستاذ قد تسرع فلم ير هذه الابعاد الخطيرة لأطروحته.

هذه المواضيع تسوقنا الى الحديث عن اللغات واقدمها وعن تاريخ اللغة العربية بين اللغات السامية؟

فى اللغة العربية مشكلة طريفة فى دراسة اللغات. فاذا اخذنا بناحية علم اللغة التاريخى والمقارن اشارت جميع الأدلة الى ان العربية هي اقدم لغة سامية باقية على قيد الحياة فى المنطقة. وانها اشبه تلك اللغات جميعا باللغات السامية الأولى، ام هذه السلالة كلها. فهى الوحيدة المحتفظة بالاعراب لا يشاركها فى هذا الا الأكاديمية والبابلية الآشورية والكلدانية وهي لغات اندثرت منذ خمسة وعشرين قرنا. بينما اللغات السامية الأخرى جنحت الى سهولة عامية تثبت انها كانت لهجات منبثقة فى تاريخ متأخر من هذه اللغة الأم. فكلها قد تقلص منه الاعراب كالسريانية والفينيقية والعبرية والحبشية وغيرها، كما تقلصت علامات الاعراب اللاتينية عن الانجليزية والفرنسية والاسبانية والايطالية.

كما اننا نجد فى اللغة العربية الفاظا من لغات كانت منذ آلاف

السنين، مما يثبت ان العربية كانت موجودة قبل ان تحدث هذه اللغات. ومن ذلك «غنم» و«تمساح» التى تشتارك فيها المصرية القديمة، ومنها «هيكل» و«دفتر» و«الآسى» بمعنى الطبيب وكلها كانت مستعملة فى سومر قبل ذلك الوقت بأربعة آلاف عام أو أكثر. كما أننا نجد فى لغة الجاهلية مثل «الدواة» التى يبدو ان كل شرقى البحر الأبيض المتوسط اخذها عن لغات «كريت» و«رودس» قبل العصر اليونانى حيث كانت كلمة «ديو» تعنى الحبر او الصبغة التى كانوا يأخذونها من حوصلة فى نوع من السمك.

هذا من ناحية الأقدمية اللغوية العربية، ومع ذلك فهى احدث لغة سامية سجلت بالكتابة، ومن هنا تتبلور المشكلة التى اشرت اليها فى البداية. والظاهر حتى من كلام الرواة اللغويين ان العربية الفصحى ما كانت تستعمل فى التفاهم الداخلى لدى القبائل وانما كانت لغة دولية للعرب جميعا فى موسم الحج وفى الصلوات الوثنية القديمة وعند الأطباء والعرافين وفى المناظرات والأسواق وبين الشعراء. وهكذا يكون من التساهل ادعاء ان القرآن الكريم وَحَّد لغة العرب. فهو فى الواقع اعاد الحياة الى لغة كانت قد تمزقت على السنتهم، وظلت لغة الخاصة فقط. فالاسلام كما جاء محررا للانسان المسلم جاء ايضا محررا للغة ومؤسسا لديمقراطيتها بين المسلمين جميعا حتى اصبحت فى العصر العباسى لغة دولية ليس للسياسة فحسب ولكن؛ وهذا هو الأهم، للعلم ايضا.

كيف تفسرون احتواء اللغة العربية منذ اقدم العصور على الفاظ اعجمية الأصل؟

ـ الذين أرخوا للأدب العربى افهمونا خطأ أن الشعب العربى عاش فى عزلة. فالشعب العربى مهما اوغلنا فى تلمس المعلومات عن جاهليته نجدها على صلة بالعراق وبإيران وبمصر وبالشام وبآسيا الصغرى

وبـاليمن وبما وراء جـزر المحيـط الهنـدى. ونكتشف ان العـرب فى الجاهلية لم يكونوا رعاة ومحاربين وقطاع طرق فقط كما يقال، بل كانوا اولا قبل كل شىء نقلة بضائع بطريق البر. تذهب القافلة الى عدن فتحمل شحنات البضائع الآتية من الهند وما وراءها او من افريقيا السوداء وتذهب قافلة اخرى الى العراق فتحمل ما يـأتى من قلب آسيا ومن شمالها من البضائع، ثم تتجه هذه القوافل لتفريغ ما عندها فى سفن اخرى فى موانىء البحر الأبيض المتوسط فى بيروت ويافا والاسكندرية. ومن المذكور فى التاريخ ان عمرو بن العاص اختير لقيادة الجيش الفاتح فى مصر لأنه كان يذهب الى الاسكندرية فى الجاهلية كل عـام. فكان يعرف مسالك هذه البلاد اكثر من غيره.

فاذا تصورنا ان صاحب القافلة المتعهد لتوصيل البضاعة يستلمها من نهاية الخط البحرى فانه يسمع ان هذه القـافلة تحمل الفلفـل، والكمون، والند والحلتيت. وان قافلة اخرى تحمل الدمقس، والسمور، والسندس، والاستبرق، والذهب الابريز، والياقوت، والفيروز والفنك، والقرنفل. ومن هنا كان ناقل البضاعة ناقلا للألفاظ الأعجمية ايضا. ولأن هذه الألفاظ الأعجمية تشير الى طرائف غير معروفة فى البيئة فقد اقبل الناس عليها ولو من باب اظهار المعرفة بما لا يوجد عندهم .هذا فضلا عن أن الأطباء السحرة فى الجزيرة العربية كانوا يحرصون على ان توجد فى ادواتهم اشياء مستوردة من الخارج. وبقدر ما نجد فى لغة ما من الفاظ من اصل اجنبى يبدو لنـا بوضـوح مبلغ اسهامهـا فى الحضارة الانسانية، وعدم عزلتها، وحيويتها وثقتها بنفسها وبأن هذا الدخيل لن يستطيع القضاء عليها.

واللغة العربية سددت فى العصـور الوسطى هـذه الديون شـرقا وغربا. فوجدنـا كلمات كثيـرة من اصول عـربية ليس فى الفـارسية والتـركية والكـردية والأكـدية فحسب، بـل ارقى اللغات الأوروبيـة

الموجودة الآن. فهم يعرفون الجبر بنفس الاسم وكذلك السكر والقهوة، كما يعرفون أن اللوغريثم هـو الأسم المحرف للخـوارزمى. واذا كنا نشغل الآن بما بين الهندوس والسيخ من مشاكل فان السيخ يسمون اقاليمهم اقاليم الخالصين ويقدمون ان يطلق عليهم اسم «خالصتان» كما ان كتابهم المقدس يطلق عليه اسم كبير بـاللفظ العـربى. ويقول مـؤرخو السيـخ ان فرقتهم عنـدما انشقت عن الهنـدوس فى القرن السادس عشر ادخلت كثيرا من التعاليم الاسلامية فى دينهم المطور عن الهندوسية وادخلوا معها مئات من المصطلحات الاسـلامية بلفـظها العربى.

ومن خلال هذه الجولة نرى ان اعطاء ما لقيصر لقيصر وما لله فى القاموس العربى يحتاج الى عدد كبير جدا من العلماء الذين لا يخدعون بـالتشابـه السطحى ولا يتشنجـون عندمـا يثبت لهم ان كلمـة من الفصحى ترجع الى اصل اعجمى، أو ان اسم مكان فى عسير يشبه الى حد ما مكانا مذكورا فى توراة اليهود، كمـا توهم ذلك الدكتـور كمال الصليبى.

□□□

محمد عبدالله مليباري

نحن واليهودية...
والمواجهة الفكرية

لم تقيض لي قراءة ما كتبه الاستاذ محمد عبدالله الحميد عن (فرية الصليبى) ولا ما كتبه الاستاذان فيصل السمـاك، وشاكـر النبلسى تعقيبا على ما كتبه الأول بجريدة (الشرق الأوسط). كل ما قرأته فى هذا الموضوع هو ما كتبه الاستاذ احمد رشاد العتيلي تحت عنوان: (فرية الصليبي وغضبة الحميد) بجريدة (الندوة) يوم ٢٥/٤/١٤٠٥هـ.

وعـرفت منـه ان الدكتـور الصليبى ضمن كتـابـا له منشـورا بالانجليزيةو والألمانية زعما عن نشوء اليهودية فى الجزيرة العربيةـ وفى عسير بالذات ـ لا فى فلسطين.. هكذا.

إن لعبارة ـ لا فى فلسطين ـ قسوة تصدم الوعي التاريخي فى ذات، العربى والمسلم الحر.. لشيء واحد، هو أن اليهـودية.. سـواء كانت ديانة، أو دولة لم تكن لها نشأة طبيعية فى ارض بعينها، يمكننا أن نقول عنها، األنها الأرض التى ترعرعت فى احضانها اليهودية.. تـرعرعت كدولة كانت مبعثرة فيما كانوا يسمونها نظام القضاة، وحتى بعد انتهاء نظام القضاة، باتحادها تحت مملكة شاءول، ثم داوود وابنه سليمان عليهما السلام، فإن ارض الميعاد التى أشار اليها ابو الأنبياء ابراهيم عليه السلام لم تقع في قبضة العبرانيين اليهود يوما كما يقول (هـ. ج. ويلز).

أما اليهودية كدين فقد نبت نبتها فى (غوش) شمال شرقى مصر ايام رمسيس الثانى قبل خروج موسى عليه السلام بهم الى طور سيناء، حيث ابلغهم الوصايا العشر، وحيث تاهوا سنوات وسنوات في صحراء سيناء، ففي غوش، وفي طور سيناء، وفى صحارى سيناء، نشأت اليهودية كديانة.

اننى كما قلت لم أقرأ ما نقل عن الدكتور الصليبى، لأستطيع الوقوف على آرائه، ووجهات نظره الدراسية التى كون بها رأيه عن نشأة اليهودية - فى عسير - بالجزيرة العربية، ولكن الدراسات التاريخية، معظمها، وأكاد اقول كلها، ليس فيها أي تلميح الى موطن نشأة اليهودية، فهى حتى حينما تشير الى الساميين الذين انتزعوا السلطة من السومريين فى اراضى ما بين النهرين لم تشر بما لا يحتمل الظن الى الأراضى التى تعاقبت منها الهجرات السامية، اهي من شمال جزيرة العرب، أم قلبها، أم من جنوبها، وتكاد المعلومة فى هذا الحيز من الدراسة التاريخية أن تتساوى قيمتها السلبية مع القيمة الايجابية، وتزيد القيمة السلبية تراكما، حينما نجد اسرة أبي العبرانيين سيدنا ابراهيم عليه السلام، اسرة سامية كما عاشت في اواخر العهد السومرى فى اقليم ما بين النهرين، وكما جاء فى الكتاب المقدس، كانت تعيش فى (اور الكلدانيين) هذه المدينة التى نسبها الكتاب المقدس الى الكلدانيين ولم تكن (كلدانية) يوم نزحت اسرة سيدنا ابراهيم منها الى (حران) بل ان الكلدانيين نسبوها اليهم فى حقبة لاحقة، ولم تكن (اورفا) المدينة التى تقع فى جنوب تركيا، وبها كهف اشتهر انه مسقط رأس ابراهيم؛ لأنها فى اوائل العصر المسيحى كانت تدعى (أديسا).

ورغم نظرة النقد التى تستبعد ما ليس ملائما لدراسة تاريخية بينة واضحة، وتنشر شكها فى وجود اعلام كابراهيم وموسى على الصعيد التاريخى، فان دراسة مقاومة لهذا الشك حاولت أن تثبت وجود

ابراهيم عليه السلام من خلال مقارنات الآثار الحفرية، واستقراء النصوص التى لفظتها الحفريات فى شقافات وجدتها البعثة البريطانية التى قامت بالتنقيبات فى (اور) عام ١٩٢٤م تحت رئاسة سير ليونارد وولي ورغم انها لم تجد في كل المكتشفات والنصوص المنقوشة، اسم ابراهيم، إلا أنها وجدت ان قوما من (العابيرو) وهم المعروفون (بالعبرانيين) استوطنوا تلك المدينة وهم قوم رحل قطاع طرق، وقتلة، وانهم من السوريين الأراميين،وهم مماثلون تماما (للأموريين) أو أن لكلا القومين علاقات متبادلة.

ولما كان من المألوف رحلات هؤلاء (العابريين) الى ارض كنعان فقد قال الدارسون المقاومون لمدرسة الشك التاريخية، ان ابراهيم رحل من (اور) الى مدينة (حران) الكنعانية التى تقع الآن جنوب تركيا بالقرب من الحدود السورية.

وقد كان ذلك فى عهد (ارم ـ سين) ملك لارسا، الذى حطم حمورابى السامى ملكه وأزال بذلك دولة السومريين.

وتعتبر رحلة ابراهيم هذه من اهم الرحلات التاريخية لأنه أسس فيها اسرته التى كانت النواة الأولى للاسرائيلية وبالتالى اليهودية.

هذه الرحلة، وإن كان الجانب النقدى فيها سلبيا. لأنها لم تقرأ فى شقافة من شقافات (اور)، ولم يشر اكتشاف الى أن اسرة ابراهيم، أو هو نفسه رحل، إلا أنها كرحلة من الرحلات المتعددة (للعابيرو) تلقى بصيصا من نور ايجابى للواقعة التى اصبحت فى الكتاب المقدس من اهم مكونات الاسرائيلى فى التاريخ الغابر.

إن المدرسة النقدية المقاومة لمدرسة الشك.. عمدت الى مقارنات نصية اخرى لاثبات وجود ابراهيم عليه السلام.

منها بعض قصص الكتاب المقدس كقصة الطوفان وما سجلته المكتشفات الأثرية من قصص وأساطير شبيهة لها، أو غيرها من

قصص التوراة، ففى اثنتى عشرة شقافة، اكتشفت فى (نينوى) عام ١٨٥٤م وجدت قصة شبيهة بقصة الطوفان جاءت فى ملحمة تسمى ملحمة (جلجاميش) يرجع تاريخها كما يعتقد بعض الخبراء الى الألف الثالث قبل الميلاد، وبطل الملحمة (شاماش نابيشتيم) الذى يتحدث قائلا عن السفينة:

(فى اليوم الخامس رسمت تصميمها وكان تخطيطها مائة وعشرين ذراعا ارتفاع كل جانب من جوانبها، وتتطابق بـ ١٢٠ ذراعا على كل حرف من سقفها، لقد وضعت شكلها وسيّجتها وشيدتها من ستة طوابق مقسما إياها الى سبعة اجزاء.. وطليتها من الخارج بثلاثة معايير من القار كما طليتها من الداخل بثلاثة معايير من القار، اركبت فيها عائلتى واقاربى ودواب وحيوانات الحقل، ولما حان الوقت المحدد ارسل حاكم الظُّلمة وقت الأصيل مطرا غزيرا واغلقت بابى.

هبت الريح وعم الأرض الطوفان والعاصفة وعندما اقترب اليوم السابع اذا بالعاصفة والطوفان يتوقفان عن المعركة التى كانا يحاربان فيها كما لو كانا ينازلان جيشا.

ثم سكت البحر وهدأ وتوقفت الريح العاصفة كما توقف الطوفان.

ففتحت قمرتى وسقط ضوء النهار على وجهي. وما لبثنا أن رأينا الأرض واستوت السفينة على جبل بلاد نيسير الذى ثبتها وحال بينها وبين الحركة، وعليه اطلقت حمامة. فتحركت الحمامة جيئة وذهابا ولكن لم تجد مكانا تستقر فيه فقفلت راجعة).

ويقص علينا ناقل الاسطورة كيف استخدم (شاش) عصفورا فغرابا، وكيف أن الغراب لم يعد حين شهد انحسار الماء، فأمر بمغادرة السفينة، وقرب لمعبوداته الأضاحى وحرقها على المحرقة فاجتمعت حولها كالذباب.

وقد قارن هذه الاسطورة بعض العلماء الناقدين للكتاب المقدس،

بقصة نوح عليه السلام فى التوراة، ثم راحوا يقيمون من المقارنة دلائل على وجود ابراهيم عليه السلام وانه ناقل بعض مـا جاء فى الكتـاب المقدس عن نوح من البابليين وقالوا ان ظن بعض الباحثين عن نقل او ارتباط العبرانيين ببعض ما جاء في الاسطورة خلال اسرهم، او خلال السبي البابلى حـوالى عام (٥٨٦ ـ ٥٣٨.ق.م) لا يتفق، مـع تاريـخ روايات اقاصيص الكتاب المقدس التى ترجع الى ما قبل عام (١٠٠٠ ـ ٩٠٠ ق.م) ويضيف النقـاد الى ان اسم نـوح.. جـاء فى شقـافـة استخرجتها التنقيبات جاءت باللغة (الحرانية) الموطن الأول الذى نزل فيه ابراهيم عليه السلام فى ارض كنعان، ولكن صاحب السفينة، فيها اسمه (ناح ـ موليت) وان القصة كانت تدور على ألسنة أهل (حران) فى السنوات التى اقام بها ابراهيم هناك.

وهناك عدد من القصص والأساطير العتيقة، السومرية والبابلية، وحتى الكنعانية التى تحاول النظرة النقدية أن تمارس من خلالها نوعا من ايجابياتها المتعسفة، ونحن هنـا لا تعنينا هـذه الممارسـات، ولا الأساطيرة والقصص، كل ما يعنينـا هو ان نستخلص من كلتيهمـا (الأساطير، والممارسات) ما يؤكد لنا: أن اليهوديـة، كقوم ـ أو كمـا يقولون كشعب ـ واليهودية.. كتعصب دينى، نشأت بعيدة عن الجزيرة العربية، نشأت فيما بين النهرين، فى ارض كنعان، فى (غوش شمالى شرقي مصر، فى طور سيناء، واخيرا ولفترة قصيرة فى فلسطين).

أما نشأتها فى (جزيرة العرب) وفى (عسير) بالذات، رغم أنى أجهل المنطقيات الفكرية والعلمية، التى مهد بها الدكتور الصليبى لتكـون الفكرة سائغة على الأقل عند المهتمين بأمثال هذه القضايا التاريخية، فإننى أرى أن هذه الفكرة مهما تواضعت المنطقيات فيها، نحو تاريخ (اليهود) كتاريخ ما زال يستأثر بكل القيم المنحرفة للصهاينة.

ولعل الصليبى، يكون صليبيا كما قال عنه بعض من تنـاول الرد

عليه، ولعله كان صهيونيا، وعميلا لهم، ولكنه عميل غير موفق فيما جاء به من رأى، لأنه رأي قضي به على كل ما يحاول الصهاينة من مزاعم لهم فى فلسطين، وغير فلسطين من اراضينا التى يغتصبونها.

إن اقدم مدون جغرافى عربى يحدثنا عن (عسير) هو كتاب (صفة جزيرة العرب) لابن يعقوب الهمدانى، ولقد حدثنا عن القبائل والعشائر، والبطولات والأفخاذ التى سكنت بلاد عسير فلم نجد فى أي من البلاد المرتبطة بعسير، شعبا أو قوما من غير العرب، واحسب انه لم تكتشف حتى اليوم آثار لها اهميتها التاريخية، فى أي من بلاد عسير، حتى قبر (ذي القرنين) الذى قيل انه عثر عليه فى مستهل الثلاثمائة (٣٠٠) من الهجرة، لم يستطع احد من الباحثين ان يثبت صحة هذه الفرية التى اطلقها بعضهم، وقد هدم فى بداية العهد السعودى وفى سنة (١٣٤١هـ) لأنه اتخذ مزارا (انظر الهمدانى صفة جزيرة العرب ص: ٢٥٦) اشرف على طبعه، وكتابة بعض ما جاء على هوامشه (الشيخ حمد الجاسر).

ورغم ان الفرية مثيرة، لدوافع المنقبين الباحثين من علماء الحفريات الآثارية، فإنها لم تحرك دوافعهم أو تجتذبهم للبحث والتنقيب عن الآثار تحت رمال وصخور، تلك البقاع.

ولقد طالب الاستاذ العتيلى رابطة العالم الاسلامى والجامعة العربية، وكل المنظمات العربية والمسلمة والدولية الباحثة بالمبادرة لكتابة تاريخ حقيقى للمنظمة - ورغم أني لم افهم من قوله (تاريخ حقيقى) شيئا إلا أننى أرى أن كتابة تاريخ المنطقة لا تحل المشكلة، فالمشكلة ليست مشكلة كتابة وانما هي مشكلتنا التاريخية، لا يحلها الا استرداد اعتباراتنا التاريخية والانسانية التى تأخذ بخناقها عوامل الضعف الوجودي لنا على الساحة الفكرية.. ثم ان تواترت كهذا التوتر النفسى الفكرى الذى واجهنا به مقولة زائفة، تعطى لمفكرى الاعداء..

والعملاء بعدا نفسيا عنا يستخدم ضدنا لذلك ينبغى ألا نواجه أمثال هـذه القضايـا بحساسيـات، بل نـواجهها بمثلهـا.. وبما نثـير بـه حساسيتهم.

إن لدينا من الامكانات الفكرية والثقافية، والعلمية مـا نستطيـع بتجنيدها القضاء على كل الافتراءات والممارسات الأدبية والعلمية التى تستهدف وجودنا التاريخى، فالمطلوب ليس كتابة تاريخ، وانما مواجهة فكرية صارمة.. تماما كالمواجهة السياسية التى نواجه بها الصهاينة وعملائهم.

ان مقاومة الحساسية بمواجهات جانبية ترخى من قبضة الجهد. فتسرخى الوطأة، وإن المواجهة العامة لا تتم إلا إذا كانت لدينا فئة مخصصة لدراسة المشكلة وتقرير ما هو خير.. هذه الفئة يجب أن نعمل على تكوينها، وإحاطتهـا بفئات اخـرى تتخصص فى كل جـانب، من جوانب المشكلة.

المصلحة العامة المتنورة، لا تقوم إلا اذا واكبتها.. العقول المثقفة.. والبرهان النفسى لا يصبح حقيقة إلا اذا أدى الى فعل مناظر، والمواجهة الحضارية والثقافية برهان نفسى اذا رعته مستويات علمية.

□□□

أنطوان بطرس

كمال الصليبي في ميزان ندوة، مؤرخ علمي هل إنتحر ؟

كتاب الدكتور كمال الصليبي، التوراة جاءت من جزيرة العرب، كان ليل الخميس الفائت محور ندوة ثقافية فى انطلياس اشترك فيها القس غسان خلف والأب الدكتور بولس الفغالى ودارت حولها مناقشات وكلمات عامة.

الدعوة كانت من الحركة الثقافية فى «انطلياس» وعقدت فى قاعة الكنيسة الكبرى بغياب المؤلف مع حضور مجموعة من المثقفين فى مستهل كلامه طرح القس خلف مشكلة الكتاب قائلا: ان المؤرخ كان الصحافى الآتى بخبر مثير واضعا سمعته فى الميزان.

وقال بعد شرح المغالطات فى الأسماء ان الدكتور الصليبى يدعى ان احداثيات الأمكنة فى التوراة تلائم احداثيات الأمكنة فى عسير أكثر مما تلائم الشرق الأدنى، غير ان الوقائع تثبت عكس ذلك.

فأرض الجبلين وافيق اي جبيل وافقا كما هما فى لبنان اليوم تذكران فى قرية واحدة فى التوراة لتجاورهما موقعا (يشوع ١٣: ٤ و٥) وصور وصيدا متجاورتان فى التوراة فى قرائن كثيرة كما فى الأرض وتذكر التوراة بحيرة طبرية والبحر الميت معا على انهما الى الشرق من ارض كنعان بالقول «بحر كنروت نحو الشروق والى البحر الملح نحو الشروق (يشوع ١٢: ٣) وثمة شاهد آخر: «ثم ينحدر التخم ويمس جانب بحر

كنارة الى الشرق ثم ينحدر التخم الى الأردن وتكون مخارجه عند بحر الملح» (سفر العدد ٣٤: ١١ و١٢) وفى هذا ربط بين بحيرة طبرية ونهر الأردن والبحر الميت مع ذكر الشرق الجهة التى يقعون فيها بالنسبة الى ارض فلسطين وهكذا يتبين بكل وضوح. ودون المغالاة فى عرض البراهين، ان احداثيات الأمكنة التوراتية تلائم فلسطين وجوارها تماما.

وانهى القس خلف بعد مقارنات واضافات وشروح خاصة وعامة، استنادا الى ما ورد فى الكتاب، وفى الوقائع المعروفة فى التوراة طارحا السؤال ومجيبا عنه؛ بالآتى:

هل ثمة ايجابيات فى هذه الفرضية التى طرحها الدكتور الصليبى واحدث بها كل هذه الضجة؟

نعم، فلقد حرك الدكتور الصليبى الدراسات التوراتية وأثار الاهتمام بها من جديد. ولا بد بعد هذا الكتاب الذى نناقشه اليوم من ترسخ المسلمة بأن فلسطين وما جاورها هي ارض التوراة لأنه بعد كل زلزلة تزداد الأرض استقرارا، وبالعربى الدارج «تأخذ محلها».

(٣) أمور:

أما بخصوص الأب الدكتور بولس الفغالى فقد كتب كلمة قرئت عنه بالنيابة اجملت رأيه بأمور ثلاثة:

الأول على مستوى الأركيولوجيا او علم الآثار اعطانا الكاتب الأمثلة القليلة التى يبدو فيها تردد العلماء فى تحديد هذا المكان وذاك: ولكن الأبحاث الأركيولوجية فى ارض فلسطين التى عمرها مائة سنة هي ثابتة فى تسعين بالمائة بالنسبة الى اسماء الأماكن الواردة فى التوراة.

الثانى على مستوى المقابلة بين اللغات يدرس الكاتب نصا من النصوص راجعا الى مبادىء اللغة العبرية ثم يعود فيقرأه من خلال اسماء الأماكن التى اكتشفها فى كتب جغرافيا شبه جزيرة العرب فلا

يستفيد هنا مما اكتشفه هناك او هو يستنتج ما يشاء، وهذا هو الخلل الأساسى فى الكتاب.

الثالث: على مستوى النهج. فهم الكاتب النصوص العبرية بطريقته الخاصة فصار صاحب مدرسة جديدة، وكل جديد له رهجته، غير ان الأسس التى يبنى عليها هذه المدرسة تصل واهية ما دامت مرتكزة على تفرد فى الرأى ورفض لما يقوله العلماء وضعف فى علم الآثار وتلاعب بالالفاظ والكلمات.

مناقشة عامة:

وجرت بعد الكلمتين مناقشات اشترك فيها الأب مالك، الدكتور افرام البعلبكى، انطوان ضومط، موريس عواد، نضال ابو حبيب وريمون عازار.

قال الأب مالك مستغربا كتابة الكاتب ونشره فى خمس لغات متناولا التمويل لأنه فى رأيه غير علمى، ولا قيمة للكتاب لأنه شوه سمعة الدكتور صليبي.

الدكتور بعلبكى قال: «أعترف بمكانة الصليبى الأكاديمية ولكن هل يعقل ان يعرض هذا الرجل سمعته العلمية من دون ان يكون هناك خلفية سياسية علمية هناك نوع من التهور»

انطوان ضومه لخص رأيه فقال: «الدكتور صليبى قمة ويبقى السؤال: لماذا اتعب نفسه بهذه المنهجية»؟

موريس عواد اكتفى كعادته بطرح الأسئلة وتمحورت حول: لماذا كتب هذا الكتاب؟ هل ثمة هوس لدى الكاتب بكسر مزراب العين؟

لكن نضال ابو حبيب اضاف معلقا: «قد يكون الصليبى ابتدأ والتاريخ هو الحكم لكن أقله حرك فينا القراءة».

أما المحامى ريمون عازار فاعطى مهلة تخفيفة للكاتب، وعلى حد تعبيره، ليس علينا أن نقول انه انتحر أو خرج على التاريخ».

ملاحظات حول ندوة الصليبي:

في منتدى الخميس للحركة الثقافية بانطلياس جرت مناقشة كتاب الدكتور كمال الصليبي « التوراة جاءت من جزيرة العرب » في غياب المؤلف لوجوده في الخارج.

ولدي بالنسبة الى هذه الندوة بالذات بضع ملاحظات:

١ ـ اقتصر عرض الكتاب على دراستين، الأولى تلاها القس غسان خلف، والثانية وضعت في متناول المنتدين كتبها الأب الدكتور بولس الفغالي الذي اعتذر عن حضور الندوة لتواجده خارج البلاد. والدراستان جاءتا في موقع المعارضة لآراء الدكتور الصليبي مما افقد الندوة توازنها.

٢ ـ استهل القس خلف دراسته باعطاء حكم مسبق في كتاب الدكتور الصليبي من خلال ابداء أسفه لكون الدكتور الصليبي قد اساء الى نفسه وحطم الصورة العلمية التي كان يمتاز بها؛ وكان من المستحسن ان يترك القس خلف مثل هذه الملاحظة الى نهاية مداخلته بحسب ما تقتضيه الشروط العلمية للمناقشة، أو ان يترك للحضور ان يتوصل بنفسه الى هذا الاستنتاج هذا بالاضافة الى ان دراسته لم تخل في دورها من التعليقات التي لا مكان لها عادة في اي دراسة علمية.

٣ ـ لم تتضمن دراسة القس خلف عرضا تمهيديا واضحا ومستقلا لنظرية الدكتور الصليبي ولنهجه، الأمر الذي يساعد على فهم وجهة نظر الطرفين منذ البداية وبموضوعية.

٤ ـ جاء في تعليق الأب الفغالي المكتوب والموزع ان ترجمة الكتاب الى العربية لم تكن دقيقة «كما قال لي احد أساتذة... (والذي) قيض له ان يقابل بين النصين (وقد) اندفع الناقل فمال بالنص ليؤكد نظرية المؤلف فتغاضى المؤلف او رضي. والواقع ان تبني رأي منسوب الى آخرين دون ان نكلف انفسنا عناء التدقيق فيه لهو امر يتنافى مع اسلوب البحث.

٥ ـ كان من المستحسن فى حال تعذر حضور المؤلف ان يطلب اليه انتداب من يراه مناسبا لعرض وجهة نظره هو، وإن تعذر ذلك فمن المستحسن صرف النظر عن الندوة بأكملها.

اسوق هذه الملاحظات من منطلق الحرص الشديد والمحبة والتقدير الكلى للندوة وللقائمين عليها ولضيوفها ولأصدقائها الذين نحن منهم .

انطوان بطرس

□□□

فيصل السماك

التوراة ليست من أرض الجزيرة العربية

من اوائل الكتاب المسلمين الذين تصدوا لمزاعم ومغالطات الباحث اللبناني الدكتور كمال الصليبي ـ استاذ التاريخ فى الجامعة الأمريكية ـ كان الاستاذ فيصل السماك صاحب امتياز مجلة «الرسالة الاسلامية» ـ الصادرة فى بيروت ـ ومديرها المسؤول الذى جند مجلته واقلام كتابه لتفنيد هذه الادعاءات «الصليبية».

اطلق الباحث اللبنانى الدكتور كمال الصليبى استاذ التاريخ فى الجامعة الامريكية فى بيروت عبر بعض الصحف اللبنانية والاجنبية، نظرية جديدة تقول انه توصل اليها مصادفة وبعد دراسات وابحاث مستفيضة خلاصتها: ان التوراة التى انزلها الله سبحانه وتعالى على نبيه موسى عليه السلام فى اثناء اقامته فى جبل «طور سيناء» ـ كما يذكر القرآن الكريم ـ انما انزلت فى منطقة عسير بالحجاز وان نبي الله سليمان عليه السلام بنى هيكله فى ذات المنطقة، وليس فى بيت المقدس.

وليسمح لنا الدكتور كمال الصليبى أن نسأله: هل صحيح ان البحث العلمى المجرد، والمجرد فقط، كان الهدف من وراء اطلاقه لهذه «النظرية» أم ان ثمة اهدافا وغايات معينة قد آن اوان اثارتها فى هذه الظروف العربية والاسلامية «المعينة»؟!

وهل صحيح ان وراء اطلاق هذه «النظرية» الآن هجمة امريكية - صهيونية مشتركة بدأ الاعداد الاعلامى لها، للانقضاض على اطهر مقدسات الاسلام على وجه الأرض من وراء الزعم بأن التوراة نزلت فى المملكة العربية السعودية وليس فى فلسطين، كما تؤكد كل الكتب السماوية؟!

ثم: أي «صدفة» تلك التى جعلت الدكتور الصليبى يعثر على المعجم الذى فيه اسماء المدن والقرى «اليهودية» فى منطقة عسير؟.

وأين «عثر» الدكتور الصليبى على هذا المعجم، وفي اي مكتبة.. واي بلد..؟ وما اسم هذا المعجم، ومن هو مؤلفه؟!

... وليسمح لنا الدكتور الصليبى ان نوفر عليه مشقة الاجابة، وان نكشف الحقيقة كما استطعنا التوصل اليها وهي:

إن «الصدفة» التى يدعيها الصليبى فى حصوله على المعجم، ليست صحيحة، وهو يعرف ذلك تماما..!!

ان اسم المعجم الذى افتعل حوله كل هذا الضجيج هو: «المعجم الجغرافى التاريخى للبلاد العربية السعودية» ومؤلفه هو علامة الجزيرة الشيخ حمد الجاسر، ومقدمة هذا المعجم فى ثلاثة اجزاء. وقد حصل عليه الصليبى من مكتبة الجامعة الأمريكة فى بيروت، وبالتحديد منذ عامين واربعة شهور، وكان هذا المعجم قد وزع على جميع مكتبات الجامعات فى لبنان.

.. وباستطاعة الصليبى الحصول على نسخة جديدة من هذا المعجم من مكتبة «الرسالة الاسلامية» ساعة يشاء..!!

وان ما حملنا للرد على الدكتور الصليبى هو:

اولا اقراره الذي لا يقبل التفسير ولا التأويل «بوجود ارض يهودية« في بلد عربى اسلامى.

ثانيا: مغالطته للأحداث التاريخية التى لا يستند فيها الى أي منطق

مقبول او مستند علمي.

ثالثا: تفسيره المغلوط والمتعمد لبعض آيات القرآن الكريم، وهو ما لا يجوز السكوت عنه، بل ويوجب التصدى له ومقارعته بالحجة والمنطق.. وبالتى هي احسن!!..

.. ولكم كنا نتمنى على الدكتور الصليبي، لو اطلع، قبل إقدامه على اطلاق «نظريته» الجديدة على ما نشـره المفكر اليهـودى الصهيونى «سيجموند فرويد» فى كتابه «موسى والتوحيد» لكان قد وفر على نفسه مشقة البحث والتمحيص، كما وفر علينا متعة الرد عليه..!!

لقد أقر اليهودى الصهيونى «فرويد» بأن النبي موسى عليه السلام، كان مصريا. وان الديانة التى اعطاها لليهود ـ والتعبير لفرويد ـ كانت ديانته هو، ديانة المصريين. وانه لا علاقة ليهود هذه الأيام، ولا لليهود الذين جاءوا بالديانة الجديدة فى «قادش» بنبي الله موسى ولا بديانته الموسوية ـ والتعبير هنا ايضا لفرويد.

كما اقر هذا اليهودى الصهيونى، إن توراة اليهود هذه الأيـام،! ليست هي التى انزلت على نبي الله موسى، بل انها من تأليف احبار اليهود الذين عبدوا الاله ـ يهوه ـ ولم يتبعوا فكرة الاله الواحد التى جاء بها موسى عليه السلام، وحسب، بل وعاندوه وكفروا به وبربه ـ والعياذ بالله ـ فالشعب اليهودى ترك «ديانة» موسى وتحول الى عبادة إله آخر، لقد فشلت كل الجهود والتأثيرات المشوهة اللاحقة، فى إخفاء هذه الحقيقة المهيمنة، حتى نجح اخيرا فى تحويل الاله ـ يهوه ـ الى ان يكون إله موسى

وبعد: لقد تدرب اليهود، ودربوا.. (...) على مدى الفين من السنين على المناقشـات الثرثـارة، والفتاوى المستحيلة، والتفنن فى التحليـل والتحريم، على عكس ما وصى به الله سبحانه وتعالى، وأمرت به أبسط قواعد الأخلاق... واحسنوا تنميق هذه الثرثرة فى مخلفاتهم الطويلة

التى لا تكـاد تنتهى فى «المدراش» و «التلمـود» قبل غـزوهم القدس العربية والسكان والحضارة والعمران بقيادة النبي داود، ومن بعده النبيى سليمان عليهما السلام.

.. ومن العجيب، ان يستمروا. ويستمر غيرهم (..) فى مثل هـذا النقاش المصدع للرؤوس فى العصر الحديث، حتى تأقلمت البشرية مع مشكلة اليهود، وتبلد احساسها بها، واصبح الفصل فى اقل جزئياتها يحتاج الى مراجعة أكداس كبيرة من الأوراق والملفات والكتب..!!

يصف الدكتـور الصليبي كتابـه بأنـه: «اعادة النـظام بـأسس الحضارة الغربية ، فى الغرب، يعتبرون ان الكتاب المقـدس ـ العهد القديم ـ هو اساس بناء الحضـارة العربيـة وبدأت حفـظى للتوراة واطلاعى ابلصدفة على فهرست بأسماء المناطق فى الجزيرة العربيـة وبدت هذه الاسماء مطابقة تماما لاسماء الأماكن الواردة فى التوراة، وبعد ان توصلت الى نظريتى الجديدة، وجدت ان افضل طريقة هي نشرها بلغتهم ـ أي الغربيين ـ لكي يفهموها هناك فى اوروبا».

وعن طريق الصدفة ايضا!!

ويستطرد الدكتور الصليبى:

«وعن طريق الصدفة ايضا، حصلت على نسخ من المعجم، وبدأت بدراسة اسماء الأماكن، فوجدت ان المنطقة الممتدة اليوم: من الطائف حتى حـدود اليمن، ومناطق اخـرى، لها اسمـاء باللغـة الكنعانيـة والأرامية، والاسماء الواردة فى التوراة، هي فى هاتين اللغتين، ولفتنى ان الاسماء التى اعالجها و ابحث فى اصولها وتركيبها فى منطقتى عسير وجنوب الحجاز، هي فى احيان كثيرة.. اسماء توراتية»!!

ويضيف: «وكما نعلم، فان اللغة العبرية، كاللغة العربية كانت غير محركة، ووضعت علامات التحريك عليها بعد الف سنة من كتابتها، اي

بعد ان زالت اللغة العبرية، كلغة محكية فـأخذت الأسمـاء بشكلها المزدوج مع التحريك وبدونه، وقابلتها بأسماء الأمـاكن فى الجزيـرة العربية، فوجدت التطابق كاملا، ما عدا القليل من الأماكن، تحولت الى خراب، فنجد الاسم لحقل أو بادية أو تلة، ثم عدت الى ما كان قد توصل اليه علماء التوراة، فوجدت انهم وجدوا ما بين ١٥ و٣٠ اسمـا فقط مطابقا للأسماء الواردة فى التوراة فى فلسطين، والاسم الوحيد المطابق تماما هو اسم «بيت لحم».

ويتابع الدكتور الصليبي: «بعد حل لغز الاسماء، عدت الى خارطة الجزيرة العربية، وتـابعت تحركـات الأنبياء: ابـراهيم ولوط وموسى ويشوع وداود وحروبه، وسليمان. وتوقفت هنا: اذ من المعـروف ان بلقيس ملكة سبأ زارته، فلو لم تكن جارته ومسافة السفر بينهما حوالى اسبوعين او اكثر قليلا لما استطاعت زيارته، اذ كيف عليها ان تقطع الطريق من اليمن الى فلسطين، وهي المسافة التى كانوا يقطعونها فى الماضى خلال مائة يوم او اكثر، هذا اذا كان المسافر رجلا، فلو كانت امرأة، وفى موكب ملكة، فهل يا ترى بقيت سنتين فى طريقها لزيارة النبي سليمان»؟

«عندها قررت ان اكتب سلسلة مقالات حول بعض مقاطع التوراة لأبرهن ـ والكلام لا يزال للدكتور الصليبي ـ ان كل هذه الأحداث جرت فى الجزيرة العربية، وليس فى فلسطين».(١).

ردنـا علي الصليبي:

ان رد «الرسالة الاسلامية» على الدكتـور كمال الصليبى سـوف نستعين به بالقرآن الكريم كتاب الحق المبين، والكلمة الفصل الصادقة،

---

(١) مجلة «الشراع» اللبنانية ١٢٨ ص ٥٦.

كلام الله سبحانه وتعالى الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه.

ويقول الدكتور الصليبى عن مولد نبي الله موسى:

«هـذه النقطة لم ادرسهـا بالتحـديد، وانمـا درست خروج بني اسرائيل مما يسمى بمصر».

وجوابنا هو: سيدنا موسى عليه السلام، هو موسى بن عمران بن يصهر بن فاهت بن لاوى بن يعقوب بن اسحاق بن ابراهيم الخليـل عليهم السلام. وامه نجيب بنت شمويل بن بركيان بن يقشـان بن ابراهيم الخليل عليه السلام، واخوه من أمه وأبيه هارون عليه السلام واخته مريم(٢).

ولد فى مصر، فى عهد ملكها وفرعونها رمسيس الثانى على غير رغبته، وتربى فى بيته رغما عنه فى اثناء المحنة الكبرى التى مرت بشعب بنى اسرائيل اثناء وجودهم واقامتهم فى مصر نتيجة رؤيـا مناميـة رآها الفرعون، وهي أنه رأى فى منامه كأن نارا قد اقبلت من «بيت المقدس» حتى اشتملت على بيوت مصر فأحرقتهـا وأحرقت المصـريين، فـدعا فرعون الكهنة والسحرة والمنجمين، فسألهم عن تفسير رؤياه، فقالوا له يولد فى بني اسرائيل «بمصر» غلام يسلبك الملك ويغلبك على سلطانك ويخرجك وقومك من ارضك ويبدل دينك. فأمر فرعون بقتل كل غلام يولد فى بني اسرائيل، وأقام الحراس والوكلاء على تنفيذ ذلك، ثم أمر بتسخير رجال ونساء بنى اسرائيل بمصر فى اعمال الدولة واذلالهم، فـذلك قوله تعـالى: «إن فرعـون علا فى الأرض وجعـل اهلها شيعـا يستضعف طائفة منهم يذبح ابناءهم ويستحيى نساءهم إنه كان من المفسدين». (٣)

---

(٢) «حياة واخلاق الأنبياء» للدكتور محمد الفحام ص ١٤٠.

(٣) «القصص» الآية: ٣.

ولما اشتد الأمر على بني اسرائيل واخذ الفناء يدب فى ديارهم، احس الملك انه سيفقد أيادى عاملة سخرها لخدمة مملكته، فأمر بتخفيف حكمه بذبح الولدان سنة وتركهم سنة. فولد هارون عليه السلام فى السنة التى لا يذبح فيها احد، فترك وعاش.

وولد موسى فى السنة التى يذبحون فيها..

وبعدما وضعت أم موسى عليه السلام وليدها عليه السلام ـ خبأته ـ كما هو معروف عن عيون من يطلبون بني اسرائيل لقتل ذكرانهم، فمكث عندها ثلاثة اشهر. ولما خافت افتضاح امرها اعلمها الله وعلمها كيف تصنع بوليدها الرضيع فتلقيه فى اليم فى صندوق من الخشب.

«وأوحينا إلى أم موسى ان ارضعيه فإذا خفت عليه فالقيه فى اليم ولا تخافى ولا تحزنى إنا رادوه إليك وجاعلوه من المرسلين (٧)» (٤)

ونهضت الأم بتنفيذ ما أوحي اليها:

«فالتقطه آل فرعون ليكون لهم عدوا وحزنا إن فرعون وهامان وجنودهما كانوا خاطئين (٨) وقالت امرأة فرعون قرة عين لي ولك لا تقتلوه عسى ان ينفعنا او نتخذه ولدا وهم لا يشعرون (٩) واصبح فؤاد أم موسى فارغا إن كادت لتبدى به، لولا أن ربطنا على قلبها لتكون من المؤمنين (١٠) وقالت لأخته، قصيه فبصرت به، عن جنب وهم لا يشعرون (١١) وحرمنا عليه المراضع من قبل فقالت هل ادلكم على اهلِ بيت يكفلونه لكم وهم له ناصحون (١٢) فرددناه الى امه، كي تقر عينها ولا تحزن ولتعلم ان وعد الله حق ولكن اكثرهم لا يعلمون»(٥).

«مصر الاهرام» أم «مصر عسير»؟

المؤرخ الدكتور كمال الصليبى الذى بحث ومحص ونقب فى أكثر مكتبات العالم طيلة اعوام حيثما سارت به قدماه، واستطاع ـ كما يقول

---

(٤) «القصص» الآية: ٧.

(٥) «القصص» الآية: ٨.

ـ التوصل الى معرفة المكان الذى كان عليه هيكل سليمان ونوع الحجارة التى بني منها، والى «الوادى المقدس طوى» والى حقيقة سبب تسمية سورة البقرة، والى ان مصر غير مصر، والطور غير الطور وسيناء غير سيناء، حتى طلع علينا بنظريته «الفذة».

هذ المؤرخ العالم الذى توصل الى كل هذه الحقائق يؤكد «بأن هذه النقطة» ـ أي ولادة سيدنا موسى عليه السلام والقائه فى النيل ـ وهي لب نظريته وأساسها.. لم يدرسها جيدا؟!

اننا نسأل المؤرخ الصليبى:

اين كان يقيم فرعون الذى ورد اسمه فى القرآن الكريم او رمسيس الثانى الذى ولد موسى بن عمران فى عصره، «بمصر الاهرام» أم «بمصر عسير»؟!

يقول الدكتور الصليبى:

«إن التوراة نزلت على موسى فى منطقة عسير بأرض الحجاز».

والحقيقة الثابتة هي كما تؤكدها المراجع الدينية والتاريخية، على النحو التالى:

خرج موسى بزوجته وولده واغنامه من مدين قاصدا مصر سنة ١٢٢٧ ق.م ـ والمعروف ان بين مدين ـ مدينة معان بالاردن ـ ومصر مسيرة سبع ليال شتائية شديدة البرد ضل موسى طريقه، والتبست عليه السبل، فلم يعرف الى اي جهة يتجه ولا أي طريق يسلك فحط بأهله في سيناء بجانب الطور الأيمن. وفجأة لاح لموسى من جانب بجبل الطور وهج ونور فجد فى سيره نحو النار، ولما تملكته الرهبة:

«نودي يا موسى إني أنا ربك فأخلع نعليك إنك بالوادى المقدس طوى وأنا اخترتك فاستمع لما يوحى» (٦) .

---

(٦) «طه» الآية: ١١.

والوادى المقدس طوى، هو فى سيناء، بجانب الطور الغربى، كما قال الله تعالى: «وما كنت بجانب الغربىّ إذ قضينا الى موسى الأمر وما كنت من الشاهدين».[٧].

بعد ان وعد موسى بني اسرائيل، وهو فى مصر، انهم اذا خرجوا منها، وأهلك الله عدوهم ـ الذى هو فرعون ـ فانـه سيأتيهم من الله بكتاب مقدس، يبين لهم ما يأتون وما يذرون (فلما قضى الله امره) قالوا يا موسى إئتنا بالكتاب الذى وعدتنا به فسأل موسى ربه ذلك، فأمره ان يصوم ثلاثين يوما ثم يتطهر ويأتى بطور سيناء ليكلمه ويعطيـه ذلك الكتاب. واعطى الله موسى الواحا كتب له فيها ما ارتضى لبني اسرائيل ان يعملوا به وما اراد أن ينهاهم عنه.

خروج بنى اسرائيل من مصر:

يقول الدكتور كمال الصليبي عن هذه الواقعة:

«فى منطقة عسير هناك قرى اسمها «مصر» وقرية اسمها «مصراما» ـ جمع مصر باللغـة العبريـة ـ وهي بين «أبهـا» و «خميس مشيط». والتوراة يتحدث عن خروج بني اسرائيل من ارض «مصراما» واذا تبعنا خروج بني اسرائيل منها، نجد ان هذه الأماكن موجودة بـين «مصراما» و «نجران» و «وادى الدواسر». يعنى: ان تيه النبي موسى لم يكن فى سيناء التى نعرفها اليوم شرق الأردن ثم فلسطين، وانما تاه بنو اسرائيل تحت قيادة النبي موسى بين جبال «عسير» ووادى «نجران» و «وادى الدواسر». ثم رجوعا، كما تقول التوراة الى «وادى البقرة» ومن هنالك قطعوا جهة الطائف، ثم نزلوا بوادى «اضم» حتى وصلوا الى المنطقة التى هي بالنسبة اليهم ارض الميعاد»[٨].

---

(٧) «القصص» الآية: ٤٣.

(٨) مجلة «الشراع» اللبنانية العدد ١٢٨ ص ٥٧.

والحقيقة كما تؤكدها المراجع الدينية والتاريخية ايضا هي: عندما اراد الله تعالى انقاذ بني اسرائيل من شر فرعون وقومه، اوحى سبحانه وتعالى الى موسى بقوله: «أن أسر يعبادى فاضرب لهم طريقا فى البحر يبسا لا تخاف دركا ولا تخشى»(٩). اتفق موسى مع بني اسرائيل على الخروج من مصر والذهاب الى الأرض المقدسة، فلسطين، وكان اتجاههم نحو البحر الأحمر، طريق السويس. ولما بلغ بنو اسرائيل ساحل البحر الأحمر ووقفوا على شاطىء بحر يوسف بين خليج السويس والبحيرات المرة، اشرقت الشمس، فأيقن الاسرائيليون بالهلاك وان فرعون لا محالة لاحق بهم، فأوصى الله تعالى لموسى ان اضرب بعصاك البحر فانفلق شقين ودخل فرعون ومن معه فانطبق عليهم الماء واغرقهم جميعا.

ولم نزل بنو اسرائيل الى سهول شبه جزيرة سيناء، وجدوها صحراء قاحلة لا سكن فيها ولا نبات ولا طعام فشكوا الى موسى ما يلقونه من العناء. فاتجه موسى الى ربه يسأله الماء، فأمره الله ان اضرب بعصاك الحجر الذى امامك يتفجر لك منه اثنتا عشرة عينا لذرية كل ولد من بنى اسرائيل الاثنى عشر، عين منها، فضرب موسى بعصاه الحجر، فانفجرت له عيون الماء.

وهذه العيون بالبر الشرقى غير بعيدة عن مدينة السويس، وهي شهيرة «بعيون موسى» وقد قل ماء هذه العيون وبعضها طمست آثاره»(١٠).

هيكل سليمان:

يقول الدكتور كمال الصليبى «ان هيكل سليمان عليه السلام كان مبنيا فى منطقة عسير من الحجر المانع، وهو المعروف الآن بحجر

---

(٩) «طه» الاية ٢٧.

(١٠) حياة واخلاق الانبياء للدكتور محمد الفحام ص ١٤٥.

«الغرانيت». وهذا النوع من الحجارة موجود بكثـرة جنوبى منـطقة عسير وليس له وجود فى فلسطين».

والحقيقة كما تؤكدها المراجع التاريخية هي:

كان داود عليه السلام واحبار «بنى اسرائيل» قد اختاروا ارضا فسيحة بالقرب من بيت لحم لبناء «بيت المقدس». ثم بدأوا بالبناء حتى رفعوه قدر قامة الرجل ثم عجزوا عن اتمامه.

ولما استخلف الله تعالى سليمان عليه السلام أمره الله تعالى باتمام بناء «بيت المقدس». فجمع سليمان الإنس والجن وقسم عليهم الاعمال وخص كل طائفة بعمل يصلح لها.

هذا عن المكان الذى بني عليه هيكل سليمان، أما الحجارة التي بني منها، فقد اخبر الله تعالى بأنه سخر الجن لسليمان: «ومن الجن من يعمل بين يديه بإذن ربه ومن يزغ منهم عن أمرنـا نذقـه من عذاب السعير يعملون له ما يشاء من محاريب وتماثيل وجفان كالجواب وقدور راسيات» (١١).

وذكر فى سفر الملوك الأول ـ صفحة ٩ ـ العمائر التى قام بعملها وهي: بيت الرب ـ بيت الملك ـ سور اورشليم ـ حاصو ـ مجلاد ـ جازر ـ بيت حورون السفلى ـ بصلة ـ تدمر المدينة.

كل ذلك عدا المخازن ومدن المركبات ومدن الفرسان وما بناه فى لبنان وغيره وسائـر مملكته كمـا عملوا له ـ اي الجن ـ الطواحـين ذات الحمامات والقوارير. وكانوا يغوصون فى البحار ويستخرجون له منها انواع اللآلىء والدرر وسائر الجواهر البحرية، وكانوا يستخرجون له اليواقيت والزمرد وانواع الجواهر الثمينة والمعادن، وهم اول من فعل ذلك(١٢).

---

(١١) «سبأ» الآية: ١٣.

(١٢) «الأنس الجليل» جـ ١ ص ٢٥٥.

بعد هذا كله:

.. فهل يصعب على كل هؤلاء ان يـأتوا بحجـر «الغرانيت» من «عسير» الى بيت المقدس؟!

ونسوق للدكتور الصليبى ما تؤكده المراجع التاريخية من ان جزءا من هيكل سليمان عليه السلام بني من حجارة قطعت من «باب العمود» فى القدس يقال له «حجر سليمان». وان اخشاب الهيكل جلبت من أرز لبنان. وان اقلية قليلة اتخذت الهيكل بعد سليمان عليه السلام وهم: ابنه ـ رحبعام ـ واتباعه، واول ملوك المملكة الاسرائيلية ـ يربعام ـ الذى بني معبدين الأول فى «بيتين» شمال القدس والثانى فى «دان» تلة القاضى فى القدس ـ.

ثم ان هيكل سليمان ليس له اثر على الاطلاق بعد ان دمر اكثر من مرة، واقيم مكانه ما يدعى «معبد الاله جوبيتر». واصبحت بقاياه ما يتمسح به اليهود اليوم (١٣).

والمسلمون اولى بداود عليه السلام، لا اليهود، فهو صاحب دعوة الى الاسلام، شأنه فى ذلك شأن جميع الأنبياء.

وداود عليه السلام، عند اليهود ملك ليس له شيء من قداسة الأنبياء التى يقرها المسلمون.

واليهود، هم الذين دنسوا من قبل المعبد «الهيكل» الذى بناه داود، واكمله سليمان عليه السلام، كما تخبر التوراة نفسها بذلك: فقد اغار «يهواش» ملك اسرائيل على المدينة ـ القدس واستباح هيكلها وغنم ما فيه من التحف والآنية ثم قفل الى السامرة(١٤) ولقد دنسوه ـ أي اليهود ـ ايضا اذ قبلوا فى فترة من الفترات بوضع الاصنام فيه وشاركوا فى عبادتها.

---

(١٣) «الصهيونية العالمية» عباس محمود العقاد ص ١٠.

(١٤) «القدس» سامى الحكيم ص ٤١.

تجمع الكتب السماوية المختلفة، ان الله سبحـانه وتعـالى ، جعل لسليمان ملكا، لم يحظ به احد غيره اذ كرمه الله سبحانه وتعالى بالنبوة، وجمع له معها الملك، وزاد عليها الحكمة، حتى عرف بلقب (سليمان الحكيم)، ثم جعل الله ملكه، اشمل من ملك غيره من البشر، اذ كان ملكا عـلى الإنس والجن جميعا، وعـلى الحيوانـات من وحـوش، وطيـور، وزواحف وحشرات، وكان يفهم لغاتها جميعا، وكانت تـأتمر بـأمره، وتنفذ كل ما يطلب منها، حتى الرياح، كان له السلطة عليها.

وأمر بديهي، ان من له مثل هذه القوة، ومثل هذه السلطة، ومثل هذا الملك، ان يفعل الاعاجيب، وان يحضر من شاء الى ملكه بأقل من طرفة عين، وان يحرك مدنا، وجبالا، وقصورا من اماكنها الى اماكن اخرى، وان يتنقل وافراد ملكه، ممن يرغب في تنقلهم معه آنذاك، الى اي مكان رغب في لحظات خاطفة من الزمن. ولا عجب، ولا غرابة في ذلك، إذ ليس من له ملك وقوة، وسلطة سليمان عليه السلام، استـطاع استحدات آلات تسبق العقل البشرى في اجاباتها، واستحداث مركبات طائرة، تنقله من مكان الى آخر في بلاد العرب او حتى الى الغـرب بساعـات معدودة إذا كان مثل هذا الانسان في عصرنا الحديث استطاع، ان ينقل ما شاء، ومهما كان كبيرا بساعات معدودة، أليس باستطاعة نبي مثل سليمان عليه السلام، الذى ملك من القوة، والسلطة على كل شيء مخلوق، مرئيا كان ذلك الشيء أم غير مرئى، أن ينقل اليه، ليس قصر ملكة سبأ فحسب، بل ان ينقل اليه مدنا بكاملها الى اي نقطة رغب في لحظة خاطفة من الزمن..؟! وليس هناك من شك، ان يسخر سليمان عليه السلام ممن يجد فيه القدرة من حاشيته على نقل قصر بلقيس الى القدس، حيث كان مركزه في غابر الأزمان، وليس هناك من شك ايضا، انه نقل ملكة سبأ الى مقر ملكه، بلحظات خاطفة من الزمن، لم تشعر بها تلك الملكة، وربما جعلها تتوهم انها قطعت تلك المسافة؛ بمدة طويلة من الزمن.

وقصة الهدهد مع سليمان وبلقيس معروفة:

قال الله تعالى: «وتفقد الطير فقال مالي لا أرى الهدهد أم كان من الغائبين (٢٠) لأعذبنه عذابا شديدا أو لأذبحنه أو ليأتينى بسلطان مبين (٢١) فمكث غير بعيد فقال أحطت بما لم تحط به وجئتك من سبأ بنبأ يقين (٢٢) إني وجدت امرأة تملكهم وأوتيت من كل شيء ولها عرش عظيم (٢٣) وجدتها وقومها يسجدون للشمس من دون الله وزيّن لهم الشيطان اعمالهم فصدهم عن السبيل فهم لايهتدون (٢٤) الذى **يخرج الخبء فى السموات والأرض ويعلم ما تخفون وما تعلنون (٢٥) الله لا إله إلا هو رب العرش العظيم (٢٦) * قال سننظر أصدقت ؟ أم كنت من الكاذبين » (٢٧) وأعطاه كتابا ليوصله الى الملكة ، وقال له : « اذهب بكتابى هذا فألقه إليهم ثم تولّ عنهم فانظر ماذا يرجعون (٢٨)** [١٦] **فذهب الهدهد بالكتاب وألقاه على سريرها فى مواجهتها ، فأخذته ، فاذا به « إنه من سليمان وإنه بسم الله الرحمن الرحيم الا تعلوا علي وأتونى مسلمين »** [١٧] .

علم سليمان باعتزام ملكة سبأ على زيارته فى عاصمة ملكه «بيت المقدس» ـ بعد تردد ـ فأمر الجن ان يبنوا لها قصرا عظيما من زجاج، فبنته فى ساعات ولما قربت بلقيس من ديار سليمان، اراد ان يريها قدرة الله تعالى وعظم سلطانه، فى معجزة يأتى بها فى عرشها المنيع، فأمر باحضاره من مملكتها قبل ان تصل اليه، لتجلس عليه فى هذا الصرح الجديد، فقال لجنوده: «أيكم يأتينى بعرشها قبل أن يأتونى مسلمين (٣٨) ـ أي طائعين خاضعين «قال عفريت من الجن» وهو المارد القوي

---

(١٥) «النمل» الآية: ٢٠.

(١٦) «النمل» الآية: ٢٦.

(١٧) «النمل» الآية: ٢٩.

«أنا آتيك به، قبل ان تقوم من مقامك» أي مجلسك فقال سليمان: أريد اسرع من هذا «قال الذى عنده علم من الكتاب أنا آتيك به قبل أن يرتد إليك طرفك فلما رءاه مستقرا عنده قال هذا من فضل ربي» [١٨].

فالطريقة التى أتي بها العرش وكذلك ملكة سبأ بلقيس لم يكشف عنه العلم، وقد حدثت بنص صريح قاطع الثبوت والدلالة، وهو أمر خارق ومعجزة من معجزات سليمان عليه السلام، والمعجزات الخارقة للعادة لم يستطع العلم ولا المؤرخون حتى الآن ولن يستطيعوا فى المستقبل ان يحللوها او يكشفوا عنها.

أسباب نزول سورة البقرة:

- يقول الدكتور كمال الصليبى عن اسباب نزول سورة البقرة:

«الوادى المقدس طوى، موجود اليوم واسمه وادى البقرة، حيث يوجد بلدة اسمها طوى، فوقها واد - وادى البقرة - يرتفع جبل هادى من هذا التسلسل الجغرافى وحسب روايتى القرآن الكريم والتوراة - والكلام لا يزال للدكتور الصليبى - تبين فى ان الوحي جاء موسى في وادى البقرة وعلى سفح جبل هادى». فالاسم الذى اعطاه القرآن للمكان المذكور فى التوراة وادى بقرة نسبة الى سورة البقرة التى تروى قصة بني اسرائيل والنبي موسى. والروايتان الواردتان فى القرآن والتوراة مستقلتان لكنهما متطابقتان وليستا متناقضتين»[١٩].

سورة «البقرة» لها اكثر من اسم:

لأننا متأكدون، ان المؤرخ العالم الدكتور كمال الصليبى جاهل بالقرآن الكريم وبتفاسيره وتعاليمه وغير مؤمن بأنه كتاب الله المنزل على

---

(١٨) «النمل» الآية: ٣٩.

(١٩) مجلة «الشراع» اللبنانية.

سيد المرسلين محمد بن عبدالله صلى الله عليه وسلم الذى لا يـأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه.

ولأن المؤرخ العالم الدكتور كمال الصليبى، لم يقرأ القرآن الكريم، كمؤمن به، فقد اتاح لنفسه ان يفسره على هواه، فـزعم بأن سـورة البقرة نزلت فى واد بمنطقة عسير يسمى وادى البقرة!!

الحقيقة التى يجب ان يعرفهـا الدكتور الصليبى هي ان سـورة «البقرة» نزلت عندما طلب سيدنا موسى من بني اسرائيل ان يذبحوا بقرة واخذوا بمجادلته عن شكل البقرة ولونها وغير ذلك كما تروى هذه الآيات من سورة البقرة.

«وإذ قال موسى لقومه، إن الله يأمركم ان تذبحوا بقرة قالوا اتتخذنا هزوا قال اعوذ بالله ان أكون من الجاهلين (٦٧) قالوا ادع لنا ربك يبين لنا ما هى قال إنه يقول إنها بقرة لا فارض ولا بكر عوان بين ذلك فافعلوا ما تؤمرون (٦٨) قالوا ادع لنا ربك يبين لنا ما لونها قال إنه يقول إنها بقرة صفراء فاقع لونها تسر الناظرين (٦٩) قالوا ادع لنا ربك يبين لنا ما هى إن البقرة تشابه علينا وإنا إن شاء الله لمهتدون (٧٠) قال إنه يقول إنها بقرة لا ذلول تثير الأرض ولا تسقى الحرث مسلمة لاشية فيها قالوا الآن جئت بالحق فذبحوها وما كادوا يفعلون» (٧١).

واسماء سور القرآن الكريم تنقسم الى قسمين:

الأول ما يكون للسورة اسم واحد، وهذا القسم تعتبر التسمية فيه «توفيقية». والسور ذات الاسم الواحد اربع وسبعون سورة.

أما السور التى لها اكثر من اسم فتبلغ اربعين سورة، منها، سورة «البقرة» التى سميت لذكر قصة البقرة فيها وذلك ابتداء من قوله تعالى: «وإذ قال موسى لقومه ان الله يأمركم أن تذبحوا بقرة».

ومن اسماء سورة البقرة: «سنام القرآن» ولعلها سميت بذلك لأن

سنام كل شيء اعلاه. وسورة البقرة تعتبر اطول سورة فى القرآن الكريم وهي مشتملة على الكثير من قواعد التوحيد والعديد من الاحكام الشرعية والآداب الاسلامية[٢٠].

ومن اسماء سورة البقرة «فسطاط القرآن». فقفد كان خالد بن معدان الكلاعي ت ١٠٤ هـ، يسميها فسطاط القرآن وذلك لعظمها، ولما جمع فيها من الأحكام التي لم تذكر فى غيرها[٢١].

ومن اسماء سورتى «البقرة» وآل عمران:«الزهراوين» لما جاء فى قول الرسول صلى الله عليه وسلم: (اقرأوا الزهراوين البقرة وآل عمران فإنهما تأتيان يوم القيامة كأنهما غمامتان تحاجان عن اصحابهما). الحديث[٢٢].

لماذا يختار فلسطين وطنا مزعوما لليهود؟!

ورب سائل يسأل: لماذا اختاروا اليهود إذن فلسطين وطنا دينيا مزعوما لهم؟! الجواب هو أن الصراع، تاريخيا ،ليس بين العرب واليهود، وهو سابق للاسلام.

فمشكلة اليهود نابعة منهم، من عقدة الوضاعة والمذلة والتشريد التى عانوها منذ مخالفتهم لأوامر الله سبحانه وتعالى وتعاليم نبيه موسى عليه السلام، وتشتتهم فى صحراء سيناء على مدى اربعين سنة حتى تمكنوا فى عهد داود عليه السلام من غزو بيسوس ـ القدس ـ العربية: السكان والحضارة سنة ١٠٤٩ قبل الميلاد.

فاليهود، وهم خلال السبي الطويل فى سيناء كانوا يبحثون عن مستقر لهم يقيهم من تيه الصحراء فكانت القدس هدفا لغزواتهم المتكررة اذ تعاون اليهود مع قمبيز في غزوه لمصر في القرن الخامس قبل

---

(٢٠) سورة البقرة.

(٢١) «تاريخ القرآن الكريم» د. محمد سالم محيسن ص ٧٩.

(٢٢) اخرجه مسلم.

الميلاد، واصبحوا ضمن كلاب الحراسة الفارسية فى وادى النيل، سعيا وراء وطن، أي وطن، وارض اي ارض، يعيشون عليها.

.. وتعاونوا مع الأسكندر الأكبر والبطالسة والرومان مقابل منافع معينة يظفرون بها على حساب الأمم المحكومة.

وكانت حركة «المكابيين» التى اعقبت العودة من السبي، اول حركة صهيونية دعت الى اعادة بناء هيكل سليمان من جديد. وتلتها حركة «باركوفيا» سنة ١١٧ ـ ١٣٨ ميلادية. وقد حث هذا اليهودى جماعته على السعى للتجمع فى فلسطين واعادة بناء الهيكل وتأسيس دولة ـ يهودية وتنصيب ملك عليها من نسل داود..!!

وجاء الاسلام.. وكانت المدينة المنورة المجال الأول للصراع بين الحق والباطل، بين المسلمين واليهود، وذلك عندما اتخذها الرسول صلى الله عليه وسلم قاعدة للاسلام.. فجاهروه عليه الصلاة والسلام بالعداء، منذ ان دعا الى عبادة الاله الواحد الأحد الفرد الصمد الذي لم يلد ولم يولد.. وازدادت عداوتهم له، صلى الله عليه وسلم وبعد ان امره ربه سبحانه وتعالى ان يولي وجهه من المسجد الأقصى فى القدس شطر المسجد الحرام فى مكة المكرمة بقوله سبحانه: «قد نرى تقلب وجهك فى السماء فلنولينك قبلة ترضاها فول وجهك شطر المسجد الحرام وحيث ما كنتم فولوا وجوهكم شطره وإن الذين اوتوا الكتاب ليعلمون انه الحق من ربهم وما الله بغافل عما يعملون»(١٤٤)[٢٣]. .

لم يستطع اليهود اخفاء حقدهم على نبي الاسلام صلى الله عليه وسلم فراحوا يشككون المسلمين في دينهم وينقلون اخبار المسلمين الى المشركين ويفتحون بيوتهم لايواء اعداء الاسلام.

كل هذا، بعد العهد الذى قطعوه على انفسهم، مع المسلمين، للدفاع

---

(٢٣) «البقرة» الآية: ١٤٤.

معا: المسلمون واليهود عن يثرب - المدينة المنورة - حتى وصل الأمر بهم الى التحرش بالنساء المسلمات، وعندما يثور احد المسلمين، يقتلونه، ثم يرتدون على المسلمين قتلا ونهبا. وعندما رفض اليهود دعوة النبي صلى الله عليه وسلم الى كف الأذى عن المسلمين واحترام الحلف، أمر عليه الصلاة والسلام باخراجهم من المدينة المنورة بالقوة.

.. وهكذا كان.

وكما اخرج يهود بني قينقاع، كذلك طرد يهود بني النضير ويهود بنى قريظة بعد حروب مع المسلمين استمرت أشهرا.

وبذلك، تطهرت الجزيرة العربية، باذن الله تعالى وبفضل الاسلام، من رجز اليهود الى الأبد. وبعد مئات السنين من المؤامرات والدسائس والحروب التي تسببوا بنشوبها لضرب شعوب العالم بعضها ببعض، استطاع اليهود عقد تحالف جهنمى بينهم وبين الاستعمار الغربى لا يسنده شيء من التعاطف الانسانى وانما يقوم على اساس من مطامع الصهيونية العالمية، اضافة الى عنصر التعصب العنصرى الصليبى الذى ما زال يشنه الغرب على الشعوب الاسلامية حتى الآن..

وأمر هام آخر: أن فلسطين تقع فى قلب العالم العربى والاسلامى، وتصل بين شرقه وغربه، شماله وجنوبه. واذا تمكن اليهود من ترسيخ اقدامهم فيها،، فانهم لن يقنعوا بها، بل سيبثون منها على ما حولها، لتكون دولة كبرى تمتد من النيل الى الفرات، ويتسع سلطانها حتى يهدد الكعبة المشرفة والمسجد النبوى الشريف.

ثم ان فلسطين نفسها مكان دينى لا نظير له فى اية بقعة فى العالم ومع انها تحتوى على مقدسات اليهود والمسيحيين، كل على انفراد، فانها فى نظر المسلمين مثلثة التقديس، مقدسة: لاحتوائها على آثار انبياء الله من ابيهم ابراهيم - عليه السلام - الى آخر من بعث منهم الى بنى اسرائيل. والمسلمون يجلون الأنبياء أكثر مما يجلهم الاسرائيليون انفسهم،

«فداود» فى نظر اليهود ملك لا نبي. وكذلك ابنه سليمان ولكنهما عند المسلمين نبيان كريمان ولهذا احاط المسلمون مقامهما بمثل ما احاطوا مقدساتهم، وظلا موضعين للعبادة والرعاية الى آخر عهد المسلمين بهما.

وفلسطين مقدسة ثانيا، لاحتوائها على اثار المسيح وامه البتول وحوارييه. ومقدسة ثالثا لاحتوائها على المقدسات الاسلامية التي تراكمت وامتدت عبر العصور حتى شملت كل شبر فيها[٢٤].

إن تآمر اليهود على السيد المسيح عليه السلام ومحاربتهم له لا يحتاج منا الى بيان طويل، ويكفي ان نذكر ان تآمرهم ضده وضد اتباعه توالى على مر الزمن وقد لقي المسيحيون الأوائل من جراء دسائس اليهود ومؤامرتهم اهوالا من الارهاب والتعذيب والابادة.

وفى العصر الحديث يوجد فى نيويورك عدد كبير من دور النشر اليهودية المعروفة بميولها الصهيونية تهتم بطبع الكتب التي تتعرض لشخص المسيح عليه السلام تعرضا هو فى منتهى الشناعة وسوء الأدب، ومن ذلك كتاب نشرته دار «سيمون وشوستر» اسمه «التجربة الأخيرة للمسيح» لا يليق بنا ان نذكر شيئا مما ورد فيه فى هذا المقام[٢٥].

واذا اردنا ان نتعرف على شعور المسيحيين تجاه اليهود يكفى ان نبين ان الطقوس الوحشية التى يدين بها اليهود فى معاملتهم لغيرهم من ارباب الديانات الأخرى، والتى نصت عليها تعاليم التلمود، ومارسوها فى كثير من الأحيان، كان لها أكبر الأثر فى ان اتخذ الغرب منهم موقفا عدائيا عميقا، ولم يفعل الغرب ذلك الا بعد ان تأكد من

---

(٢٤) «خطر الصهيونية على الاسلام والمسيحية» عبدالله التل ص ٢٣ وما بعدها.
(٢٥) ذات المصدر ص ٢٨.

نوايا اليهود، وخبثهم ودسائسهم التى كانوا يقومون بها ضد الطوائف المسيحية المختلفة، الى الحد الذى اوقعهم فى حروب دامية ذهب ضحيتها الآلاف والملايين. ونتيجة ذلك فان اليهود تعرضوا لعمليات انتقام متوالية من الغرب.

في بريطانيا:

كان ذلك فى عهد الملك جون - وهنرى الثالث - وادوارد الأول ١٢٧٢م، حتى ا الأخير حكم بطردهم جميعا من بريطانيا عام ١٢٩٠م، فقد اتخذ هذا الاجراء انقاذا لهم من ثورة الشعب ضدهم، وحرقه لهم بالمئات، وتم طردهم، ولم يبق فى بريطانيا يهودى واحد طوال ثلاثة قرون متتالية، ولم يتغير الحال الا بعد ان اعلن كرمويل حمايته لهم عام ١٦٥٦م، ومنذ ذلك الوقت اخذ مركزهم يقوى فى بريطانيا، الى ان وصل الى الحال الذى نجده عليه اليوم.

وفي فرنسا:

اختنق الشعب الفرنسى بمؤامرات اليهود وسعيهم الحثيث لافساد الأوضاع الاجتماعية والاخلاقية فكان رد الفعل ان تعرضوا لعمليات انتقامية فى عهد لويس اغسطس، ولويس الأول، وفيليب الجديد، ولم تأت سنة ١٣٩٤م الا وكانت فرنسا قد خلت من كل أثر لليهود، ثم تسللوا الى فرنسا بعد ذلك اثر طردهم من اسبانيا، ولم يؤذن لهم بالسكنى الا فى اواسط القرن السادس عشر، ثم اخذ وضعهم يتحسن ويتقوى منذ الثورة الفرنسية حتى الآن.

وفي المانيا:

انتشر اليهود فى القرن الثامن ومنحهم الشعب الجرمانى فرصة العيش الكريم، ولكن طبيعتهم جرت عليهم الوبال فأخذ كيل العذاب

ينصب فوق رؤوسهم وطردوا من جميع المناطق الالمانية فى ازمنة مختلفة، وكان آخر امرهم مع الشعب الألمانى ما اتخذه هتلر فى شأنهم نتيجة تأكده من انهم كانوا سبب خسارة المانيا للحرب العالمية الأولى وانهم سيكونون كذلك فى الحرب الثانية.

وفي اسبانيا:

انقضى عصر اليهود المطمئن الهادى بخروج المسلمين منها، وبدأ اليهود يلاقون الويلات الى ان صدر المرسوم الملكى فى عهد فرديناند وزوجته ايزابلا عام ١٤٩٢م بنفيهم خارج البلاد وبذا تم طرد نصف مليون يهودى من اسبانيا.

وهكذا كان الحال فى البرتغال وفى روسيا، وايطاليا، ورومانيا، وبلغاريا، وسويسرا[٢٦]. ورحل اليهود الى فلسطين.

وفي امريكا:

وفى امريكا يقول «بنيامين فرانكلين» فى خطاب له عام ١٧٨٩م مبينا خطر الصهيونية على الولايات المتحدة: «هناك خطر جسيم تتعرض له الولايات المتحدة وهذا الخطر هو الاسرائيليون، اينما حل اليهود هبط المستوى الاخلاقي والشرف التجارى، انهم دائمو الشكوى من مصيرهم القاسى - ولكن اذا هيأ العالم المتمدين سبل العودة الى فلسطين (هكذا) اوجدوا اسبابا خاصة للرفض (هكذا).. اننى احذركم ايها السادة انكم اذا لم تقصوا اليهود فلن تمضى مائة عام حتى يذوق احفادنا الشقاء الأليم لاطماعهم.. ان اليهود خطر على هذه البلاد فاذا دخلوها حاق الخطر بدستورها. يجب اذن اجلاؤهم عنا»[٢٧].

---

(٢٦) ذات المصدر ص ١٠٦ وما بعدها.

(٢٧) «اورشليم قاتلة الأنبياء» محمود الشرقاوى ص ٧.

ويذكر لنا بعض الباحثين حوارا جـرى بين البـابا بيـوس العاشر وتيودور هرتزل في ٢٥/١٢/١٩٠٤م اوضح فيه البابـا انه لا يمكن للفاتيكان ان يمد يد المساعدة للصهيونية في محاولتها اقامة وطن قومي لليهود فى فلسطين وذلك لأن اليهود ـ فى تقديره ـ إما أن يظلوا محتفظين بمعتقداتهم فى انتظار المسيح وفي هذه الحالة يعتبر اليهـود منكرين للاهوت يسوع المسيح. او ان يذهبوا الى هنالك بغير دين.. وفى هذه الحالة يقول البابا: «نجد انفسنا في مجـال اضيق، وغير مستعـدين لمؤازرتكم». [٢٨].

ومن نـاحية اخـرى نجد انـه ليس لمسيحيى اوروبا ان يـدينـوا بضرورة رجوع بني اسرائيل الى فلسطين واستيلائهم عليهـا، طالما كانوا مهتـدين بقول «بـولس» فى رسالتـه الى اهل روميـة «انه ليس بالناموس كان الوعد لابراهيم ولنسله أن يكون وارثا للعالم، بل ببـر الايمان، لأنه ان كان الذين فى الناموس هم ورثة فقد تعطل لايمان وبطل الوعد» [٢٩].

سر التحالف الصهيونى ـ الاستعماري:

نجد اشارة في الجواب على هذا السؤال فيما ذكرناه من تحذيـر «فرانكلين روزفلت» لسكان الولايـات المتحدة الامـركية من اليهـود وضرورة ترحيلهم الى فلسطين.

كما نجد تأكيدا لهذا المعنى فى السؤال الذى وجهه كامبل بترمان عن (ما هو مصير الحضارة الغربية..؟) الى لجنة ألفها من بين مشاهير المؤرخين وعلماء الاجتماع والجغرافيا والاقتصاد والبترول والاذاعة للاجابة عن السؤال المذكور يقول كـامبل بتـرمان فى سـؤاله (.. إن

(٢٨) المصدر السابق ص ١٢٦.
(٢٩) المصدر السابق ص ١١٥.

الامبراطوريات تتكون وتتسع وتقوى ثم تستقر الى حد ما، ثم تنحل رويدا ثم تزول.. فهل لديكم اسباب ووسائل يمكن ان تحول دون السقوط أو الانهيار أو نؤخر مصير الاستعمار الأوروبى وقد بلغ الآن الذروة، واصبحت اوروبا قارة قديمة استنفدت مواردها وشاخت معالمها بينما العالم الآخر لا يزال فى مطلع شبابه؟).

ولقد عكفت اللجنة على دراسة الموضوع، وانتهت الى خطة للمستقبل، ضمنتها تقريرا احالته وزارة الخارجية الى وزارة المستعمرات ـ وقد جاء فى التقرير ان الخطر المهدد يكمن في البحر المتوسط، ويعيش على شواطئه الجنوبية والشرقية بوجه خاص حيث يوجد شعب واحد تتوافر له وحدة التاريخ والدين واللغة والآمال وكل مقومات التجميع و لترابط والاتحاد،فضلا عن نزعاته الثورية وثرواته الطبيعية وطالب التقرير بأنه على الدول ذات المصالح المشتركة ان تعمل على تجزئة هذه المنطقة وابقاء شعبها على ما هو عليه من تفكك وتناحر وتأخر، وطالب بضرورة العمل على فصل الجزء الأفريقى من هذه المنطقة عن جزئها الآسيوى، واقترحت اللجنة لذلك اقامة حاجز بشرى قوي غريب على الجسر البرى الذى يربط آسيا وافريقيا ويربطهما بالبحر الأبيض لمتوسط بحيث يشكل فى هذه المنطقة وعلى مقربة من قناة السويس قوة صديقة للاستعمار وعدوة لسكان المنطقة(٣١).

وعلى هذا الأساس تم الاتحاد بين الغرب الصليبى الحاقد والصهيونية الطامحة.. وصدر وعد بلفور!!

---

(٣٠) المصدر السابق ص ١٢٦.

(٣١) «القدس» سامى الحكيم ص ٢٦.

ضعف ارتباط اليهود بأرض فلسطين:

وليس ادل على ضعف ارتباط اليهود بأرض فلسطين، من ان زعماء الصهيونية فى العصر الحديث عندما بدأوا يفكرون فى بناء وطن قومي لهم، ساغ لبعضهم ان يتجهوا بتفكيرهم الى بلاد اخرى غير فلسطين، فقد اقترح البارون «هيرشى» اليهودى الألمانى الثرى، الأرجنتين، كأصلح مكان يمكن ان تقام عليه دولة اليهود[٣١].

بل ان هيرتزل نفسه، كان على استعداد لقبوله فى البرتغال أو قبرص أو موزمبيق او اوغندا أو الكونغو او الأرجنتين[٣٢].

اليهود ليسوا اصحاب الأرض الفلسطينية:

ان اليهود ليسوا اصحاب الأرض الفلسطينية، ولن يكونوا. اليهود مستأجرون لأقليم جعلت منه الولايات المتحدة الأمريكية منطقة عسكرية تابعة لها، حراسة للمصالح الاستعمارية لأمريكا.

ان القسم العام من ثروات اسرائيل: ليس ملكا لسكانها، بل هي حكر على الجمعية الاقتصادية الفلسطينية **(P.E.C.)** الأمريكية التى انشأها عام ١٩٢٩ فريق اصحاب المصارف الامريكية وابرزهم «كوهن لوك وشركاه» وكان الرأسمال الأصلى للجمعية ستة ملايين دولار، فحققت بين عام ١٩٤٨ ـ ١٩٤٩ ربحا صافيا قدره ٣ ملايين دولار. وكان هذا المشروع مدرا للربح لدرجة ان مدير الادارة الاقتصادية فى الوكالة اليهودية لفت الانتباه الى ان «بانما» هي الدولة الوحيدة التى حظيت باستثمارات امريكية اكثر من فلسطين[٣٣].

---

(٣٢) ذات المصدر.

(٣٣) «العصر الاسرائيلى» نجيب صالح.

فقد بدأت اهتمامات الولايات المتحدة العلنية بمنطقة الشرق العربى، عندما اصبحت شريكة فى هيئة النقل والتموين العسكرى المسماة «مركز التموين للشرق الأوسط».

وفى عام ١٩٤٣ انشئت «هيئة احتياط البترول» بهدف العمل فى هذه المنطقة من الشرق..

وفى عام ١٩٤٦ ظهر كتاب فى نيويورك عنوانه: «العهد الجديد لسياسات القوة» بقلم هالفورد ل. هوسيكى «يدعو فيه الشعب الأمريكى ليأخذ مكان البريطانيين فى الشرق»[٣٤].

□□□

(٣٤) دراسة نشرها «بيير روندو» فى مجلة الشرق ـ العدد الثانى نيسان ١٩٥٧.

محمد حسين زيدان

الصليبي أكذوبة لا نظرية .. واليهود لا أرض لهم ولا حضارة .

ولعلي احد الذين علموا ما كتبه الصليبي كميل (كمال) قبل ان يثار الجدل معه عربيا غاضبا ومسلما محاربا. ولكنى لم أشأ اول الأمر ان اخوض الجدل مع ان عندي ملفا يلخص الأكذوبة التى اجترمها مدلس التاريخ لا مدرس التاريـخ، واطلعت على الملف وكـادت الحوافـز ان تستكتبنى التزييف للزيف. تأخرت لاستوعب اكثر أو لأنى اردت ان لا اخسر قطرات من الحبر على صفحة قرطاس قد يستفيد منها العدو وما أكثر الاعداء وقد ينساق اليها الذين يعجبهم الجديد ولو كان انحرافا من بعض قومى العرب. وهل الصليبي الا عربي؟

ولعل خير ما دعاني الى التأخير هو القدوة فى كلمة للامام احمد بن حنبل يرحمه الله، قالوا له لماذا لا تكتب تفند مزاعم المعتزلة والمبتدعة والمرجئة؟ فأجاب: (لا احب أن أنشر اقوالهم) وفى هذه القضية اتسع النصر لأقواس الصليبي وباسلول من التوقر معه يطلقون على الأكذوبة انها نظرية مع أن النظرية تحتمل الخطأ والصواب، نظريـة خاطئـة نظرية صائبة، فهى لا تخضع للتكذيب أو للتصديق وانما هي خاضعة للخطأ والصواب. وما جاء عن مدلس التاريخ لم يكن نظرية وانما كان اكذوبة انتحلها وافتراها.

ان الصليبي تجاهل ان التاريخ وقائع واحداث لا تخضع للنظريات وان اختلف المفهوم وان تخالف فقهاء التاريخ فالحدث لا يخضع للافتراض ثم ان الجغرفة للأرض وتسمية القرية او المدينة او المكان انما هو من وضع صاحب المكان انسان الأرض من عهد قحطان الى عهد عدنان. فالطارىء الذي مر بالارض ولم يسكنها الا سنوات لا يصنع اسما لأي مكان ولكن قد ينقل الاسم الى دفاتر او في ذاكرته. لم يصنعه وان سجله في دفتره.

والتوراة الذي بين ايدينا ليست الا دفاتر الحاخاميين، دفتروها حين افتروها فاسماء القرى وما اليها على السراة وفى عسير والتى جاءت فى دفاتر اليهود ليست الا صدقا سماها العرب اهل الزمان والمكان رغم انها فى الدفتر المكذوب فتكذيب التوراة قد يجرنا الى تكذيب الصدق فى تسمية الأماكن العربية. فالتوراة المفتراة، لا اسير مع الذين يكذبونها فيحسبون انهم ينفون دعوة اليهود بأنهم اصحاب هذه الاسماء. الاسماء عربية وان تقادم العهد بالتسمية الى اوائل القحطانيين.

ان اليهود الذين هم الأكثرية يتسترون تحت اسم بني اسرائيل مع انهم ليسوا من صلب يعقوب عليه السلام، فانتساب اليهود فى أي مكان وفى فلسطين بالذات الى اسرائيل اكذوبة اخرى هم خزر اشكناز تهودوا فنسبوا انفسهم الى يعقوب الرسول النبى (اسرائيل) استغلالا للاسم وتزييفا على العرب. فالأستاذ الصليبي يعرف الهوان الذى يلقاه الاسرائيليون العرق من اليهود التمذهب فالعنصرية لم يهذبها التدين.

يهود رحل:

ان اليهود ورثوا الترحل من مكان الى مكان. فبنوا اسرائيل بدو كانوا اهل عير، ولم يستقروا فى مكان واحد ابدا زمنا، ولقد سجلوا هذا الوضع في بعض افلامهم فصوروا بيوت الشعر والاغنام. ان اسرائيل نفسه وبنيه لم يستقروا فى مكان واحد. تنقلوا من قرية الى قرية ومن

اقليم الى اقليم فكم هي القرى التى تنقلوا فيها فى فلسطين وتفرقوا اول ما تفرقوا فى ارض العرب كلها عدا نجد وعسير وحضرموت وصعيد مصر. فليس كذبا وان سجل فى التوراة القول بأنهم انتقلوا من فلسطين الى اجا وسلما (جبلى طىء) ومنها انتقل بنو يعقوب ليمتاروا من مصر حيث كانوا اهل عير (ابل) حتى اذا منّ الله تعالى على اسرائيل يعقوب عليه السلام برؤية ابنه يوسف الصديق لم يصل مع يعقوب الى مصر يستقبله العزيز ويحتضن ابنه الذي ما زال الصدق يسجل جريمة الأخوة على اخيهم تآمروا على قتله واتمروا فالقوة فى غيابة الجب، فكم عذبوا اباهم وكم وضعوا اخاهم فى الرق. لقد وصلوا الى مصر حيث جاؤوا من البدو كما هو النص الصادق فى القرآن الكريم ولم يبلغ عددهم حينذاك الا ستة وثمانين انسانا فعاشوا ولم يتعايشوا وهذا دأبهم فى كل وقت وفى كل مكان على مدى زمنهم السرمدى. انهم يعيشون ولا يتعايشون فما زالوا بدوا يتفجرون (غجرا) يركبون رواحلهم مذ كانوا اهل عير وحين اصبحوا شعبا حماريا (اهل حمير). فى البادية العير وفى سيناء الحمير ـ ان سيناء مهبط الوحى لموسى اذ ناجى ربه على جبل الطور، حقيقة صادقة لا يعتريها التكذيب فالتاريخ حفر على الصخر فى سيناء فلو تكلم ترابها لقال للصليبي أنا الأرض التى نجا فيها اليهود وليست عسير.

مكثوا فى التيه اربعين عاما. نجاهم الله بالمعجزة لنبيه موسى فأبى عليهم كفرانهم النعمة الا أن يعبدوا العجل. اضلهم السامرى ورفضوا الهداية التى انعم الله بها على موسى النبي. وليس كذبا انهم كانوا فى وادى القرى وفى خيبر وفى المدينة عاشوا وقتا وتفرقوا منها زمنا طويلا. حرمت عليهم مكة وحرمهم الشظف فى الصحراء وفي الاحقاف ان يعيشوا فيها. وهم كما سكنوا فى جزيرة العرب ـ كما اسلفنا ـ فقد سكنوا مصر وقتا كما سكنوا في اسبانيا وقتا اطول وفى فرنسا وبريطانيا

والمانيا وما زالوا اكثر فى روسيا كما هم كثر فى شرق الولايات المتحدة فهل يعطيهم هذا العيش الذى انتقلت فيه المعايشة حق الادعاء بأن كل الأرض التى مروا بها وطن لهم؟ وهل يصح للفلسطينيين الآن أن يذهبوا الى موسكو عونا للاتحاد السوفييت مقابل ان يمنحهم وزير خارجية روسيا وعدا من جروميكو بان الاندلس وطن قومى للعرب؟ او هل يجوز لعضو فى الكونجرس الامريكى ان يطلب من الادارة الامريكية منح اليهود فى نيويورك وطنا قوميا تؤسس فيها اسرائيل؟.

ان وعد بلفور امس هو كوعد جروميكو او هو كاقتراح عضو الكونجرس امر باطل من اساسه وليس بطلانه رفض الاسبان او رفض شعب الولايات المتحدة وانما هو الباطل فى ذاته فلئن كانت القوة اعطت لوعد بلفور هذا الوضع فلا يعنى ذلك انه حق.

حقد تاريخي:

ان الصليبي كميل ابعد انه المأجور بدولارات وانما هو المأجور لحقده الصليبى تجرعه طفلا ولم يرفضه كما رفضه احمد فارس الشدياق ولم يهتك ستره كما هتكته جان جاك روسو فالحقد على الاسلام وعلى العرب وارضهم شنشنة اعرفها من اخزم فذلك قديم، قبل ان كان آباؤهم عونا لجنكيز خان وبعد ان كانوا مبعث النكد لمعاوية وعبد الملك وبعد ان كانوا الكيد كل الكيد لسيف الدولة.

من هنا اترحم على محمد الفاتح الذى دمر روما الشرقية وألعن وعد بلفور ومن اليه من الذين اعطوا للكهنوت الصليبى ان يمارس حقده الجديد.

وحكاية تزوير التوراة والحملة على اليهود كانت قبل لوثر وقبل ان يصرح ابا ايبان ان التوراة من صنع الحاخاميين فقد عرفنا ذلك يقينا من القرآن (يحرفون الكلم عن مواضعه) عدلوا ما استحفظوا وبدلوا ما حفظوا ثم تلا هذا اليقين القرآني مقالة صرح بها الامام سفيان بن

عيينه قال: ان ابناء الموالى فى الاسلام يحاولون الافساد كما فعل ابناء سبي من اليهود، فاليهود فى السبي قد تأثروا بوثنية الفـرس ولهجة الفرس فأخذوا يبدلون ويغيرون فلا زال التأثير الفارسى فيهم الى الآن اشتد به تعنصرهم وتأثرت به لهجتهم. فالاسرائيلى الذى ظل فى جزيرة العرب فى اليمن او العراق وحتى فى مصر لم يتأثر بلهجة الفرس لأن الحاخاميين فيهم لم يتأثروا بها، اما هؤلاء الذين هجروا، وهاجروا من الخرز والسلافيين، وغيرهم فاسمعوا واحدا منهم اذا تحدث، تجدون لهجة فارسية اذا ما نطق يذاع صوته فى المذياع وحين اقام الله لهم ملك داود وسليمان خضعوا مـرغمين لطاعـة النبي الرسول وفى همسهم العمل لزوال هذا السلطان حتى تمنوا موت سليمان. نظروا اليه واقفا فهابوه حتى اكلت الأرضة عصاته، فأخذته نومة الميت مسجى عـلى الأرض. فرحوا بموته لأنهم لا يتقيدون بدين ولا ينقادون لسلطان، فهم عصابة ما زالوا بدوا يهاجمون ويهجرون.

من هنا فليست لهم حضارة فـالحضارة زمـان ومكان وانســان. فالزمان بعثروه والمكان تبعثروا فيه والانسان منهم يعيش ولا يتعايش فكيف يصح ان يدعى الصليبي ان عسير كانت منزل الوحى على موسى؟ يصدق دفاتر الحاخاميين ويكذب حقيقة التاريخ وما اصدقها فى القرآن الكريم؟، قال لي من املى عليه: ان الصليبى لا يؤمن بالقرآن فلا يصدقه فلماذا تحتج عليه بالقرآن؟ قلت: ليس القصد ان يصـدق الصليبي وانما القصد ان يصادق العربى اســلامه، قـرآنه فـلا تأخـذه لوثة الأكاذيب. لقد اخذت على جمال عبد الناصر يرحمه الله انه قال يوما «ما»: ان غزو اليهـود لفلسطين وحـربهم على مصر مـا هو الا غـزو حضارى، وحين سمعت ذلك قلت لبعض الاخوان ان هذا خطأ فاليهود لا حضارة لهم فهم فى هذا القرن الحضارى او هو المدنى على الأصح ما هم الا يمارسون همجيتهم الأولى يخـربون كـل ارض سكنوا فيهـا

وسيتجرع الذين يأوونهم الآن تخريبا لن يستطيعوا اقامة بناء جديد لما دمروا، فهم لا اصدقاء لهم ولا صدق فى كل مسيرتهم. فليزعموا اي زعم، ولكنهم لن تكون الحقيقة معهم فعسير عربيــة عربيــة من عهد قحطان ولئن زعموا ان نيوتن وانشتاين وأميل لودفيج كانوا قمــة فى التحضر ومواكبة الحضارة فلنقل لهم ان نيوتن اليهودى لم يكن فى ثبت اليهود حضاريا وانما كان فى ثبت الانجليز واشتــاين فى ثبت الالمان وأميل لودفيج فى ثبت النمسا.

لو كانوا حضــاريين لاحتــرموا انبيــاءهم بل انهم قتلوا الانبيــاء وتلسنوا بالتهم الشنيعة على الأنبياء ولهمجيتهم فهم يقدسون استير وسالومى. لقد نفوا عن موسى انه اسرائيلى كما زعموا ان عيسى ارامى.

اسقطوا اكاذيبهم واعتنقوا صدق قرآنكم وتاريخكم.

أما كيف وضعت اسم كمال كميل لاثبت ان وراثته الفينيقية هي التى تقصر المد، فالعربية القديمة ليس فيها المد، فلئن كان قد وجــد الفاظا ننطق بها بحرف المد ووجدها على صورة لا حرف مد فيها فذلك اسلوب عربى، كنعانيا وفينيقيا وقحطانيا، حتى جــاء المد تفصيحــا عدنانيا.

واخيرا فدعوة ان اسرائيل ستملك ما بين النيل والفرات، انها دعاء ابي الأنبياء ابراهيم الخليل عليه السلام، وهي صادقة تحققت لبنيه من نسل ولده اسماعيل، فالذين هم عمروا ما بين النيل والفرات لم يكونوا الا العدنانيين، أما اليهود فلا حظ لهم في ذلك.

واسم النيل اذا وجد على السراه فهو اسم للنهر عامة، فالأفارقة اذا ذكر (تمبوكتو) قالوا انها مدينة على نهــر النيل، ويعنــون بذلك نهــر النيجر، فالاسماء تتشابه كما اسم صور والجبيل وبنت جبيل اول ما اسست على الخليج ثم انتقلت مع العربى الى لبنان.

محمد رضا نصر الله

قنبلة الصليبى وكيف نواجهها

اصبحت كلمة «الاستعمار» كبيرة، أكبر من كل المساحات التى احتلها فى الماضى، ومتعددة أكثر من كل الفعاليات التي فرضها حتى مؤتمر يالطا.

فى الماضى، وحتى بداية عصر النهضة كان الاستعمار يجثم بثقله العسكرى وبضلاله الفكرى! لكن المحتل العربى كان هو الآخر يحدد موقفا واضحا وثابتا، اساسه الرفض والمقاومة.. حتى تفجرت المنطقة العربية بحركات التمرد الوطنى المعروفة.

غير أن الاستعمار فطن الى ان وجوده بهذه البشاعة لا يخدمه.. فاتفق على انشاء سفارة دائمة له تتمركز في القلب العربى فكانت اسرائيل الوكيل الشرعى للاستعمار العالمى الاحتكاري على مرأى من المواطن العربى.

ولأنهم درسوا التركيبة التاريخية والاجتماعية والفكرية للمجتمع العربى الذى افرز مواطنا يفكر بطريقة تجزيئية، فقد شلوا عقله شللا ذكيا، لقد عزفوا على أنغام غريزته، واطلقوا العنان لكل رغباته فى الاستهلاك، انه يستلذ مثلا بشرب الكوكا كولا دون ان يعي ان فى ميزانية شركة هذا المشروب المنعش بندا ضخما للمساعدات الاسرائيلية!!

يصدرون كل اساليب العيش الرغيد لينهمك المواطن العربى ف غيبوبة الاستهلاك الشره دون أن يعلم بأن مفكرا مثل جان بول سارتر، كـان فكره يهيىء العقـل العربى المعـاصر لهذا الاتجـاه او ذاك من اتجاهات الاستهلاك الفكرى والأدبى.. فالوجودية التي كانت ايدلوجية شباب الرفض المطلق في الخمسينات لم تكن ـ بظروفنا العربية ـ سوى محاولة تفريغ للذات العربية من اي التزام تاريخى واجتماعى.

اننا حتى هذه اللحظة لم نحدد موقفا نظريا شموليا واعيا من الأطر الاستعمارية التى تحتضن اسرائيل ـ مؤسسات ونظريات ـ.

وانه لبائس من يتصور الدولة اليهودية قائمة على اركان حربها ورجال عصاباتها والحاحهم الدينى اللا محدود فى العودة الى الأرض الموعودة..

انه لبائس من يعتقد بان اسرائيل تشكل ذاتا قومية أو دينية او اقتصادية أو ثقافية.. انها ليست سوى برج مراقبة كان الاستعمار يبحث لها عن اي موقع وقد وضع اليهود امام خيارات معروفة.. نعم ولكن من يجلس وراء واجهـزة التجسس اجهـزة الحـرب واجهـزة التخـويف الاعـلامى هـو ذلك النـظام الاستعمـارى المتكـون من الاستراتيجية والمنهج.. النظام المعرفى والاستهلاكى واداة الحرب.

انها اذن ـ ليست سوى جزء ولكنه يختصر الكل الاستعمارى ف كافة توجهاته الفكرية وميكانيكيته الاستراتيجية والاحتكارية.. من هنا اصبحت الصهيونية مسـاحة ايـدلوجية نفعيـة يقف فيها الليبـرالى الغربى والشيوعى الشرقى واليهودى العربى والمسيحى الأمريكى.

هكذا فعل القس البروتستانى (و ليام هشلر) الذى وصل الى المؤتمر الأول للحركة الصهيونية المنعقد فى مدينة بازل بسويسرا عام ١٨٩٧م بصحبة هيرتزل الزعيم الصهيونى المـؤسس (وهتف قائـلا

«يحيا الملك» وخطب في المؤتمر مطالبا بأن «استفيقوا يا أبناء اسرائيل، فالرب يدعوكم للعودة الى وطنكم القديم فى فلسطين).. وفى نفس المدينة بازل، وفى نفس القاعة، انعقد فى اواخر اغسطس ١٨٨٥ اول مؤتمر صهيونى مسيحى دولى، ضم اكثر من ٦٠٠ رجل دين ومفكر مسيحى وقد هتفوا بحياة اسرائيل الكبرى، وصلوا من اجل «عاصمتها الموعودة الأبدية.. القدس»، وقرروا الانتشار فى الأرض - تنظيما وحركة وفكرا - لخدمة وحماية وتكملة المشروع الصهيونى.. ومن أجل «ارضاء الرب».. أيضا!).

هذا ما ذكره الاستاذ يوسف الحسن فى دراسته القيمة (مؤتمر دولي للمسيحيين الصهاينة ايضا!) والمنشورة فى العدد ٣٢٦ يناير ١٩٨٦م من مجلة العربى الكويتية.

وما أدرى ما الذى جعلنى اتذكر الدكتور كمال سليمان الصليبي.. هذا الذى فجر قنبلته الرهيبة الدوي فى كتابه (التوراة جاءت من جزيرة العرب).

لقد تردد اسم الرجل فى ذهنى أكثر من مرة.

فمرة حين قرأت فصولا متفرقة من كتابه، منشورة فى جريدة القبس الكويتية والتى استمرت تنشر فصول كتاب الصليبي تباعا ولم تتوقف الا بعدما وجدت الكتاب مطبوعا بالعربية فى ايدى القراء.. ففي ما قرأت لم اجد - على سعة اطلاع الرجل - سوى نفس المنهج البراغماتي الذى يحاول دائما لي عنق الحقيقة لتكون في صف الباحث بأي ثمن.. هذا ما فعله قبل عشرين سنة انيس فريحه الذى حاول اعادة كتابة الخط العربى باللاتينية! بنفس المبررات المنهجية التي لا تستقيم مع الواقع التاريخى والمعاصر للغة العربية، وبنفس الاتجاه الذى

يوحى به هذا المنهج حاول لويس عوض اضفاء صبغة عرقية وثقافية خاصة فى شقيقتنا مصر.

ان الدكتور الصليبي يحاول اصطياد اي مبرر لتقوية اطروحته.. أو بالأحرى انه جدد اطارا منهجيا لبحثه التاريخى بشكل مسبق وطفق يحشوه بحقائق لا تتصل بذلك المنهج الا من حيث ما حسبه تشابها بين اسم فى تهامة عسير وآخر فى التلمود!؟.. ومن غير شك فان من قرأ رد استاذنا الجاسر الأخير فى مجلة اليمامة سوف يكتشف ان الصليبي جمع نهر الفرات وجيحون فى بقعة لا تتسع لمساحة قرية!! وأين فى جنوب الجزيرة العربية!؟.

لقد درس الدكتور لويس نويا فى بحث له نشرته مجلة (مواقف) منذ سنين موضوع المقارنة بين الأديان السماوية.. وقد وجد ـ ضمن اجتهاده الليبرالى طبعا ـ ان المجال المكانى الواحد للأديان السماوية كان سببا فيما وجده من تشابه فى بعض القضايا.. وقد فعل نويا ذلك مجتهدا، على اننا كمسلمين قد لا نقره على ما توصل اليه من نتائج إلا أنه على كل حال لم يكن يتفيأ شيئا مما «خطط» له الدكتور الصليبى لأمور عدة من بينها:

أولا: لقد سبقت قنبلة الصليبي هالة اعلامية مركزة وموظفة قادتها دار شبيغل الألمانية هذه التى اعتادت على تشويه الذات العربية، والاساءة الى معتقدها الاسلامى.. بل أنها اتخذت موقفا عدائيا من الدول التى تتبنى الموقف الاسلامى دون غيرها وفى مقدمتها المملكة.. من هنا تتبنى بحماس نشر ما كتبه الصليبى ضمن خطة اعلامية مرسومة، ففى البداية تنشر شيئا من كتاب الصليبى، وبعد ذلك تنشر الكتاب كاملا باللغة الألمانية وتتلوه بترجمات حية فى عدة لغات غربية.

وثانيا : ماذا عن هذا التوقيت الذى جاءت فيه قنبلة الصليبى؟

انه يتزامن مع اعلان اسرائيل عن استراتيجيتها فى الثمانينات - والتى ترجمت عمليا بعض فصولها - والقاضية بتفتيت الحزام العربى المحيط باسرائيل الى دويلات طائفية وعرقية واقليمية حتى تواصل تنفيذ مشروعها الصهيونى الكبير فتصبح على ما تتمنى دولة نووية عظمى تتوسط كيانات تريدها هشة مطواعة لا تقاوم اي فعل استعمارى صهيونى.

من هنا وجدت اسم الدكتور الصليبى يتردد مرة اخرى حين عرفت اهتمامه بدراسة «الاقليات فى المشرق العربى» دون مغربه!؟. ولم يذهب التردد ولم تغرقني الدهشة الا حين وصلت الى فقرة من دراسته المنشورة بنفس العنوان فى مجلة المستقبل العربى فى العدد ٤٦ وتاريخ ١٢/١/١٩٨٢م حيث يقول:

(وفى مظاهر العصبية عند عامة العرب المسلمين مهما كانت دوافعها الاجتماعية الحقيقية، ما يزيد فى تخوف المسيحيين على مصيرهم)!!

اذن فكأنه يضرب على نفس المخطط الاستراتيجى القاضى باشاعة القلاقل فى المنطقة العربية واعادة صياغتها جيبوليتكيا فيما يخدم الأهداف الصهيونية. ولا سبيل الى ذلك الا اشاعة النعرات الأقليمية والحروب الطائفية وما نشهده فى لبنان هو المختبر الذى تطبق فيه نظريات الصهيونية وكمال الصليبى جنبا الى جنب.

ان القنبلة التى فجرها الصليبى فى كتابه (التوراة جاءت من جزيرة العرب) والتى ينبغى لنا ان نحاصر دويها، لم تأت اذن اعتباطا، بل انها قنبلة فكرية موقوتة، هدفها تهيئة الرأي العام الغربى لمزاعم يهودية صهيونية جديدة لا يتنازل عنها - عادة - إلا بتحويلها الى حقيقة موضوعية كما يفعل ذلك فى افتراءاته والتى تتحول الى مشروع صهيونى.

ومن ناحية ثـانية، اخشى ان تكـون هذه القنبلة الصليبيـة ـ الصـهيونية تهديدا سياسيا فكريا ـ وإنها لكذلك بالطبع ـ لدولة اعتبرت نفسها دولة مواجهة مع العدو الصـهيونى. غـير ان ذلك لن يثنى من عـزيمة الأرض التى رعت الثـورة الفلسطينيـة وازاحت عن رقبتهـا السكين الصـهيونية فى احلك اللحظات.

لهذا فأنا ادعو الى مواجهة هذه الدعاوى التى لفقها الدكتور الصليبي، عبر استراتيجية اعلامية علمية هـادئة، تكـون مهمتها فى الأساس اقتحام «المخيلة» الغربية والممتلئة بتشويهات الاعلام هناك.

اننى اقوس كلمة «المخيلة» مرة اخرى لأن مـا جاء في كتـاب الصليبى لم يكن سوى طرح اسطورى فى معرفة التاريخ ـ اولا ـ وبعد ذلك فان الصورة المرسخة عن المواطن العربى، والذى يصور دائما على انه بدوى يتربع على بئر من البترول؛ تطرح ضمن خطاب اسطورى كاريكاتورى يفتقد الى ابسط وسائل الاقناع العلمى وكلاهما موضوعان قابلان للاشاعة فى الذهن الغربى.. وليس ذلك بغريب حيث يشاع مثل ذلك فى مجتمع الذرة والتكنولوجيا فالوجدان والرأى العام هناك هما دائمـا تربـة خصبة لصيـاغة الشـركات الاحتكـارية والمـؤسسـات الاعلامية.

ويـظل السؤال كيف تتكـون تلك الاستراتيجيـة وكيف يكون تنفيذها؟.

اننى ادعو الى لجنة تؤلف من ادارة الاعلام الخارجى فى وزارة الخارجية وبعض المؤسسات الاكـاديمية المحليـة والعربيـة ووزارة الاعلام والأمانة العامة لجامعة الملك فيصل العالمية وذلك لاعداد صيغة اعلامية تدرس فى المقام الأول الأسلوب الذى تستطيع التـوصل من خلاله الى المجتمع الغربى فى مستوياته الشعبية والمؤسسات قبل ان تأخذ دعاوى الدكتور الصليبى ـ المضحكة فى نظرنا ـ خطا جادا فى المخيلة الغربية.

فيصل حسون

إدعاءات «الصليبي» المتهافته

قبل عام او بعض عام اذيع نبأ اقدام استاذ لبناني يدعى الدكتور كمال الصليبي يعمل مدرسا لمادة التاريخ فى الجامعة الأمريكية ببيروت على تأليف كتاب بعنوان «التوراة جاءت من جزيرة العرب».

وقد عرض المؤلف نشر كتابه على عـدد من دور النشر الأجنبية، فرفضت اكثرها نشره.. حتى قبلت مـؤسسة ديـر شبيغل الألمـانية المعروفة بحمـاسها لاسـرائيل نشر الكتـاب والتعاقـد مع عـدد من مؤسسات النشر الاجنبية لينزل الكتاب فى الأسواق منشورا باللغات: الالمانية والانجليزية، والفرنسية والهولندية والدانمركية، اضافة الى اللغة العربية. وفى يوم ٢٧/٩/١٩٨٥ طرح الكتاب فعلا بتلك اللغات، واشترت بعض الصحف العربية والأجنبية حقوق نشره او نشر فصول منه، ابتداء من ذلك التاريخ.

تقول مؤسسة الابحاث العربية التى اخذت على عاتقها مهمة نشر الكتاب باللغة العربية: ان علماء التوراة وقفوا موقف العداء من الكتاب وراحوا يشنون الحملة عليه لأنه برأي مؤلفه يحمل في ثناياه تناقضا كاملا لنظرياتهم التقليدية التى افتقرت الى التمحص والتدقيق فيمـا يتعلق بأصول التوراة.

وتضيف المؤسسة فى تقديمها للكتاب ودفاعها عنه: ان المؤلف يطرح نظرية جديدة تقوم على وجوب اعادة النظر فى «الجغرافيا التاريخية للتوراة» حيث يثبت ان احداث «العهد القديم» لم تكن ساحتها فى فلسطين، بل انها وقعت فى جنوب غربى الجزيرة العربية، ويستند فى ذلك على ادلة اكتشفها فى مجالى اللغة والآثار، ويقارنها بالمألوف والسائد من «الجغرافيا التاريخية للتوراة»!

أما المؤلف فيستهل مقدمته للطبعة العربية قائلا: «هذا الكتاب بحث فى جغرافيا التوراة على اسس جديد وخلاصته ان البيئة الجغرافية للتوراة لم تكن فى فلسطين، بل فى غرب شبه الجزيرة العربية بمحاذاة البحر الأحمر وتحديدا فى بلاد السراة بين الطائف ومشارف اليمن وبالتالى فان بني اسرائيل من شعوب العرب البائدة اي من شعوب الجاهلية الأولى، وقد نشأت الديانة اليهودية بين ظهرانيهم ثم انتشرت من موطنها الأصلى ومنذ وقت مبكر الى العراق والشام ومصر وغيرها من بلاد العالم القديم.»

ثم يقول المؤلف فى مقدمته: «وعندما بدأت تراودنى فكرة وضع كتاب حول الموضوع ترددت كثيرا فى ذلك. وكنت اتساءل: اذا كان لي الحق بأن احدث بلبلة في افكار الناس بمثل هذا الخروج عن المألوف والمتعارف، خصوصا وأني كنت خبرتههذه البلبلة بنفسي عندما تبين لي ما تبين عن جغرافيا للتوراة للمرة الأولى».

ولعل من حقنا نحن الناس الذين استهدفنا المؤلف بالبلبلة التى حاول احداثها بكتابه ـ أن نتساءل قبل الخوض فى مناقشة الموضوع: لماذا اختار المؤلف هذا الوقت على وجه الخصوص، لتفجير قنبلته، واثارة بلبلته؟ ولماذا هذا الاصرار على نشر كتابه بعدد من اللغات العالمية، وخلال مرحلة تبدو من أكثر مراحل الصراع العربى الاسلامى مع الصهيونية والصليبية والاستعمار، قتامة وسوادا واخطارا؟ بل

لماذا يصر المؤلف على الادعاء بأن « التوراة جاءته من بلاد العرب » فى حين يتبارى الإعلام الغربى الصهيونى والصليبي على الزعم بأن العرب واليهود هم سلالة ابراهيم عليه السلام ، ورفع شعار الالتقاء بين « أبناء العمومة » .. مع اعتراف المؤلف ـ أو زعمه ـ بأن بني اسرائيل كانوا أول من دان باليهودية ، لكنهم لم يكونوا وحدهم اليهود حتى فى زمانهم والديانة اليهودية التى ربما كان يدعي انتشرت على أيديهم أول الأمر ، استمرت فى الانتشار بعد زوالهم وانقراضهم كشعب !

ماذا يريد المؤلف أن يقول .. ولماذا يطلع بنظريته الآن .. وكيف يزعم أن التوراة جاءت من جزيرة العرب ؟.

نحن نعرف سلفًا ان الصهاينة لن يتركوا فلسطين ليعودوا الى أي مكان يكتشفون أو يكتشف العالم لهم انه كان ارضهم أو كان لهم وجود فيها فى سالف الزمان .. فاصرار اليهودية العالمية على أن يكون وطنها القومى فوق تراب فلسطين لا ينطلق من أساطير الرجوع الى ارض الميعاد ، وإنما تحكمه وتفرضه أطماع ومصالح استراتيجية اقتصادية وعسكرية وايديولوجية ، وعلى الرغم من تصميم الصليبية أن تزرع الكيان الصهيونى فى فلسطين وتغذيه وتمد جذوره فى ترابها العربى من خلال استيحاء تراث الماضى ، والعودة الى حديث « الاسرائيليات » التى شوهت التاريخ وزورت الوقائع واندست على بعض فترات ومراحل العصر الاسلامى وما شهد من انحرافات المندسين عليه والمشوهين لعقيدته المتلاعبين بالالفاظ والحقائق .. فان الهدف الصليبى الصهيونى يظل هو هو لا يتغير ، ويظل اغتصاب فلسطين بموقعها من قلب الوطن العربى ذلك الهدف الاستراتيجى الذى تضطلع الصليبية والصهيونية بتحقيقه الى سلطان تحكمها على الوطن العربى الاسلامى الكبير كله .ولا يمكن أن تندرج محاولة البحث عن اصول ينسب انحدار التوراة منها ـ باعتباره العهد القديم ـ غير تلك التى اجمع

المؤرخون على انحداره منها، الا فى سياق فتح جبهة من العدوان على قلب الجزيرة العربية مهد الاسلام وحوزته.. وهكذا لم يكن غريبا ان تنشر اسرائيل عشية صدور كتاب «التوراة جاءت من جزيرة العرب» كتابا تلقنه لطلبة مدارسها تمهيدا لنشره على الرأي العام العالمى من بعد، وهو الذى تدعى فيه ان الاسلام نفسه قد ظهر اول ظهوره فى العهد الأموى، لتزعم ان دعوة محمد صلى الله عليه وسلم لا وجود لها تاريخيا!!!

ولا ادرى كيف يقتنع استاذ جامعى بنظرية ان «التوراة جاءت من جزيرة العرب» وليس عنده من سند تاريخى حتى ولو اعتمد على شهود الزور اومحترفى الدس ومزيفى الحقائق فى دعم نظريته، وهو الذى يعلم حق العلم ان المؤرخين الثقاة - من غير العرب وغير المسلمين - لم يستطيعوا ان يؤرخوا للتوراة بأكثر من أنها ليست توراة موسى عليه السلام.. اذ ان شريعة موسى الأصلية لا يعرف عنها شىء ولم يعثر لها على أي أثر، وغير معلوم بأية لغة كتبت.. فى حين ان التوراة المتداولة فى الوقت الحاضر كتبها الكهنة والاحبار اليهود فى فترة الأسر فى بابل من عام ٨٥٦ حتى عام ٥٣٩ قبل الميلاد، اي بعد عصر النبي موسى بثمانمائة عام، وبعد ان انحرف الموسويون عن دين موسى وعبدوا الأصنام ثلاثمائة سنة فى فلسطين قبل سبيهم.. واولئك الكهنة والاحبار هم بقايا مملكة يهوذا المنقرضة وقد عاصروها فى اواخر ايامها.. وكانت احلامهم منصبة على العودة الى فلسطين فاقدموا مندفعين بهذا الحلم الوهمى على «تصميم» ديانة اشبعوا فيها شهواتهم ورغباتهم لتحقيق الهدف الذى رسموه لها. وكان ذلك - على حد قول الدكتور احمد سوسه فى كتابه الرائع العرب واليهود فى التاريخ - بعد عصر ابراهيم الخليل بأكثر من الف وثلاثمائة عام، ويعترف العالم اليهودى سيلفر فى كتابه «موسى والتوراة الأصلية» بأن التوراة الحالية لا تمثل توراة موسى

الأصلية فى اية ناحية «وحتى الوصايا العشر» كما يقول سيلفر ـ التى يكاد يجمع العلماء انها الشيء الوحيد المتبقى من التوراة الأصلية، لم تكن بكمالها وعلى هيئتها الحالية كالتى أتى بها موسى.

يقول مؤلف كتاب «التوراة جاءت من جزيرة العرب» ان اساس الكتاب هو المقابلة اللغوية بين اسماء الأماكن المضبوطة فى التوراة بالحرف العبري واسماء اماكن تاريخية أو حالية فى جنوبى الحجاز وفى بلاد عسير مأخوذة اما عن قدامى الجغرافيين العرب، أو عن المعاجم الجغرافية العربية الحديثة، أو من الخرائط المفصلة لتلك المناطق، او عن مؤلفات الرحالة عن تلك الجهات.. وانه اي المؤلف قام بزيارة المنطقة المعنية شخصيا للاطلاع المباشر على طبيعتها وللتحقق من اللفظ المحلى لبعض اسماء المواقع فيها!

ويفهم من هذا الكلام ان اساس النظرية التى طلع بها المؤلف، ليس سوى «مقابلة لغوية» بين «اسماء الأماكن» الواردة فى التوراة.. وبين اسماء اماكن تاريخية او حالية فى جزيرة العرب.. مع التجاوز عن وجوب «التطابق» على الأقل، بدعوى الاختلاف الثابت ما بين الحرف العبرى والحرف العربى!

وقياسا على هذه النظرية الغريبة والمتهافتة فى استكشاف الحقائق التاريخية من «المقابلة اللغوية» يغدو بوسعنا ان ندعو الى الغاء كل التاريخ والمأثورات التاريخية، ونستنبط تاريخا جديدا وجغرافية جديدة للبلدان والشعوب والأمم من مجرد المقابلة اللغوية او التشابه والتماثل بين اسماء مدن ومواقع وبلدان على امتداد العالم بقاراته الخمس، وكفى الله المؤمنين القتال.

وعلى سبيل المثال نستطيع ان نقول ان الاسكندر القائد المقدونى الشهير هو مؤسس مدينة الاسكندرية المصرية فى عام ٣٣١ قبل الميلاد، ولا بد ان تكون مدينة الاسكندرية العراقية جنوبى بغداد ومدينة

الاسكندرية الايطالية الصناعية ومدنا اخرى فى امريكا الشمالية تحمل اسم مدينة الاسكندرية.. هذه المدن جميعا ايضا لا بد ان الاسكندر انشأها هي الأخرى مع أو قبل انشائه الاسكندرية المصرية.

وفى امريكا وبعض البلدان العربية مدن ومواقع وشوارع تحمل اسماء بغداد والقاهرة ودمشق ومصر ولبنان وفلسطين.. وقد اقام فى تلك المدن والمواقع او الشوارع مواطنون عرب مهاجرون من بلدانهم الأصلية.. فهل نعتبر هذا دليلا على ان تلك المدن والبلدان ذات جذور تمتد بها عبر المحيطات لتستبدل تاريخها الحقيقى، بروابط وعلاقات وجغرافيا تاريخية جديدة، أو ربما اكثر قدما من تاريخها الأصلى مع جغرافيا البلدان والمدن والمواقع الأصلية؟!

ولو افترضنا حسن النية لدى المؤلف، وافترضنا حسن الظن فيما بذله من جهد..فهلا كان من الأفضل لو وفر الرجل جهده لمناقشة المزاعم الصهيونية وفضح الأكاذيب اليهودية التى روجت «للادعاء السائد بين يهود العالم بأنهم من سلالة اسرائيل» دون ان يكتفى المؤلف بأن يقول فى مقدمة كتابه العربية «ان هذا الادعاء شعرى لا يقوم على اساس من التاريخ» او ان يقوله: «فالادعاء الصهيونى الحديث بأن اليهود ليسوا مجتمعا دينيا فحسب بل هو شعب وريث لبنى اسرائيل، انما هو ادعاء باطل اصلا، لأن بنى اسرائيل شعب باد منذ القرن الخامس قبل الميلاد، وهو باطل حتى فى حال اقرار المبدأ بأن الشعوب حقوقا تاريخية فى اراض معنية تبقى قائمة على حساب الآخرين مهما طال الزمن. واقل ما يقال فى هذا المبدأ انه غير مقبول الا من اصحاب الهوس العرقي؟!؟

والخلاصة ان القول بأن «التوراة جاءت من جزيرة العرب» قول متهافت.. ويكفى ان يقال فى الجهد الذى بذله مؤلف الكتاب، لاعداده ونشره بأنه عبث من غير طائل، وعمل دونكيشوتى لادعاء البطولة فى محاربة طواحين الهواء.

أحمد رشاد العتيلي

فرية الصليبي
وغضبة «الحميد»

في يوم الثلاثاء ٣ ربيع الآخر ١٤٠٥هـ جاء في مقالتي «المستشرقون والحضارة الاسلامية» المنشورة في صحيفة الندوة الغراء هذا القول: «وتزييف للتاريخ ينساب في العقل المسحور انسيابا لطيفا ـ ولكن باصرار ـ كما هو شأن المستشرق اليهودي «اسرائيل ولفنسون» الذي يدعي ـ كما تذكرنا السيدة بنت الشاطىء في كتابها «لغتنا والحياة» ان «جزيرة العرب كانت الموطن الأصلي لليهود.. وانهم هاجروا منها بلغتهم العبرية.. واحدثت هجرتهم اثرا بعيدا في التاريخ العام ـ هامش ص ٢٩».

وفي يوم الأحد التالي ٨ ربيع الآخر ١٤٠٥هـ طالعنا الاستاذ محمد عبدالله الحميد ـ رئيس النادي الأدبي بأبها ـ بمقال في جريدة «الشرق الأوسط» بعنوان «اوهام الصليبي في خدمة اسرائيل» ينبه النخبة المفكرة في هذه الأمة الى فرية الدكتور كمال الصليبي ـ الاستاذ اللبناني في الجامعة الأمريكية في بيروت ـ التي ضمنها كتابا منشورا بالانجليزية والألمانية.. والزاعمة ان نشوء اليهودية كان في الجزيرة العربية ـ وفي عسير بالذات ـ لا في فلسطين.

وتبنت «الشرق الأوسط» الدعوة للرد العربي الاسلامي على فرية الصليبي المزورة لحقائق التاريخ.. فقرأنا مقالين متتاليين للاستاذين الفاضلين فيصل السماك وشاكر النابلسي.. يفند الأول ـ من

خلال النص القرآنى الحق المبين، ومن قراءة التاريخ الأوروبى فى المواقع اليهودية تخيلات الصليبى.. ويكشف تواطؤه المشبوه والمأجور مع اصوات التضليل الصهيونى على تزييف التاريخ.. ويقوض الثانى «النظرية البدعة» التى يحاول «الارهاب التاريخى ان يفرضها الاعلام اليهودى والصهيونى بأقلام صليبية موتورة ومكشوفة».

ومن الحق على كل امرىء عربي ومسلم ان يشكر الاستاذ الحميد على مسارعته بالرد.. ومبادرته بلفت الانتباه الى خطورة فعلة الصليبى ومناشدته النخبة من ذوى الاختصاص التاريخي والجغرافى ان يقولوا فى فرية الصليبى القول، بحكم الموقع والاحاطة والاختصاص..

لكن لنا مع الشكر ملاحظة:

يقول الاستاذ محمد عبدالله الحميد فى معرض تعقيبه السريع على كتاب الصليبى «طلع على العالم بكتاب.. زعم انه كشف تاريخى يريد به اثبات ان نشوء اليهودية كان فى الجزيرة العربية لا فى فلسطين».

وملاحظتنا من شعبتين:

الأولى: ان اليهودية دين سماوي انزله الله تعالى على نبيه موسى عليه السلام ـ بعد خروجه ببنى اسرائيل من مصر ـ فى سيناء «فى الوادى المقدس طوى» قال تعالى: **«فلما أتاها نودى يا موسى اني أنا ربك فاخلع نعليك انك بالوادى المقدس طوى وأنا اخترتك فاستمع لما يوحى»** صدق الله العظيم.

ويقول الدكتور محمود بن الشريف فى كتابه «الأديان فى القرآن» «على جبل طور سيناء كلم الله تعالى نبيه موسى وأوحى اليه التوراة شريعة لبنى اسرائيل».

وطور سيناء ليس فى فلسطين بالتأكيد.

الثانية: ان دين الله ـ أي دين ـ ليس له وطن قومي وليس له جنسية عنصرية فلم تكن اليهودية «سينائية مصريـة» ولا المسيحية «ناصرية فلسطينية» ولا الاسلام الخاتم «مكيا قرشيا» وإلا انحصرت الأديان فى مساقط رؤوسها لا تتخـطى حدودا ولا تسكن افئـدة ولا تهتدى بها انسانية.

وهذه الشعبة من الملاحظة للدكتور الصليبى فان الصهيـونية حركة استعمارية عنصرية مضللة.. وقد واتتها ظروف الزمان والمكان بالمد الأوروبى الصليبى نتيجة للتخمة الصناعية والتطلعات المذهبية لتجعل من فلسطين مسرى الرسول محمـد عليه السـلام ومعراجـه وهمزة الوصل الآسيوية الأفريقية العربية المسلمة ـ وطنا عنصـريا يأوى اليه اليهود يسفكون فيه الدم وينضحون فيه الحقد والعمى.. ويبثون فى ما ومن حوله السموم والهموم والغيوم.. زاعمين زورا وبهتانا ان لهم فى فلسطين ارض العمالقة الكنعانيين العرب ثم ارض العرب المسلمين المؤمنين.. حق المأوى وحق المعاد.

لقد كان العبرانيون الذين انقرضوا او ذابوا فى سلاسلات الأمم القديمة غزاة للأرض العربية.. عداة على اصحاب الأرض من القبائل الكنعانية العربية المستقرة تاريخها كله في ارض كنعان».

وان امتد بالعبرانيين العمر اعواما لا تحسب فى تاريخ الأمم.. وقد امتد العمر بالاحتلال الصليبى فى فلسطين اعواما اطول ـ ثم نزل بهم الشتات وذابوا فى امم الأرض فليس من حقهم ان يدعوا انهم ذوو حق فى ارض اغتصبوها ثم ما لبثوا ان اجلوا عنها لتخلص لأصحابها الذين ما فارقوها طيلة اربعة آلاف سنة، منذ كان لفلسطين صلة بالانسان حتى هذه الساعة.. والا فان خارطة هذه الأرض المعمورة لن تبقى على حالها ما دام لغزاة التاريخ «الحق» فى تزوير التاريخ.

ان لكمال الصليبى من اسمه اوفى نصيب.. أو كما حلا للاستاذ الحميد ان يقول «ان اسمه دليل عليه».. فان الحروب الصليبية التى شنتها اوروبا ـ شرقها وغربها ـ على العالم العربى الاسلامى بدعوى تخليص قبر المسيح عليه السلام الموجود في بيت لحم الفلسطينية من ايدى المسلمين ـ ولا اصف بما زعموا ـ لم تزل تطل علينا بين الآونة والأخرى بأنياب حداد تنهش لحومنا ـ ما امكنها ضعفنا وفرقتنا ـ وحينما عجزت عن أن تنال من صلابة الايمان بالله عز وجل فى قلوبنا.. وعمق التجذر الروحى فى ارضنا.. لفظت فى احضاننا ورقتها الأخيرة «الصهيونية التى جمعت حولها بالترغيب والترهيب.. جموع اليهود اعداء الله والانسان والحضارة الذين ليست لغالبيتهم اية صلة بالأرض التى احتلوها واغتصبوها وشردوا أهلها».

وليس بكاف حقا ان نرد بصحافتنا على مزاعم الأبواق الصهيونية الصليبية من مثل الصليبى فى جامعته الأمريكية فى بيروت، بل إن علينا أن نطيل اذرعتنا لتصل صحافة الغرب الصليبى والشرق (الساكت عن الحق)، ونكتب بالمداد والدم والايمان ما يمليه علينا التاريخ الذى زيفوه، قولا صادعا بالحق، وبحوثا ناطقة بالصدق، لا نمل ولا نسأم ولا تسكتنا حجة باطل.

ثم إني اسجل هنا:

١ ـ المملكة العربية السعودية ـ كما قال الاستاذ شاكر النابلسى ـ مستهدفة اليوم، من الاعلام الصهيونى اليهودى الصليبى الحاقد ارضا وتاريخا وحاضرا وحضارة، فإن ما تقوم به هذه المملكة العربية المسلمة من تصد للهجمة الصهيونية الصليبية الشرسة، وما تبادر به ـ فى كل حين ـ من دعم مادى ومعنوى للعمل الفلسطينى التحريرى، وما تدأب عليه من توحيد للعالم الاسلامى، ونشر لمبادىء الاسلام، لا بد أن يكون له ضريبة، هي ما نشهده اليوم من تكالب الحقد الصهيونى على

تشويه الوجه السعودى بالبهتان والافتراء.

٢ ـ هذه الاقلام المؤمنة التي شهرت أسنتها للرد على الافتراءات الصليبية اقلام مشكورة.. لكنها تبقى اقلاما فردية تقرأ اليوم، وقد تنسى غدا..

ومن هنا فإنا نناشد رابطة العالم الاسلامى والمؤتمر الاسلامى والجامعة العربية، وكل المنظمات العربية والمسلمة والدولية الباحثة عن الحق والعدل، أن تبادر الى كتابة التاريخ الحقيقى للمنظمة، ونشره على مساحة واسعة من القطاعات البشرية، واذاعته فى الربوع التى يرجح تأثرها واستسلامها للدعاوى الصهيونية والمزاعم اليهودية.

٣ ـ إن من واجب المسؤولين فى العالم الاسلامى ألا يتركوا مثل الدكتور الصليبي العربى على ضلاله أو إضلاله يصول ويجول كذبا زاعما مفتريا.. بل عليهم أن يجندوا له نخبة ممتازة من المفكرين العرب والمسلمين، يحاجونه ويصاولونه، كاشفين له عن وجه الحق، و(مخلخلين) له (ايمانه) بمزاعم اليهود بحجج دينية وتاريخية وقومية لا تستعصى على ذى حجة، وكان الذين قبلنا قد قالوا (ما ضاع حق وراءه مطالب).

□□□

محمد أحمد عواد

التوراة مجموعة قصص متناقضة لا يمكن الاستناد إليها . وأقدم نص عبرى للتوراة يرجع للقرن التاسع الميلادى .

استكمالا لتلك الدراسات التى نشرت على صفحات «الشرق الأوسط» فى الرد على نظرية الدكتور كمال الصليبى ـ احاول ان اوضح جانبا آخر فى القضية، معتمدا فى ذلك على تلخيص الاستاذ فيصل السماك لقضية الصليبى التى تقول: «ان التوراة التى انزلها الله سبحانه وتعالى على نبيه موسى عليه السلام فى اثناء اقامته في جبل «طور سيناء» كما يذكر القرآن الكريم ـ إنما انزلت فى منطقة عسير بالحجاز وان نبي الله سليمان عليه السلام بنى هيكله فى ذات المنطقة وليس فى بيت المقدس».

من المؤكد أن القبائل العربية استوطنت وادى الرافدين والشام منذ اوائل الألف الثالث قبل الميلاد، وتبدأ المشكلة اليهودية فى احدى هذه القبائل حيث ولد ابراهيم عليه السلام. واوردت التوراة مكان ميلاده فى مدينة «اور» الكلدانية، وأكثر الحسابات دقة ترجعه الى ١٨٥٠ ق.م والتى تعاصر «سلالة بابل الأولى» (١٨٩٤ ـ ١٥٩٥) ق.م التى اشتهرت بملكها السادس حمورابى (١٧٩٢ ـ ١٧٥٠)ق.م. (د. ط باقر، مقدمة فى تاريخ الحضارات القديمة، ج، ٤٢٤).

ولا جدال على هذا الأساس ان ابراهيم عليه السلام عربى النسب وفي ذلك يقول العقاد «فاذا فتشنا عن نسبة لابراهيم لم نجد اصدق من النسبة العربية، كما كانت العربية يومئذ بين جـزيرة العـرب وبقاع الهلال الخصيب، واصح التقديرات أنه نشأ فى اسـرة حديثـة عهد بالهجرة من شمال اليمن الى جنوب العراق وكانت هذه الأسرة مـع الذين جاءوا من «ارض البحر» كمـا كان البـابليون يسمـون العرب المقيمـين على مقـربة من «خليـج فارس». (العقـاد - ابـراهيم ابـو الأنبياء، ٢٩٠).

وكانت دعوة «ابراهيم» اسلامية اصيلة وبمصطلح القرآن «حنيفا» وكانت الأوثان منتشرة فى تلك البقاع فجاء يحاول اقامة الدين، لكن المقاومة اشتدت عليه فهاجر مع اتباعه الى (حاران) الموجودة فى شمال العراق ثم عبر سوريا الى فلسطين كما جاء فى التوراة «وكان ابراهيم ابن خمس وسبعين سنة حين خرج من حاران فأتوا الى ارض كنعان ومعهم ذخائر وعبيد وماشيـة، واختار ابـراهيم سكنه من شكيم الى بلوطة مورة وفيها الكنعانيون» (الاصحـاح الثانى عشر). وشكيم هي «نابلس»، لكن حدث «جدب فى الأرض فانتقل ابراهيم الى مصر وذلك فى عهد ملوك الرعاة وهم العماليق» (عبد الوهاب النجار، قصص الأنبياء، ص ٨٤).

وهنا تحدد مصر بفرعون حسب التوراة «فلما دخل ابراهيم مصر رأى المصريون ان المرأة حسنة جدا ومدحها رؤساء فـرعون لديـه، فأخذت المرأة الى بيت فرعون» (م.س). ومصر بلا جدال بعد هذا النص «مصر الفراعنة»، ولو تتبعنا اسماء المدن التىّ تنقل فيها ابراهيم مثل «بيت ايل»، «سدوم» حبرون»، «دمشق» وغيرها لوجدنا ان المنطقـة فلسطين ومصر واخيرا رحلته الشهيرة الى الحجاز وبالذات «مكة»، وقد كان عليه السلام «رجل دعوة»، فلا شـك ان «الاسلام» دخـل قلوب

الكثيرين على زمنــه لكنه لم يتمكن من السيــطرة الكاملة عــلى جميع الديانات الوثنية. لذلك كان ولداه اسماعيل واسحــاق انبياء ليكمــلا المسيرة التى لم تنته ثم كان يعقوب عليه السلام ابن اسحاق ايضا نبيا وكان ميدان دعوته ايضا «فلسطين» ثم جــاءت قضية «يــوسف» مع اخوته ابناء «يعقوب» والذين تآمروا عليه بالقائه في «الجب» كما اورد القرآن الكريم ثم حملته القافلة الى مصر وهنا يورد عبد الوهاب النجار «بيع يوسف لرئيس الشرطة فى مصر ولم يعين البلد الذى كان عاصمة الملك فى البلاد المصرية فى ذلك الحين والأقرب انه مدينة «صان» ببلاد الشرقية قرب بحيرة المنزلة وذلك ان ملك مصر فى ذلك العهد كان من العمالقة الذين وردوا مصر قبل نزول ابراهيم، وكان منهم الملك الذى اكرم مثوى ابراهيم واعطاه الأموال الكثيرة وهم الذين شغلوا تاريخ مصر ما بين الأسرة الرابعة عشرة الى الأسرة الثامنة عشرة، التى منها «احمس» الذى طرد العمالقة من مصر»(عبد الوهاب النجار، ١٢٢).

وقصة يوسف مع امرأة العزيز وفرعون معروفة فى القرآن والتوراة مع بعض الفروق، ولا يشك عبد الوهاب النجار ان الملك غير «فرعون» بل يستبدل الملك بفرعون.

والنقطة الهامة هنا من رواية قضية يوسف عليه السلام ان نؤكد ان يعقوب واولاده بقوا فى مصر «ولم ينزل فى الكتاب الكريم شىء عن بنى اسرائيل واسرائيل بمصر بعد ذلك الى عهد ولادة موسى» (م،س، ١٤٩) وكان اثناء هذه الفترة «شعيب عليه السلام» فى الشام. ويجب ان ننبه ان تلك الديانة التى بشر بها الأنبياء من ابراهيم الى يوسف كانت ديانة «الاسلام» الحق، فى الوقت الذى كانت فيه الديانة الفرعونية وثنية، وقطعا كانت هناك دعوة من اتباع «يوسف» الا أن هذه الدعوة بدأت تخف تدريجيا وتضعف ومن الملفت للانتباه ان «يعقوب» عندما توفى «أمر يوسف الأطباء بتحنيطه فحنطوه وحمل الى فلسطين ودفن هناك

كمـا اوصى» (م،س، ١٥٢). وذلك فى مدينـة الخليل» المعـروفة أمـا «يوسف» فدفن «بنابلس»، ويبدو ان الدعوة اثرت فى الشعب المصرى مما جعل «فرعون» ينقم على «المسلمين» فوصل بهم الحال الى درجة ان الأوضاع فعلا كانت بحاجة الى «موسى» عليه السلام.

فرعـون وموسى:

«لقد فرض فرعون على اليهود بناء مدينتين تعطيهما التوراة اسمى بيتوم **Pitom**ورمسيس **Ramses** ولكى يتجنب هذا الملك التزايد السكانى عند العبريين فقد فـرض عليهم ان يلقوا الى النهـر بكل طفـل ذكر» (موريس بوكاي. القرآن والتـوراة والانجيل والعلم، ٢٥٠). وقصـة ولادة مـوسى عليه السـلام كما وردت فى القـرآن والتوراة واضحـة باستثناء الفروق بين المصدرين ونلاحظ هنا خروجه الى «مدين» والتى حددها المؤرخون بمكان قرب خليـج العقبة، وفى عـودته نـزلت عليه الرسالة فى «طور سيناء» الذى يرد فى القرآن والتوراة ولا ادرى كيف سينقله الصليبى الى جبال عسير المعروفة باسمائها ولو اعتبرنا ان جبل هارى هو الطور فكيف سيفعل بسيناء؟ واذا اغفلنا ما يتصل برواية الخروج فى التوراة والقرآن وبحثنا فى معطيات علم الآثار والحفريات وفى ذلك يقول بوكاى:

«ان ما تركه العبريون كآثار لمكوثهم بمصر غامض جدا اذا استثنينا معطيات الكتب المقدسة ومع ذلك توجد بعض الوثائق الهيـروغليفية التى تشير الى انه قد وجد بمصر فئة من العاملين تسمى أبيرو **Apiru** أو هابيرو **Hapiru** أو **Habiru**رأى البعض صحة أو خطأ انهم العبريون.. وكما يقول الأب ديفو فانهم لا ينتمون الى السكان المحليين ولا يجدون هويتهم فى طبقة من المجتمع وليس لهم عمل واحد ولا وضع واحـد» (٢٥٦).

كما ان «مدينتى رمسيس وبيتوم المذكورتين فى سفر الخروج تقعان

على الجزء الشرقى من دلتا النيل وتانيس وقنطير الحاليتين وتبعدان ٢٥ كم كل عن الأخرى مطابقتان لهاتين المدينتين القديمتين. هناك كانت عاصمة الشمال التى بناها رمسيس الثانى.» (م،س، ٢٥٧) فكيف نفسر «رمسيس» الواردة بالتوراة، فى جنوب الجزيرة فى الوقت الذى تؤكد الكتابة الهيروغليفية رمسيس بشكل قاطع بأنه «رمسيس الثانى»، وجاء على النصب الشهير للعام الخامس من حكم منبتاح اسم «اسرائيل» فما الذى جاء بها من عسير؟.

شواهد ثابتة:

وفى الوقت الذى تأتى الشواهد مثبتة علاقة موسى بالفراعنة رمسيس الثانى بصفته فرعون الاضطهاد ومنبتاح بصفته فرعون الخروج تأتى التوراة معلنة موت فرعون الخروج «ولم يبق منهم احد» ويؤكد القرآن سلامة جثته بقوله تعالى: «فاليوم ننجيك ببدنك لتكون لمن خلفك آية وان كثيرا من الناس عن آياتنا لغافلون» (سورة يونس).

ثم جاء اكتشاف مومياء منبتاح ليؤكد صدق النص القرآني، وهذه المومياء الموجودة فى متحف القاهرة شاهد قوي على ارتباط موسى بمصر وليس «بخميس مشيط».

ووجدت «لوحة اثرية عبارة عن شاهد مقبرة ذكر فيها اسم «فوتى فارع» وهو المذكور فى التوراة «فوطيفار ـ عزيز مصر» (عبد الوهاب النجار، ٢٠١)، واستدل عالم الآثار المصرى احمد يوسف احمد «من بعض آثار عن الأسرة السابعة عشرة على حدوث جدب فى مصر قبل هذه الأسرة وهو ما ذكر فى القرآن والتوراة عن سنين القحط». (م،س، ٢٠٢). ومن الشواهد على طريق الخروج «بركة فرعون» الموجودة فى خليج السويس حاليا وكذلك «عيون موسى» على البحر ولا شك انهما يرتبطان بالتاريخ القديم.

وفى الوقت الذى عبد فيه اتباع موسى عليه السلام العجل اثناء غيابه

والذى يثبت ان الايمان لم يثبت فى قلوبهم فى طريقهم الى فلسطين ووصولهم الى اريحا ورفضهم العبور وجاء فى سفر التثنية «كفاكم قعودا فى هذا الجبل، تجولوا وارتحلوا وادخلوا جبل الأموريين وكل ما يليه من قرية والجبل والسهل وساحل البحر ارض الكنعانى ولبنان الى النهر الكبير نهر الفرات» ولا ادرى كيف ننقل هذه الأماكن الى عسير ووادى الدواسر برأى الصليبى. ولا ادرى كيف سيخرج اليهود بقيادة «يوشع» ويدخلون فلسطين؟ والتى جلسوا فيها تحت حكم القضاة ٣٥٠ سنة بدون ان يكون لهم ملك وفى الوقت الذى تدور بينهم وبين الأمم المجاورة معارك شديدة كما حدث بينهم وبين الفلسطينيين سكان «أشدود» ونلاحظ هنا ورود «أشدود»، «الرامة»، «بيت واجون»، «ايلة» جارار، تدمر المدينة الخ.

قضية فاسدة

ولا شك ان متابعة اسماء الأماكن وما يقابلها فى الحفريات فى فلسطين لا يدع مجالا للشك فى ان قضية الصليبى فاسدة من اساسها، فمصر كما وردت فى التوراة بدءا من ابراهيم الى اليوم لا يمكن ربطها بأي حال من الأحوال مع مصر ـ عسير.

إن اثبات الدولة اليهودية فى فلسطين وكذلك فيما يتعلق «بداود» و «سليمان» عليهما السلام يجب ان يؤخذ بمعنى بعيد عن المعنى المستخدم حاليا فالأصل ان الدعوة هي الدعوة الى التوحيد وخير شرح لها كتاب الله «القرآن» وقد رأينا كيف ان الخروج على هذه الدعوة كان أمرا قائما وهذه الدعوة فى بدايتها لم تكن «قبلية» بنصوص القرآن، الا أن طائفة من الخارجين عليها بعد السبي البابلى اخذوا ينمون رابطة قومية وكما يقول استاذنا العقاد (انما اشتد الخلاف الدينى وخلاف العصبية بين ابناء هذه الشعوب عندما ورد فى اذهان طائفة من العبريين انهم هم وحدهم ذرية ابراهيم المختارة وكانت دعواهم هذه

طارئة لم يسمع بها الا بعد ايام موسى بمئات السنين» (ابراهيم ابو الأنبياء. ١٩٢) ثم اخذوا يدونون اصول التوراة ويجمعونها بعدما اختفت الأصول تماما والتى هي الكتب المقدسة الحقيقية. وكانت التوراة التى دونت تحمل فى ثناياها بعض الحق ونستطيع ان نؤكد ان الحال انقسم الى قسمين: قسم لا زال يحفظ قسطا من روحانية الدين وهذا انتشر الى الجنوب وقسم داخل فى المسيحية. الا ان «الفريق القومى» صاحب المصلحة فى ابعاد الحقيقة تمكن من السيطرة على اتباع رسالة المسيح التى ضاعت وفقدت ولم يبق سوى ترجمات حياة له عند اصحاب الأناجيل الأربعة. وتعرض هذا القسم للضغط من قبل «شيطس» الرومانى، الا انهم انتشروا فى البلاد الرومانية. وفى القرن الثانى الميلادى دخلتة«مملكة الخزر» اليهودية «القومية» وهي التى تحتل شمال البحر الأسود «وقد عاشت دولة الخزر ما يقارب الخمسمائة عام حتى سقطت فى نهاية القرن الثالث عشر فى ايدى الروس» (وليام غاي كار. احجار على رقعة الشطرنج، ٤٩).

ادعاءات كاذبة

ونستطيع القول ان هذه الشرذمة بدأت تخطط للسيطرة على العالم وتغذيهم روح حاقدة ويمكن الكشف عن تلك الروح وبداية التخطيط فى الكتابات المؤلفة عن الصهيونية مثل «حكومة العالم الخفية» وكتاب «بروتوكولات حكماء صهيون»، «الماسونية» وغيرها ونستطيع ان نؤكد ان اليهود المعاصرين لا ينتمون على الاطلاق لفلسطين. بقى ان نتعرف على من هو مؤلف التوراة؟ فأقدم نص عبرى للتوراة يرجع للقرن التاسع الميلادى واقدم نص ترجم هو «الترجمة السبعينية» باللغة اليونانية ويرجع تاريخها الى القرن الثالث قبل الميلاد، وقام بها يهود الاسكندرية. واستطاع النقد الحديث ان يثبت تعارض نصوص التوراة والانجيل مع الكثير من الحقائق العلمية المعاصرة. اما النقد

الباطنى لها فقد اعتبرها «مجموع متنافر» كما يقول بوكاى الذى قدم دراسة موسعة تحليلية للتوراة والانجيل تكفى لمن يريد ان يتأكد من مقولة ان التوراة لا يمكن الاستناد الى معطياتها من تناقض وقصص مموهة بل واسفار مشكوك فى صحتها ايضا.

□□□

شاكر النابلسي

أفرأيت من اتخذ التوراة تاريخًا

منذ عام ١٨٩٧ وحتى عام ١٩٥١م كان زعماء الصهيونية قد عقدوا ثلاثة وعشرين مؤتمرا صهيونيا، بدءا بمدينة (بال) السويسرية وانتهاء بالمؤتمر الذى عقد فى القدس فى ١٤ اغسطس عام ١٩٥١، وكانت الغاية من هذه المؤتمرات - التى تزعم اول واحد منها «هرتزل» - هى تثبيت اساس (مملكة صهيون العالمية) فى فلسطين، استنادا الى نصوص التوراة، التى بين ايدى المؤرخين الآن.

ولم يكن حكماء صهيون الذين بلغوا ثلاثمائة من اعتى حكماء الصهيونية يملكون بأيديهم اية وثيقة تاريخية، أو اي حجة تاريخية، غير نسخة التوراة المعروفة الآن، والتى كانت سند اليهود التاريخى الوحيد الذى استندوا اليه للمطالبة بفلسطين كوطن مزعوم لهم!..

اذن فالتوراة، ونسخة التوراة، ولا شىء غير التوراة، هو السند التاريخى الوحيد لليهود فى ادعائهم بحق وطنى مزعوم فى فلسطين.. منذ اكثر من نصف قرن حتى الآن لم يفتأ المؤرخون العرب وغير العرب، يؤكدون هزال النسخة التوراتية التى بين ايدينا.. ويؤكدون بأن الله سبحانه وتعالى قد حذرنا من النصوص التوراتية المحرفة - كما سنرى بعد قليل - وان الكثير من المؤرخين العالميين عربا واوروبيين قد

حذروا من مخاطر الاستناد على النصـوص التوراتيـة ف اثبات اي حقيقة تاريخية.

فالمؤرخون الصهاينة عندما حاولوا اثبات حق الشعب اليهودى ف فلسطين ،لم يستطيعوا أن يثبتوا هذا الحق عن طريق التوراة ،ولا عن طريق الاكتشافات الأثرية المزعومة!!

فمنذ اوائل القرن التاسع عشر والاكتشافات الأثرية مستمرة دون ان تحقق اى دليل تاريخى على قيام دولة اسرائيل ف فلسطين، خاصة فيما يتعلق منها بنشوء الدولة الموحدة، تحت حكم سليمان. كذلك، فمن المعروف ان رفض الرواية التوراتية حول تاريخ اليهود، مسألة قديمة، ومسلم بها تاريخيا.

إن بعض المؤرخين الخبثاء، يطرحون سؤالا غبيا وسخيفا جـدا ويأتى دائما على الشكل التالى:

- إن الباحث الذى ينفى وجود تاريخ سياسى أو ثقاف لليهـود ف فلسطين، عليه ان يطرح البديل التاريخى.. ويدلنا اين حصلت هذه الأحداث؟!.

وهذا المنطق الأعوج شبيه تماما بالذى لا يملك حقا ف شيء ما، ولكنه يدعي هذا الحق ادعاء كاذبا لدى شخص ما، فاذا انكر هذا الشخص هذا الحق ذهب الى شخص آخر يطالبه بالحق، وهكذا..!!

الدكتور كمال صليبى، رئيس قسم التـاريخ والآثـار ف الجامعـة الأمريكية ببيروت، طرح مقولة تاريخية عجيبة، لها دوافعها السياسية الكثيرة، والتى سنعرضها بعد قليل، تقول بـأن الأحداث التـوراتية المتعلقة باليهود لم تحصل ف فلسطين وإنما حصلت ف جبال عسير!

ومقولة الصليبي تعتمد اعتمادا كليا على الأسانيـد اللغويـة كما تعتمد على بعض القرائن الطبوغرافية، والبيئية، الأخرى.. وقـد بدأ الدكتور الصليبى بنشر هذه المقولة - التى جاءت على شكل كتاب تحت

عنوان «التوراة جاءت من الجزيرة العربية» ـ فى دار شبيغل الألمانية لكي يتم نشرها باللغة الألمانية واللغة الانجليزية.

وقبل ان نتعرض للجوانب التاريخية فى مقولة الدكتور الصليبى، نريد ان نبين الدوافع والأسباب، وراء ظهور هذه المقولة فى هذا الوقت بالذات، من تاريخ امتنا العربية والاسلامية والتى تتلخص فى المعطيات التالية:

ان ظهور مثل هذه المقولة فى هذا الوقت بالذات، دليل واضح على ان جهات اجنبية وعربية صليبية ـ للأسف ـ تحاول تكريس جهودها لاثبات الحق اليهودى فى الأرض العربية.. كل الأرض العربية.. وما دامت اسرائيل قد تأسست فى فلسطين وكرست هذا الحق تاريخيا.. فلنبدأ بالبحث عن القفزة السياسة التكلية الموثقة تاريخيا وباطلا!!

ان الزمن القادم، سوف يشهد حلولا استسلامية كثيرة وهذه الحلول لن تمر الا عبر ارهاب سياسى وعسكرى موثق بارهاب تاريخى..!! ومقولة الدكتور الصليبى هي من نوع الارهاب التاريخى هذا..!!

وما دام الارهاب السياسى والعسكرى الصهيونى قائما، فلماذا لا يوثق بارهاب تاريخى.. كما فعل الصليبى؟!

ـ إن نظرية الدكتور كمال الصليبى هي من نوع الارهاب التاريخى الذى سبقه (ارهاب تاريخى) فى فلسطين، كرس الاحتلال الاسرائيلى لفلسطين، وكرس الاحتلال العسكرى لمناطق خارج فلسطين.. ولعل مئات المؤلفات التاريخية التى تصدر كل عام من اجل تكريس الاحتلال الاسرائيلى لفلسطين خير شاهد على ذلك!!

ان المملكة العربية السعودية بلد مستهدف.. من قبل الاستعمار والصهيونية.

وهي بلد مستهدف دينيا، وسياسيا، واقتصاديا.. ولقد حاولت

جهات كثيرة النيل منه دينيا، وسياسيا، واقتصاديـا، ولا زالت هذه المحاولات مستمرة حتى الآن.. والى الغد، والى ما بعد الغد.. وهـذا الاستهداف لن يكون بأسلحة تقليدية غبية، كما كان فى الماضى، وكما نعلم جميعا، وانما سيكون هذه المرة.. وكذلك مستقبلا، بطرق علمية تاريخية، موثقة باطلا.. لاسيما وان المملكة تتصدر هذه الأيام معركة سياسية فلسطينية، ومعركة اقتصادية طاقوية، ممثلة بالدفاع عن كيان «الأوبك»، وحضورها الاقتصادى العالمى..!!

إن المملكة العربية السعودية تشكل مساحة كبيرة من عصب العالم العربى والاسلامى دينيا، وسياسيا، واقتصاديا، وممارسة (الارهاب التاريخى) الباطل فى هـذا المجال، سـوف يضعف من هذا العصب، ويتيح للهجمة الاستعمارية والصهيونية الشرسة، مـزيدا من كسب المواقع السياسية والاقتصادية.

ان الاستقرار السياسى والاقتصادى الذى تتمتع به المملكة والذى ينعكس الى حد كبير على الوضع السياسى والاقتصادى العربى ليس من مصلحة اي طرف عدائى للأمة العربية والاسلامية، لذا فان (الارهاب التاريخى) من شأنه ان يحدث ظواهر سلبية محتملة فى هذا الاستقرار السيـاسى والاقتصادى، وهـذا سوف ينعكس بـالتالى عـلى الوضـع السياسى العربى المتدهور أساسا، نتيجة للوجود الاسرائيلى، ونتيجة لحرب الخليج، وكذلك سوف ينعكس على الوضع الاقتصادى الخطير الذى ينتظر الشرق الأوسط نتيجة لهذين العاملين..!!

إن الدعم السعودى للشرعيـة الفلسطينيـة قبل المجلس الوطنى الفلسطينى الأخير وبعده، قد وضع المملكة كهـدف من اهداف كـل اعداء المنطقة المتربصين بها، وكان هذا (الارهاب التاريخى) جزء من استراتيجيات ضرب الهدف..

فالشرعية الفلسطينية، والمدافعون عنها، والمسـاندون لهـا، وهم

اليوم الهدف السياسى، والاقتصادى والتاريخى الأول، لكل اعداء المنطقة الظاهريين والباطنيين..!!

تلك هي الأسباب التى وقتت لهذه النظرية (التاريخية) العجيبة والتى لا تتعدى ان تكون نوعا من انواع (الارهاب التاريخى) او (الارهاب بواسطة التاريخ الباطل)..!!

- فكيف كان تاريخ الصليبى باطلا..؟!

- وكيف كان كل مؤرخ اعتمد على التوراة كمصدر تاريخى موثوق فى مقعد كذب..؟!

دعونا نتحدث الآن بمنطق علمى، وموضوعى سليم ..!

ودعونا نستمع الى صوت العقل.. وصوت المنطق التاريخى..!لكي نثبت للذين افتروا على التاريخ كذبا، بطلان حجتهم..!!

إن الدكتور الصليبى يتخذ من التوراة مصدرا تاريخيا موثوقا.. كما يتخذ من التوراة مصدرا لأسانيده اللغوية، وقرائنه وأدلته الطبوغرافية والبيئية الأخرى.

ومن المعروف ان معظم المؤرخين ينكرون هذا، ويؤكدون ان التوراة - كما قال الله عز وجل فى القرآن الكريم - قد حرفت وكتبت من جديد، كما يحلو لأجيال يهودية كثيرة، على مر التاريخ ومنذ آلاف السنين.. ومن هنا، انتفى سبب كون التوراة والنصوص التوراتية مصدرا تاريخيا موثوقا..

وأنا كباحث عربى مسلم انسانى، لا بد وأن أومن ايمانا قاطعا بتحريف التوراة، وعدم صلاحيتها كمصدر تاريخى، وذلك للأسباب الاسلامية التالية:

١ - إن القرآن الكريم كمصدر تاريخى اول، قد قال لي صراحة إن التوراة كتاب محرف..!

قال تعالى: «**فويل للذين يكتبون الكتاب بأيديهم ثم يقولون هذا من عند الله ليشتروا به ثمنا قليلا فويل لهم مما كتبت ايديهم وويل لهم مما يكسبون**».

ويقول: وإن منهم لفريقا يلوون ألسنتهم بالكتاب لتحسبوه من الكتاب وما هو من الكتاب، ويقولون هو من عند الله وما هو من عند الله، ويقولون على الله الكذب وهم يعلمون»

٢ ـ ان القرآن الكريم، وهو مصدر تاريخى لم يسبق ان طعن به من قبل اي مؤرخ على مدار التاريخ قد اتهم اليهود صراحة، وعنوة، بتحريفهم للتوراة.. فقد قال عنهم إنهم: «يحرفون الكلم عن مواضعه».

فكيف تأتى للدكتور الصليبى وهو المؤرخان يغض النظر عن الحكم السماوى فى تحريف التوراة، ويصر على اتخاذ التوراة بوضعها الحالى، كمصدر من مصادر التاريخ الموثوقة..؟!

إن كل من تناول النصوص التوراتية من المؤرخين طعن فى صحتها. وهناك قائمة لا تنتهى بالمؤرخين الذين طعنوا فى صحة التوراة، وعدم صلاحيتها كمصدر تاريخى سواء كان ذلك فيما يتعلق بالأحداث أو فيما يتعلق بالأماكن واسمائها.. وبعض هؤلاء المؤرخين استندوا فى طعنهم بصحة التوراة بنصوص من التوراة نفسها.

يقول الاصحاح (٥٦) من المزامير على لسان داوود: (ماذا يصنعه بي البشر اليوم كله يحرفون كلامى.) ومن اكبر المؤرخين الذين طعنوا فى صحة التوراة (آدم كلارك) الذى اعلن صراحة:

(وقعت فى كتب التاريخ من العهد العتيق تحريفات كثيرة بالنسبة للمواضع والتأويل)..

وقال المؤرخ (جان ملز):

«اتفق اهل العلم على ان نسخ التوراة الأصلية قد ضاعت من ايدى عسكر «بختنصر»، وعندما ظهرت بواسطة «عزرا» ضاعت تلك

النصوص مرة اخرى فى حادثة انتيبوكس».

وقد اكد (اكستائن) اعلم علماء المسيحية فى القرن الرابع أن اليهود حرفوا النسخة العبرية من التوراة، خاصة ما ورد فى بيان زمان الأكابر الذين قبل الطوفان، الى زمن موسى عليه السلام.. فكيف يأخذ الدكتور الصليبى بالتوراة كمصدر تاريخي بعد كل هذه الشهادات فى التحريف التوراتي..؟!

إن النصوص التوراتية قد حرفت اكثر ما حرفت فى المواضع والأحداث..

فنرى كثيرا من اسماء الأمكنة الواحدة قد ذكرت فى نسخ مختلفة بأسماء مختلفة..

ففى الوقت الذى يؤكد فيه الدكتور الصليبى ان بعض علماء التوراة يطلق الاسم (حبرون) على مدينة (الخليل) فى فلسطين اعتقادا منهم انها المدينة التى عاش فيها ابراهيم عليه السلام.. يقول الصليبى بأن (حبرون) الحقيقية ليست فى فلسطين، وانما هي قرية (خربان) فى (عسير)..!

والدليل على ذلك هو أننا اذا اخذنا الأسماء التوراتية المرافقة للفظة (حبرون)، مثل (مقفلة)، و(قريات أربع)، لوجدنا انها مطابقة تماما لأسماء موجودة حالية فى (عسير)..

واعتماد الدكتور الصليبى مرة اخرى على التوراة فى صحة اسماء المواضع يوقعه فى خطأ تاريخى وهو أن معظم اسماء الأماكن والأشخاص فى التوراة محرفة..

فمثلا تقول النسخة (العبرانية) من التوراة:

(فاذا عبرتم الأردن فانصبوا الحجارة التى أنا اوصيكم فى جبل «عيبال»، وشيدوها بالجص تشييدا).

وفى النسخة (السامرية) من التوراة يقول نفس النص:

(فاذا عبرتم الأردن، فانصبوا الحجارة التى أنا اوصيكم فى جبل «جرزيم» و..الخ)..

النسخة العبرانية تقول «عيبال»..!

والنسخة السامرية تقول «جرزيم»..!

والأمثلة التى من هذا القبيل تملأ التوراة ونسخها المختلفة، طولا وعرضا..

إن نظرية الصليبى التى تعتمد على الأسانيد اللغوية نظرية خاطئة فى اعتمادها على مثل هذه الأسانيد.

فلم تكن الحقائق التاريخية فى يوم من الأيام مستمدة من أسانيد لغوية.

فهو يعرف مدينة (صهيون) مدينة الملك داوود على انها قرية (صيان) الواقعة فى جهة الغرب من (أبها).. ويستدل على ذلك من خلال تقارب الحروف بين (صهيون) و (صيان).. فاذا كان الأمر كذلك فمن الممكن ان تكون مدينة (صيدا) أو (صيدون) فى لبنان مدينة (صهيون) القديمة.. ولماذا لا تكون قرية (حسبان) فى الأردن مدينة (سليمان) القديمة.. وهكذا..

إن الدكتور الصليبى قد وقع فى خطأ عربى قومى فادح وهو بالتالى يعتبر خطأ تاريخيا فادحا من وجهة نظر علمية، وهو انه اعتبر كتابه (التوراة جاءت من الجزيرة العربية) كرد على الادعاء الصهيونى بحق اليهود فى فلسطين كوطن قومى مزعوم لهم، وهو لهذا يشير فى حديث صحفى له نشر فى (نوفمبر) من عام (١٩٨٤) من أن ردة الفعل الغربية لمضمون الكتاب كانت عنيفة من قبل علماء التوراة، وخاصة الصهاينة منهم، فى حين أننى لا ارى اية ضرورة لردة الفعل هذه، لأن علماء التوراة الصهاينة يرحبون بأية (إشراقة) عربية مماثلة (إشراقة) الدكتور الصليبى لكي يؤكدوا حقهم التاريخى المزعوم فى كل بقعة

عربية..!! ففى الوقت الذى ينفى فيه الصليبى حق اليهود فى فلسطين يثير لهم قضية جديدة، وهي نزول التوراة فى عسير، مشيرا لهم بأن لهم الحق فى بلد عربى آخر.!!

وكأن الصليبى يؤيد بذلك الحق اليهودى فى بقعة ما من العالم العربى، ما دام يستطيع أن يثبت بأن التوراة قد نزلت فى بقعة ما.. وهو يقول صراحة بأن اليهود ما داموا يطالبون بأرض التوراة فإن التوراة لم تنزل بفلسطين، وإنما نزلت فى مكان آخر وعليكم المطالبة بهذا المكان..!!

لقد كان المفروض بالدكتور الصليبى ان يبين فى كتابه بأن نزول الرسالة السماوية فى مكان ما لا يعنى - وإن ثبت ذلك تاريخيا - المطالبة بأن يكون وطن هذه الرسالة هو وطن الشعب الذى نزلت عليه هذه الرسالة، ولو صح ذلك لطالب المسيحيون إذن بفلسطين، لأنها موطن رسالتهم السماوية.

لقد دافع الدكتور الصليبى عن حق اليهود فى فلسطين بأن أشار لهم بأن حقهم فى مكان آخر..!!

فى حين المنطق التاريخى يقول - وهذا ما يجب ان يفهمه الدكتور الصليبى - بأن اليهود ليس لهم حق فى ارض نزلت فيها التوراة أيا كانت هذه الأرض..!!

فالدكتور الصليبى على هذا الأساس متفق مع اليهود فى حقهم بأرض الميعاد، ومختلف معهم فى ان تكون فلسطين هي أرض الميعاد..!!

واذا عدنا الى أسانيد الصليبى اللغوية لوجدنا أن اسماء القرى السعودية التى ذكرها قد أسيىء استعمالها اللغوى اساءة كبيرة.. فهو قد اخذ يطوع هذه الأسماء تطويعا عبرانيا لكى تركب هذه الاسماء على الأسماء المذكورة فى التوراة المحرفة اساسا تركيبا قسريا.

ان الدكتور الصليبى الذى يدرك تماما عدم صحة مصادر التوراة، يصر على استعمال التوراة كمصدر تاريخى بالرغم من تحريفه، دون التفكير بالاستعانة بأى مرجع تاريخى آخر، وهذا يعتبر خطأ تاريخيا كبيرا. فلا يوجد مؤرخ فى الدنيا احترم علمه واعتمد على مصدر واحد مشكوك فى صحته فقط، دون بقية المصادر الاخرى.

الدكتور كمال الصليبى/ مجلة دير شبيغل الألمانية ذات الميول الصهيونية/ كتاب/ التوراة/ جاءت من الجزيرة العربية/ نشر الكتاب باللغة الألمانية واللغة الانجليزية) اختيار هذا التوقيت المثير للتساؤل والشكوك كما قلنا فى بداية المقال.. **كل هذه الاشارات** تثير الشك والريبة وتفوح برائحة الكذب، والنية السيئة، المخبأة..!!

إن من واجب الدكتور الصليبى وهو المفترض به أن يكون غيورا على كل بقعة من العالم العربى ان يكرس علمه ومعرفته بالتاريخ لصالح الحق الانسانى.. والحق الانسانى العربى.. ولكن ما فعله الدكتور الصليبى بكتابه المذكور عكس ذلك تماما.. انه تكريس الاحتلال الاسرائيلى.. بل تكريس الاحتلال الاسرائيلى بختم تاريخى عربى مزعوم.. وهي كارثة كبيرة..!!

فاليهود ليس لهم حق فى الأرض العربية. لقد ادعوا فى فلسطين فجلسوا اكثر من قرن ينقبون فى الآثار فلم يجدوا لتاريخهم اي أثر ونادوا بأسطورة (الحق التاريخى) المزعومة فلم يجدوا اي تأييد من أي مؤرخ على مر التاريخ لهذا الحق بتاتا.

لقد قال «توماس كيرنان» فى كتابه «العرب»:

«إن الصهيونيين اوروبيون تماما، وليس هناك اية رابطة بيولوجية او انثروبولوجية بين يهود اوروبا والقبائل العبرية القديمة.. أي ليس هناك اية قرابة عضوية، او قرابة دم بين الصهيونيين وهم من اهل اوروبا، وبين قدماء العبريين».

وهذا ايضا ما يؤيد المنطق التاريخى السليم الذى يقول:

- لا يوجد شعب فى العالم، او فى التاريخ، منذ عهد سليمان حتى الآن، ظل محافظا على كيانه وهويته، دون أن يتداخل ويمتزج مع شعوب وحضارات اخرى.؟!

- وهل هناك دولة ظلت قائمة منذ آلاف السنين حتى الآن بذات الكيان، وبذات الحضور السياسى، لكي تكون هي الدولة الموعودة فى فلسطين، أو فى غير فلسطين؟!.

وتلك هي المقولات التاريخية التى كان يجب على الدكتور الصليبى ان يكرس علمه وحياته لها.. بدلا من الخوض فى مكان نزول كتاب سماوى محرف ومشكوك فى معظم ما جاء فيه، نتيجة لأهواء وأهداف قادة الصهيونية المعروفة.

□□□

الدكتور محمود زايد

يرد على «نظرية» الدكتور الصليبي

متى كانت التوراة مرجعا تاريخيا لأرض التوراة؟! التوراة محرفة وآخر التحريفات وقعت قبل أشهر فقط!!

الدكتور محمود زايد استاذ التاريخ فى الجامعة الأمريكية بيروت كتب هذه المقالة خصيصا لـ «الشرق الأوسط» للرد على نظرية الدكتور كمال الصليبي التى ادعى فيها ان احداث التوراة وقعت فى منطقة عسير فى الجزيرة العربية وان النبي موسى وسيدنا سليمان عاشا فى تلك المنطقة، مستندا على ما ورد فى التوراة من اسماء للمدن والقرى.

فى هذا الرد العلمى يركز الدكتور زايد على التحريفات التى طرأت على التوراة، ويؤكد ان احداثها كتبها عدة كتاب فى عصور مختلفة، وان آخر تحريف طرأ عليها فى الشهور الأخيرة. كما ورد فى مجلة «النيوز ويك» الأمريكية، ولذلك فان هذه التوراة لا تصلح كمرجع علمى.. وفيما يلي نص المقال:

« كيف تقولون نحن حكماء وشريعة الرب معنا؟ حقا إنه الى الكذب حد لها قلم الكتبة الكاذب» (٨/ الاصحاح الثامن/ سفر أرميا).

هل التوراة (الكتب أو الأسفار الخمسة الأولى من العهد القديم) أو ما بقي من اسفار اليهود فى العهد القديم (من الكتاب المقدس) هي مرجعنا لتحديد ارض التوراة او مسرحها؟.

نجيب باختصار: لا أو على الأقل بأنها من أضعف المراجع. وغرض هذا المقال توضيح ذلك.

ففي مقدمة شروط الصناعة التاريخية التوثيق الذى يشمل ناحيتين وهما الوقوف على صحة الاسناد وكشف عيوب النص من نسخ وتزوير.

وفى ضوء هذا نجد ان عيوب التوراة كمصدر تاريخى تضعف الثقة فيها. وهذا أمر مسلم به فى كثرة من الأوساط العلمية فى الشرق والغرب. وهذا هوايضا ما قصده احد المؤرخين بقوله (انه لم يولد وينشأ فى ضوء التاريخ الساطع غير النبي محمد صلوات الله عليه.

ونحن هنا لا نقصد الى الانتقاص من التوراة أو العهد القديم بوصفهما كتابا دينيا وأدبيا ولكن نود ان نوضح ان تأخر تدوين التوراة وتعدد الكتبة وما اجروه من تحريف وتغيير ومسايرة لازمانهم المتباعدة قد اضعف قيمتها التاريخية الى حد بعيد.

وما يقوم به بعض رجال الكنيسة اليوم من تغيير فى النصوص الدينية التى ترد فى الصلوات وذلك تخفيفا من التشدد على دور الرجل ومسايرة للمرأة لا يشجع المرء كثيرا على الاعتماد على نصوصهم الدينية بوصفها ـ ونكرر ـ مرجعا تاريخيا. ويمكن مراجعة ما ورد فى مجلة «نيوز ويك» الأمريكية (عدد ٢٤ اكتوبر ـ تشرين الأول ـ ١٩٨٣) من هذه «التقليعة» الجديدة لارضاء المرأة بتحقيق مساواتها مع الرجل فى الأدعية والصلوات. فأصحاب هذه التجربة وضعوا مكان كلمة «إخوة» المذكرة كلمة «الشعب» ومكان كلمة «الابن» كلمة **Child** التى تدل على الذكر والأنثى. ومكان «الأب» كلمتى «الأب والأم».

أليس معنى هذا أن عملية التحريف والتغييرات التى ندد بها الاسلام قبل قرون طويلة لا تزال جارية؟

وعلى اي حال فنحن لا نتجنى على التوراة ولا على اهلها فقد اراحوا النقاد بالاعتراف فى نصوصهم بتحريفها.

شاهد من أهله:

فقد لا يصدق القارىء ان فى اسفار الكتاب المقدس ذاته اشارة الى ان الذين كتبوا التوراة هم كتبة كثيرون وانهم لم يتوخوا الصدق والأمانة في كتاباتهم بل عمدوا الى الكذب.

والاشارة الى هذا واضحة وصريحة ولا تقبل الشك والتأويل وهي فى سفر ارميا وتقول «كيف تقولون نحن حكماء وشريعة الرب معنا. حقا انه الى الكذب حولها قلم الكتبة الكاذب».

ولو جاءت هذه الادانة للكتبة من الخارج لقلنا انه من الجائز ان يكون فيها اكثر من قول. لكن طالما ان الشاهد من اهله وطالما أنها لا تزال جزءا لا يتجزأ من النصوص الدينية المعترف بها فليس لنا الا موقف واحد مما جاء فى اسفار العهد القديم وهو الشك فيها وبالتالى الشك فى أنها بحذافيرها هي شريعة الرب الحقيقية او تشتمل عليها.

تناقض الروايات:

وحتى لو لم تكن هذه الادانة الصريحة الواضحة واردة فى السفر المشار اليه فان القارىء المدقق يستطيع ان يكتشف حتى من الصفحات الأولى للعهد القديم ان فيها اكثر من كاتب واكثر من رواية، وان يكتشف كذلك التضارب بينها.

ولنضرب مثلا على هذا ما جاء فى سفر التكوين ـ وهو اول اسفار العهد القديم عن الخلق فأية نظرة فاحصة لنصوص هذا السفر تكشف روايتين لا يخلوان من التناقض.

ويذهب المتخصصون فى الدراسات التوراتية ونقدها ان مرد الاختلاف والتناقض هو الى انهما بقلم كاتبين عاشا فى عصرين مختلفين وان بينهما من الزمن ـ كما يقول احدهم ـ ما بيننا وبين كولومبس مكتشف العالم الجديد اى نحو خمسة قرون.

واول ما يستلفت النظر فى الروايتين انهما فى الأصل العبرانى (لا

الترجمة العربية) تشيران الى رب اسرائيل باسمين مختلفين فهو فى الرواية الأولى (الوهيم) فى حين انه فى الثانية (يهوه).

لكن لو وقف الأمر الى هذا الحد من الاختلاف لكان هينا. فهو يتعدى ذلك الى الاختلاف فى ظروف الخلق. ففى الرواية الأولى ان (الوهيم) بعد أن خلق كل شىء ورأى انه احسن قال بأنه سيعمل الانسان على صورته «كشبهنا» فخلق الانسان على صورته وجعله ذكرا وأنثى. وبارك فى خلقه «وقال لهم اثمروا واكثروا واملأوا الأرض واخضعوها» (الاصحاح الأول/ سفر التكوين).

أما الرواية الثانية فتقول ان (يهوه) حين خلق الانسان «كل شجر البرية لم يكن بعد فى الأرض. وكل عشب البرية لم ينبت بعد» (الاصحاح الثانى/ سفر التكوين). وتمضى الرواية فتقول «وجبل الرب الاله آدم ترابا من الأرض. ونفخ فى أنفه نسمة حياة، فصار آدم نفسا حية» وفى هذه الرواية التى نجد تتمتها فى الاصحاح الثالث نرى ان الحية صارت ملعونة وكذلك الأرض، فهذه - اي الأرض «ملعونة بسببك بالتعب تأكل منها كل ايام حياتك، وشوكا وحسكا تنبت لك. وتأكل عشب الحقل بعرق وجهك تأكل خبزا حتى تعود الى الأرض الذى اخذت منها. لأنك تراب والى تراب تعود».

الرب ومملكة اسرائيل:

وفى سفر صموئيل نظرتان الى مملكة اسرائيل. وفى حين ان الأولى تمجدها وتعتبرها نعمة من الله لليهود فان الأخرى تدينها وتعتبر قيامها بغير رضى الرب.

تقول الرواية الأولى «والرب كشف اذن صموئيل قبل مجىء شاول بيوم قائلا: غدا فى مثل الآن ارسل اليك رجلا من ارض بنيامين، فأمنحه رئيسا لشعبى اسرائيل، فيخلص شعبى من يد الفلسطينيين. لأنى نظرت الى شعبى لأن صراخهم جاء إلي» (الاصحاح التاسع/ صموئيل الأول) والاشارة هنا هي الى قيام مملكة اسرائيل برضى الرب.

أما النظرة الثانية فلا تعتبر قيام مملكة اسرائيل نعمة بل شيئا اشبه بالنقمة، تقول مثلا: «فكلم صموئيل الشعب الذين طلبوا منه ملكا بجميع كلام الرب. وقال هذا يكون قضاء الملك الذى يملك عليكم. يأخذ بنيكم ويجعلهم لنفسه لمراكبه وفرسانه فيركضون امام مراكبه. ويأخذ بناتكم عطارات وطباخات وخبازات. ويأخذ حقولكم وكرومكم وزيوتكم اجودها ويعطيها لعبيده، ويعشد زرعكم وكرومكم، ويعطى لحضيانه وعبيده.. فتصرخون فى ذلك اليوم.. فلا يستجيب لكم الرب فى ذلك اليوم» (الاصحاح الثامن/ صموئيل الأول).

وتفسير هذا التباين الواضح بين النظرتين هو انهما للكاتبين اللذين اشرنا لهما فى حديثنا عن روايتى الخلق. ويعلق الاستاذ (جيدز ماكجرجر خريج السربون واكسفورد وعميد كلية الدين واستاذ اللاهوت بجامعة (ساوثرن كاليفورنيا) على هذا التباين فى كتاب له بعنوان «الكتاب المقدس خلال كتابته» (ص ٢٥) بأن كاتب الرواية الثانية اكثر اتزانا وعمقا فى تفسيراته ومواقفه من كاتب الرواية الأولى. ويضيف بأنه فى حين ان كاتب الرواية الأولى يعتبر قيام المملكة العبرانية عملا الهيا، فان الثانى يعتبرها تدهورا لما كان الحال عليه فى عهد القضاة (الذي سبق قيام المملكة).

الاسلام أول من نبه الى التحريف:

وقد سبق الاسلام العالم الى التنبيه الى ما اصاب التوراة من تحريف بأيدى اليهود بعدة قرون. ولو ان الغربيين كانوا أكثر تفهما للاسلام او على الأقل اكثر اقبالا على قراءته لكان من المحتمل ان تبدأ الدراسات النقدية للتوراة منذ وقت طويل. لكنها تأخرت كثيرا. ولم تنضج إلا فى القرن التاسع عشر.

والقرآن الكريم واضح وصريح فى ادانة اليهود لما فعلوه بكتابهم.. ففى آياته البينات عدة تأكيدات لجنايتهم. يقول عز وجل «واذ أخذنا

ميثاقكم ورفعنا فوقكم الطور. خذوا ما آتيناكم بقوة واسمعوا. قالوا: سمعنا وعصينا، وأشربوا فى قلوبهم العجل بكفرهم. قل بئس ما يأمركم به ايمانكم ان كنتم مؤمنين» (آية ٩٣/ البقرة).

ويقول تعالى: «والله اعلم بأعدائكم، وكفى بالله وليا وكفى بالله نصيرا من الذين هادوا يحرفون الكلم عن مواضعه» (الآيتان ٤٥ - ٤٦ من سورة النساء).

ويقول تعالى «لعناهم وجعلنا قلوبهم قاسية يحرفون الكلم عن مواضعه ونسوا حظا مما ذكروا به» (آية ١٣/ المائدة).

وفى القرآن الكريم إدانة لهم لاخفائهم بعض ما فى كتابهم. يقول تعالى: «يا أهل الكتاب قد جاءكم رسولنا يبين لكم كثيرا مما كنتم تخفون من الكتاب» (من آية ١٥/ المائدة.

«عن اليهود وأكاذيبهم» للمصلح الدينى مارتن لوثر

وعلى رأس الرواد الغربيين الذين حملوا على اليهود بسبب اكاذيبهم وفسادهم وإفسادهم المصلح البروتستانتي الكبير مارتن لوثر (١٤٨٣ - ١٥٤٦) الذى احتفلت ألمانيا الشرقية مؤخرا بمرور خمسمائة عام على ولادته. وبالرغم من انه ظهر فى عصر النهضة الأوروبية فان اصداء اتهاماته وادانته لليهود لا تزال تتردد فى الغرب. ويكاد كتابه «عن اليهود وأكاذيبهم» الذى نشر فى عام ١٥٤٤ ان يكون مجهولا فى اوساط كثيرة. فهو كما يصفه البعض «اقوى وثيقة لا سامية» ظهرت الى الآن. وفى العام الماضى آثار عاصفة من الجدل فى الصحافة الغربية. وقد اعتبره وليام شيرر مؤلف كتاب «قيام الرايخ الثالث وسقوطه» (١٩٦٠) من العوامل الأساسية التى ادت الى اضطهاد اليهود لأن هتلر وجورنج وهملر عملوا بما جاء فيه. يقول شيرر:

«كان مؤسس البروتستانتية العظيم (لوثر) عدوا لدودا لليهود ومن الذين يعتقدون اعتقادا جازما بضرورة الخضوع للسلطة السياسية.

فدعا الى تخلص المانيا من اليهود. ونصح (بحرق معابدهم ومدارسهم وبتخريب بيوتهم وازالتها.. وبحشدهم تحت سقف واحد او فى اسطبل كما يحشر النور واذاقتهم الوان الشقاء والأسر لأنهم يواصلون الشكوى لله منا واتهامنا فى دعائهم له). وبعد اربعة قرون اخذ بهذه النصيحة هتلر وجورنج وهملر. وقد ادان اليهود والفلاحين بلغة قاسية لم تشهد البلاد لها مثيلا قبل قيام النازية.

وكان مما اخذه المصلح الدينى الكبير على اليهود انهم يحرفون صلواتهم وانهم لا يعتبرون غيرهم من البشر وانه عندما يرحب اليهودى بزائر مسيحى يطرق بابه فان العبارة التى يستخدمها تعنى فى الحقيقة انه يستقبل شيطانا.

النقد الحديث للتوراة:

لكن بالرغم من حملة مارتن لوثر والشكوك التى ساورت كثيرين غيره حول صحة ما ورد فى التوراة فان النقد الحقيقي المنظم لنصوصها لم يبدأ الا فى القرن التاسع عشر. وقد كشف النقاد والمؤرخون النقاب عن مسار تدوين التوراة واسباب التشويه والتحريف والتغيير الذى اصابها خلال تلك العملية الطويلة التى استغرقت اكثر من عشرة قرون. ومما لفتوا اليه النظر ان اليهود انفسهم لم يكونوا يعتبرون جميع اسفار العهد القديم (الذى يضم ما يطلق عليه اسم التوراة او ما يخص اليهود من الكتاب المقدس) متساوية الأهمية او القيمة.

كانت اهم اسفارهم فى نظرهم هي الخمسة الأولى التى تضم سفر التكوين، وسفر الخروج، وسفر اللاويين وسفر العدد وسفر التثنية وتأتى فى الدرجة الثانية اسفار الأنبياء أو الاسفار التاريخية. وكان ما يعرف بالكتابات يأتى فى الدرجة الثالثة ويشمل المزامير والأناشيد والأمثال.

واعتبر اليهود ان الأسفار الخمسة الأولى هي وحي من الله وأنها هي التوراة. لكن الأبحاث النقدية الحديثة كشفت عما اشرنا اليه من تباين في الأساليب وتناقض في الوقائع حتى في وصف ربهم ذاته. ويعلق الدكتور عبد الواحد وافي، في كتابه «الأسفار المقدسة» على هذا بقوله:

«لكن ظهر للمحدثين من الباحثين من ملاحظة اللغات والأساليب التى كتبت بها هذه الأسفار وما تشتمل عليه من موضوعات واحكام وتشاريع والبيئات الاجتماعية والسياسية التى تنعكس فيها، ظهر انهم من ملاحظة هذا كله انها قد ألفت في عصور لاحقة لعصر موسى بأمد غير قصير (وعصر موسى يقع على الأرجح حوالى القرن الرابع عشر أو الثالث عشر قبل الميلاد)... وانها جميعا مكتوبة بأقلام اليهود، وتتمثل فيها عقائد وشرائع مختلفة تعكس الأفكار والنظم المتعددة التى كانت سائدة فيهم في مختلف ادوار تاريخهم الطويل».

وفي هذا كله تأييد لما جاء في آيات الله البينات من سورة البقرة قبل قرون طويلة. يقول تعالى «فويل للذين يكتبون الكتاب بأيديهم ثم يقولون هذا من عند الله ليشتروا به ثمنا قليلا، فويل لهم مما كتبت ايديهم وويل لهم مما يكسبون» (آية ٧٨/ البقرة).

مراحل كتابة التوراة:

تبين للنقاد ان كتابة التوراة مرت بعدة مراحل مختلفة ومتباعدة زمنيا. وكان مسرح المرحلة الأولى هو القسم الجنوبى من فلسطين حيث قام الكتبة حول ٨٥٠ قبل الميلاد، اي بعد احداث التيه بخمسة قرون بتدوين الأخبار كما تناقلتها الأجيال. والى هذه المرحلة ينسب النقاد رواية الخلق الأولى التى أشرنا اليها في صدر هذا البحث.

وجاءت المرحلة الثانية بعد نحو مائة سنة وكان مسرحها القسم الشمالى من فلسطين. والكتبة في هذه المرحلة هم اصحاب رواية الخلق الثانية التى اشرنا اليها.

وابتدأت المرحلة الثالثة على ما يبدو بعد عام ٧٢١ ق.م. اي بعد سقوط المملكة الجنوبية. وفى هذه المرحلة جرى الجمع بين ما تمت كتابته فى المرحلتين الأولى والثانية، واضافة مادة جديدة اليهما.

وفى المرحلة الرابعة التى سبقت عام ٥٠٠ قبل الميلاد قام الكتبة بالتوسع فيما تم فى المرحلة الثالثة. ومما لاحظه النقاد ان روح الاضافات تعكس طابع عصر الكتبة، وتشيد بالمثل العليا التى صار ينشدها الناس فى العصر ذاته. ويتجلى هذا الطابع بصورة خاصة فى سفر التثنية مما حفز الكتبة فيما بعد الى تقليد اسلوب هذا السفر.

وفى المرحلة الخامسة التى بدأت بعد عام ٢٠٠ ق.م. قام عدد من رجال الدين اليهود بتنقيح آخر ما تم على ايدى الكتبة الآخرين.

واخيرا وفى القرن الخامس قبل الميلاد جرى تنقيح آخر لما تم فى المراحل السابقة.

وكانت حصيلة هذه المراحل والجهود المتتالية وضع الأسفار الستة الأولى بصورة شبه نهائية وهي: سفر التكوين والخروج واللاويين والعدد والتثنية ويوشع التى عرفت باسم هكستيك **Hexateuch** وصارت الخمسة الأولى منها وهي التى يقدمها اليهود على غيرها تعرف باسم بنتاتيوك **Pentateuch** أو شريعة وسى أو التوراة.

أما القسم الذى يشتمل على اسفار الأنبياء فلم يعترف به اليهود جزءا من كتابهم المقدس الا بعد ذلك بقرن ونصف على الأقل اي بين ٢٥٠ و٢٠٠ قبل الميلاد. ونظروا الى الأنبياء على انهم فئتان: فئة الأنبياء الكبار وفئة الأنبياء الأقل مكانة: واخبار هؤلاء كلهم تؤلف اثنى عشر قسما او سفرا من اقسام النصوص المقدسة اليهودية (المعروفة بالعهد القديم من الكتاب المقدس). وقد تبين للنقاد ان الذين كتبوا بعض هذه الأسفار واحيانا السفر الواحد منها هم عدة كتبة عاشوا فى عهود مختلفة. ومن هذه الأسفار سفر أشعيا. وادخلت فى بعضها مثل

سفر صموئيل اخبار احداث من عصر الكاتب نفسه.

ولم يجر دمج الاقسام الباقية الشعرية التى تؤلف الجزء الباقى من العهد القديم الا قبل عهد المسيح عليه السلام بنحو قرون من الزمن. وما نسب منها الى هذا او ذاك من الأنبياء لم يكن فى الواقع الا نتاج عصور الكتبة انفسهم وهذا يشمل المزامير والأمثال. على ان اليهود ظلوا يعتبرون هذا القسم ثانويا وأقل مكانة من الأقسام الباقية الى القرن الأول بعد الميلاد.

وبعد:

هل يجوز لنا بعد هذا كله ان نتحدث عن ارض التوراة استنادا الى التوراة ذاتها (أي الكتب او الأسفار الخمسة الأولى) التى ابتدأت الكتابة فيها بعد قرون من حدوثها، والتى كتبت واعيدت كتابتها وجرى تنقيحها وتعديلها من قبل اجيال من الكتاب وخلال عدة قرون من الزمن؟ إن تجارب المؤرخين ومعاناتهم لصعوبات البحث وراء الحقيقة حتى فى احداث الأمس القريب، هذا اذا لم ننكر البعيد، لا تشجع على ذلك.

□□□

د. محمود أبو طالب
الجامعة الأردنية

هل جاءت التوراة من جزيرة العرب

صدر في ايلول من سنة ١٩٨٥ م من تأليف الدكتور كمال الصليبي الاستاذ في قسم التاريخ والآثار في الجامعة الأمريكية في بيروت كتاب بعنوان : «التوراة جاءت من جزيرة العرب» [١] . وهو الآن في طبعته الثانية في كل من اللغات العربية والانجليزية والألمانية . وأطروحة هذا الكتاب هي أن تاريخ بني اسرائيل ، كما ترويه التوراة ، قد اتخذ مساره بالكامل في ارض عسير وجنوبي الحجاز في غربي شبه الجزيرة العربية ، وأن الصعوبات التي واجهها ويواجهها دارسو التاريخ التوراتي وأدت بالكثيرين منهم الي التشكيك في صحة ذلك التاريخ سببها قبولهم بالفكرة التقليدية القائلة بأن جذور تاريخ بني اسرائيل تعود الى العراق ومصر ،

---

(١) كمال سليمان الصليبى ، التوراة جاءت من جزيرة العرب ، ترجمة عفيف الرزار ومراجعة كمال الصليبي . مؤسسة الابحاث العربية ، ١٩٥٠ م بيروت ، ٣٦٤ صفحة ، ١١ خارطة . ويفهم من تصدير ناشر الطبعة العربية (ص٨) ومن بعض المقابلات مع المؤلف (مثلا القبس اليومية الكويتية الصادرة بتاريخ ٣/١٠/١٩٨٥ ص ١١) ان مجلة دير شبيغل Der Spie&el قد تعاقدت معه في صيف سنة ١٩٨٢ م، بعد ان اوشك على الانتهاء من تاليف كتابه على ان تتولى نشره باللغات الألمانية والانجليزية والعربية والفرنسية والهولندية والدانماركية . ويبدو أن هذه المجلة قد واجهت صعوبات في العثور على دور نشر تتولى القيام بهذه المهمة اذ لم يقدر لهذا الكتاب ان يرى النور الا في ايلول من سنة ١٩٨٥ .

وأن بؤرته كانت في فلسطين . ووفقا لهذه الأطروحة فان ارض كنعان التي نجح بنو اسرائيل في اقامة كيان لهم فيها ليست فلسطين وإنما المنحدرات البحرية لعسير من منطقة بلحمر في الشمال عبر منطقة رجال ألمع وحتى منطقة جيزان في الجنوب ، كما أن ارض الفلستيين (٢) هي ليست الساحل الفلسطيني وإنما ساحل تهامة من جوار الليث في الشمال الى جوار جيزان في الجنوب ، وأن هيردن ليست نهر الأردن وانما هي لفظة تعني «جرف» أو «قمة» أو «مرتفع» وقد استعملت للاشارة إلى مثل هذه المظاهر الطبوغرافية في عسير وجنوبي الحجاز ، وفي عسير أيضا ، وليس في مصر وفي العراق ، نجد نهري مصرايم وفرات ، والأول هو وادي ليه والآخر هو وادي أضم ، أما مصرايم نفسها فليست سوى قرية المصرمة (أو المصرامة) بين أبها وخميس مشيط . وليس هذا كل شيء فالمؤلف يرى ايضا أن كتابات المصريين والعراقيين ، وممالك الاجزاء الشمالية من بلاد الشام في الألفين الثانية والأولى قبل الميلاد مما له صلة ببيئة تاريخ بني اسرائيل تشير هي الأخرى الى غربي شبه الجزيرة العربية .

ولقد وصف الدكتور الصليبي نفسه هذه الأطروحة بأنها «استنتاج مذهل» (ص ٢٧) وهو يقر بأنها تبدو «في منتهى الغرابة للوهلة الألى ليس فقط بالنسبة لليهود والمسيحيين الذين اعتادوا على أن أرض التوراة هي فلسطين ، بل أيضا بالنسبة الى المسلمين الذين أخذوا هذه الفكرة عن اليهود والمسيحيين» (ص ١٤ ـ ١٥) بل أنه يعتقد كما ورد على لسانه في مقابلة معه نشرتها مجلة لبنانية (٣) بأن هذه الأطروحة تشكل دعوة الى

---

(٢) هذا تعريب موفق لاسم هذا الشعب القديم الذي كتب بالعبرية التوراتية Pelishtim وبالمصرية Peleset وبالمسمارية الأشورية . Palashtu

(٣) مجلة الشراع الاسبوعية الصادر بتاريخ ١٩٨٤/٩/٣ .

إعادة النظر في أسس الحضارة الغربية ، وكيفما كان الأمر ، فان أقل ما تنطوي عليه هذه الأطروحة ، إن صحت ، هو خلق تاريخ قديم كامل لغربي شبه الجزيرة العربية ومحو كامل تاريخ فلسطين القديم وإعادة النظر في التاريخ القديم لكل من الشام ومصر والعراق لمدة ألفي سنة ـ على الأقل ـ وشطب كل ما كتب في هذه المواضيع لمدة ألفي سنة اخرى .

وفي الفصل الأول من هذا الكتاب وهو بعنوان «العالم اليهودي في العصور القديمة» (ص ٢٧ ـ ٥٦) يفسر لنا الدكتور الصليبي كيف قدر لـ «الوهم» بأن فلسطين هي أرض التوراة أن يسيطر على البشرية كل هذه المئات من السنين ، ويبدأ تفسيره بالتأكيد على أن كون مسار تاريخ بني اسرائيل في غربي شبه الجزيرة العربية «لا يعني أن اليهود لم يكن لهم أي وجود في فلسطين أو في غيرها من البلدان خارج غرب الجزيرة العربية في أيام التوراة» (ص ٢٨) ، وتعود بدايات الوجود «اليهودي» [٤] في فلسطين الى القرن العاشر قبل الميلاد ـ أي الى زمن داود وسليمان ـ وكان الحافز له حينئذ تجاريا ، ثم لم يلبث انتقال «اليهود» الى فلسطين أن اتخذ شكل هجرات واسعة النطاق بسبب الحروب التي نشبت بين مملكتي اسرائيل ويهوذا منذ انفصلتا إثـر وفاة سليمـان ، وكعادة المهاجرين في كل زمان وفي كل مكان من هذا العالم ، كما يؤكده الصليبي عمد «اليهود» المهاجرون الي فلسطين الى اطلاق اسماء يعرفونها في غربي شبه الجزيرة العربية على مواقع في فلسطين ، وهكذا فاننا نجد في فلسطين ومنذ القرن العاشر قبل الميلاد اسماء اماكن توراتية مثل يهودا ،

---

(٤) يستعمل الدكتور الصليبي في هذا الكتاب مصطلحي «يهود» و «الديانة اليهودية» كمرادفين لمصطلحي «بني اسرائيل» و «ديانة يهوه» . وينعقد الاجماع على ان المصطلحين الأولين لم يظهرا الا بعد السبي البابلي وانه لذلك لا يصح استعمالها عند الحديث عن الفترة التي سبقت ذلك السبي ، ولكن هذه تبقى مسألة ثانوية في ضوء التغييرات الضخمة الاخرى التي يقترحها المؤلف .

يروشليم [٥] ، بي لحم ، حبرون ، شمرون ، جرزيم ، عيبال ، كرمل جليل وهيردن (ص ٣٥ ـ ٣٦) ، كما أن الدكتور الصليبي يؤكد أيضا أنه لم يكن اليهود أول من استوطن فلسطين قادما من غرب شبه الجزيرة العربية بل هناك الفلسينيون أي الفلستيون (والتفسيرله) الذين وصلوا ولا شك من غرب شبه الجزيرة العربية قبلهم فصارت تعرف باسمهم ، وهناك أيضا الكنعانيون الذين نزحوا من غرب شبه الجزيرة العربية في زمن مبكر عندما تفرقت قبائلهم في الأرجاء (سفر التكوين ١٠ : ١٨) ليعطوا اسمهم لأرض كنعان (كنعن) على امتداد الساحل الشامي شمالي فلسطين (ص ٣٣) وقد اعطى كلًّا من الفلستيين والكنعانيين اسماء يعرفونها في عسير لمواقع في فلسطين وبلاد الشام ، ومن هنا نجد فيها اسماء فلستية مثل غزة واشكلون وبيت دجن منذ «ما قبل بني اسرائيل» وأسماء كنعانية مثل صور ، صيدون ، جبيل ، ارواد ولبنان منذ «زمن مبكر» (ص ٣٤) .

ويستمر الدكتور الصليبي في تفسيره ليخبرنا بأنه عندما تحطم كيان بني اسرائيل السياسي في ارض عسير باحتلال نبوخذ نصر البابلي ليروشلم سنة ٥٨٦ ق.م ، تركز التيار الرئيسي للتاريخ اليهودي حول فلسطين ، وقبل أن يمر وقت طويل كانت اصول اليهودية في غرب شبه الجزيرة العربية قد دخلت في غياهب النسيان (ص ٤٣) ، وقد تحقق ذلك نتيجة

(٥) هكذا يكتب المؤلف اسم هذه المدينة المشهورة بالحروف الساكنة ، كما يعتقد انه ورد في النص العبري للتوراة وهذا خطا . فقد كتب هذا الاسم في النص العبري دوما ودون اي استثناء يروشيم وينبهنا ال «ماسوريم» الذين ادخلوا الحركات في النص العبري ان هذا ما هو مكتوب Kethib وانها يجب ان تقرا Qere يروشلايم . حول هذه المشكلة انظر :
A.D.Tushin&ham,«Yerushalayim»pp.183 – 193 inArchaeolo&y inthe Levant.Essays for kathleen kenyon R.Moorey and p.parr ed aris and philips Ltd Warminster En&land 1978.

لموت اللغة العبرية الذي بدأ منذ نهاية القرن السادس قبل الميلاد مع بداية شيوع اللغة الأرامية كلغة للحياة اليومية أو آخر زمن البابليين ، وبلغ ذروته عندما أصبحت الأرامية لغة رسمية في زمن الامبراطورية الأخمينية ، وبموت اللغة العبرية بدأت صلة يهود فلسطين بكتبهم المقدسة تنقطع ، وانقطعت أيضا الصلة بينهم وبين يهود غربي شبه الجزيرة العربية ، ولم يلبث هؤلاء - أي يهود غربي الجزيرة - أن تشتتوا بين الكيانات المحلية الجديدة وأهمها دولة معين التي قامت في نفس المنطقة التي كانت قد قامت فيها مملكة بني اسرائيل من قبل . أما بالنسبة ليهود فلسطين فقد كان الحال مختلفا اذ أتاح لهم الصراع بين البطالمة والسلوقيين الفرصة لتحقيق استقلالهم وإقامة ما يعرف باسم مملكة الحشمونيين سنة ١٦٧ ق.م، ويؤكد المؤلف أن هؤلاء الحشمونيين قد اعتبروا أنفسهم الورثة الشرعيين لاسرائيل القديمة ، وفي أيامهم «تم اعتبار فلسطين بأنها الأرض الأصلية لشعب اسرائيل البائد والتوراة العبرية» (ص ٤٨) . ومنذ ذلك الوقت سيطر هذا الوهم على العالم .

ولإثبات أن الربط بين فلسطين والتوراة ليس أكثر من وَهْم ، يستند المؤلف على ركيزتين ، نجد الأولى في الفصل الثانى المعنون بـ «مسألة نهج» (ص ٥٧ - ٧٢) ونجد الأخرى في الفصل الخامس وعنوانه «ما لم يكتشف في فلسطين» (ص ١٠٥ - ١٢١)، والركيزة الأولى هي أن النص العبرى التوراتي يمثل لغة ميتة يجب عند التعامل معه تعريته من جميع حركاته ، والركيزة الثانية هي أن النشاط الأثري في فلسطين والذي مضى على بدايته أكثر من مائة سنة لم يقدم لنا حتى الآن أي دليل على صحة مثل هذا الربط .

وفي توضيحه للنقطة الأولى يؤكد المؤلف على أن النص العبري التوراتي مكتوب بلغة «خرجت عن إطار الاستعمال العام منذ زمن يعود الى ما بعد القرن السادس او الخامس قبل الميلاد (ولذلك) فانه لا يمكن لأحد أن يعرف كيف كانت هذه اللغة تلفظ وتصوت في الأصل لدى الشعب أو الشعوب التى تكلمتها (ص٥٧) . وبدءا من القرن السادس الميلادي قامت جماعة من علماء اليهود اصطلح على تسميتهم بالـ «ماسوريم» ، بادخال النقط والحركات على هذا النص ، وبحكم أنهم كانوا يتعاملون مع لغة مضى على موتها أحد عشر أو اثنا عشر قرنا فان ما أدخلوه من الحركات لا يمكن اعتباره موثوقا أو صحيحا ، ومن المؤكد أيضا ، كما يدعي المؤلف ، أنهم ارتكبوا الكثير من الأخطاء فيما يتعلق بالحروف الساكنة وبصورة خاصة حين اعتبروا أن كلمة واحدة هي فى الأصل كلمتان أو حين اعتبروا حرفا ما سابقا لكلمة ما ، بينما هو في حقيقة الأمر لا حق للكلمة التى قبلها ، وهكذا .

ولا شك أن الدكتور الصليبي مصيب فيما يتعلق بـزمن ادخال الحركات في النص العبري التوراتي ، أما القول بأن اللغة العبرية قد ماتت منذ القرن الخامس قبل الميلاد ففيه الكثير من المبالغة بل عدم الصحة ، صحيح أن استعمال اللغة العبرية في الحياة الدنيوية اليومية قد بدأ منذئذ بالانحسار ، وصحيح أيضا أن بعض ألفاظ التوراة لا تزال الى اليوم موضع خلاف في مبناها ومعناها ، الا أنه من المؤكد جدا من الناحية الأخرى ان ترتيل اجزاء من التوراة العبرية قد كان ولا يزال هو محور الصلوات في الكنس وفي البيوت الخاصة ، ولقد بدأ الربابنة منذ القرن الخامس قبل الميلاد بدراسة النصوص العبرية التى بين أيديهم

من أجل تقرير ما هو «مقدس» منها وما هو «غير مقدس» [٦] وهي عملية لم تنته إلا في أواخر القرن الأول الميلادى ، ولا يصح تكنيكيا الحديث عن «التوراة» [٧] كمجموعة كاملة من الاسفار المقدسة قبل ذلك ، وبالعبرية كتبت طائفة الأيسينيين اليهودية جل كتاباتها وكل أسفار التوراة المقبولة لديها وهي الكتابات المعروفة باسم «مخطوطات البحر الميت» [٨] ويعود أقدمها الى القرن الثالث قبل الميلاد ، وأحدثها في أواسط القرن الثانى الميلادى . والى الفترة اليونانية يعود كثير من الكتابات العبرية التذكارية التي كشف عنها في الكنس وعلى المقابر اضافة إلى العديد من قطع العملة الحشمونية [٩] ، ولقد وجد عدد من آباء الكنيسة الأوائل أنفسهم

---

(٦) ان صفة «مقدس» و «غير مقدس» ليست دقيقة في التعبير عن العملية التى نشير اليها . والمقصود هو ما يقابل المصطلح Canon في اللغات الاوروبية الحديثة وفي اليونانية واللاتينية الذي يوصف به نص ما - ليس بالضرورة دينيا - عندما ينعقد الاجماع على انه «اغلق» فلا يزاد عليه او ينقص منه . ويختلف «كانون» العهد القديم الكاثوليكى والارثوذكسي عن نظيره البروتستانتى ، الاخير مطابق لمجموعة الاسفار التى يصفها اليهود بانها «تلوث اليدين» والتى يفترض في المؤمن ان يغسل يديه بعد كل مرة يمسها خشية ان ينتقل ما بها من القداسة إلى ما يمسه فيلوث تلك القداسة . من اجل فكرة عامة عن هذا الموضوع الحساس انظر :

G.W.Anderson «Canonical and non Canonical» pp.113– 159 in The Cambrid&e History of the Bilble Vol.I.P.R. Ackroyd and C.F.Evans ed. The University press Cambrid&e 1970.

(٧) نستعمل مصطلح «توراة» هنا كما استعمله الدكتور الصليبي ، وكما هو شائع في الاستعمال العربي العام رغم عدم دقته . والمقصود هو ما يسميه المسيحيون «العهد القديم» وما يطلق عليه اليهود اسم «تنك» وهو مصطلح يتالف من الحرف الأول من اسم كل جزء من الاجزاء الثلاثة التى يتالف منها كتاب اليهود المقدس تورا ، نبيئيم وكتوبيم ، واما بالنسبة للمفهوم الاسلامي فان التوراة هي كتاب واحد مقدس انزل على سيدنا موسى عليه السلام حرّف فيما بعد من قبل ربابنة يهود .

(٨) من اجل فكرة عامة عن هذا الموضوع : وليم بروز ، مخطوطات البحر الميت ترجمة محمود العابدي ، دائرة الثقافة والفنون ، ١٩٦٧ ، عمان ، وقد اضاف المترجم ، الذي عمل سنوات طويلة في دائرة الآثار الاردنية معلومات مهمة تتعلق بمصير هذه المخطوطات .

(٩) انظر مثلا :

رُنْسفثقة ثفزشمو قِسهقهحفهخلس ثُرثشم : خَهعزثلفس فِخز فاث فهزث خبفاث آهلاهث فاث لاهساقش شةي فاث شَمزعيو أث سِقشثم لاعسثعزو ثُقعسشمنثزو ١٢٧٩١ز

غُثشجخجعث في : M— Avi, Yonah ed Encyclopedia of Archeolo&ical Excavations in the Holy Land, Vol, IV, The Israel E xploration Society and Massada Press Jerusalem 1978.

مضطرين إلى تعلم اللغة العبرية حتى يتمكنوا من قراءة ما اصطلح المسيحيون على تسميته «العهد القديم» بلغته الأصلية. وفيما يخص اسماء الاماكن وهي لحمة كتاب الدكتور الصليبي وسداه كما يقولون، وصلنا ومن الفترة اليونانية نص توراتي دخلت عليه فيه الحركات واعني بذلك الترجمة اليونانية المعروفة باسم «السبعونية» Septaugintلم تلبث أن تبعتها ترجمة لاتينية تعرف باسم «الدارجة» Vulgateوفي سنة ٢٤٥ م انجز الأب اوريجن Ori9enعملا ضخما يعرف باسم Hexpalaيتألف من ستة اعمدة متوازية، الأول منها هو النص العبري بحروفه الساكنة، والثانى هو ما يقابل تلك الحروف باليونانية Transcriptionأما الاعمدة من ٣ الى ٦ فقد حوت نصوص اربع ترجمات يونانية معروفة في زمنه، من بينها الترجمة السبعونية. ومن الغريب ان الصليبي قد نوه بالترجمات الأرامية زمن الأخمينيين واليونانية زمن الهيللينيين في معرض التدليل على أن اللغة العبرية كانت ميتة تماما (ص ٥٨ ـ ٨٩) ولكن ما لا يستطيع انكاره أنها كانت مفهومة على الأقل من قبل أولئك الذين قاموا بتلك الترجمات، وهذا هو أقل ما يقال بشأن الـ «ماسوريم» (١٠) الذين بدأوا بادخال الحركات في النص العبرى في القرن السادس الميلادي، اذ من المستحيل أن يكونوا قد قاموا بذلك «بصورة

(١٠) من الجذر الارامي م س ر ويعني «ينقل» «يسلم». واقدم ما وصلنا من جهد هؤلاء الـ«ماسوريم» لا يرقي الى ما قبل القرن العاشر الميلادي وهي نسخة من التوراة بـ«ماسورة» هارون بن موسى بن اشر موجودة الآن في متحف ليننغراد في الاتحاد السوفييتى وهي التى اعتمدها رودلف كتل R. Kittel ورفاقه في Boblia Hebraicaالتي صدرت الطبعة الأولى منها سنة ١٩٢٩، والتى حلت فورا محل النسخ العبرية الأخرى التى كانت متداولة وتعمل الجامعة العبرية الآن على إصدار تحقيق جديد للتوراة اساسه ما يعرف باسم نسخة حلب Aleppo Codex وتنسب الى هارون بن اشر ايضا، وكانت محفوظة في كنيس حلب ولكنها سربت سنة ١٩٦٥ الى الكيان الصهيونى حول هذا الموضوع انظر:
M.Goshen – Gottein .«The »leppo Codex and Rise of the Massoretic Boble Text« BiBlical Archaeolo&ist. Vol. 42,N.3 (1979) pp. 145–165.

اعتباطية» كما يزعم المؤلف (ص ١٥) وإلا لكان يصح أن يقال بأنهم وضعوا قواعد جديدة وبالتالى نصا توراتيا جديدا .

أما الركيزة الثانية التى اعتمد عليها الصليبي لاثبات أن الربط بين فلسطين والتوراة وَهْمٌ ، فهي الادعاء بأن النشاط الأثري المكثف فيها لم يكشف عما يبرر مثل هذا الربط ، وقد اقتصر الدكتور الصليبي في محاولة اثبات ذلك على مناقشة عاجلة لثلاثة نقوش هي : نقش ختم من تل الخليفة بالقرب من العقبة ، ونقش نفق سلوان من القدس ، ونقش ميشع من ذيبان ومجموعتين من الكسر الفخارية التى تحمل كتابة كشف عن المجموعة الأولى في سبسطية ، وتعرف باسم كتابات السامرة ، وكشف عن الأخرى في تل الدوير ويشار إليها عادة باسم كتابات لاخيش . ويخلص من هذه المناقشة إلى أن هذه النقوش والكتابات لا تحتوي أسماء أشخاص أو أماكن يمكن أن ترتبط بالتوراة . ثم يختتم هذا الفصل بسرد مجموعة من المطابقات اللغوية بين اسماء اماكن وردت في بعض كتابات الملك الأشوري سرجون الثانى (٧٢٢ ـ ٧٠٥ق.م) وهي مما اكتشف في العراق وفي بعض رسائل تل العمارنة (التى تعود للقرن الرابع عشر قبل الميلاد) وقد اكتشفت في مصر ، هذا من ناحية ، وبين اسماء أماكن في غربي شبه الجزيرة العربية من ناحية اخرى . وبذلك يختلط في فصل عنوانه «ما لم يكتشف في فلسطين» بعض ما اكتشف في كل من فلسطين والعراق ومصر ، ولا مجال بالطبع لقبول مطابقاته اللغوية المتعلقة برسائل تل العمارنة ونصوص سرجون الأشوري اذ لم يثبت لنا بعد أن أرض التوراة هي عسير ، أما مناقشته للكتابات التى وجدت في فلسطين فيمكن اعتبارها مثلا لما يجب أن لا تكون عليه المناقشة العلمية .

وللتدليل على مدى تهافت هذه المناقشة فاننا سوف نقبل جدلا كل

النقاط التى يصر عليها ، ثم نسأل هل تثبت هذه النقاط حتى لو صحت أن فلسطين هي ليست ارض التوراة ؟ أما النقاط التى يصر عليها فهي :

أولا : أن الحروف الاربعة المكتوبة على ختم الخليفة ل ى ت م هي ليست اسم يوثام ملك يهوذا كما زعم المنقب (نلسن جلوك N.Glueck) وانما الى يوثام ما وقد لا يكون من بنى اسرائيل بل قد (يكون اسم الإله المصرى أتوم) (١١). كما أن تحديده لموقع عصيون جبير المذكور في التوراة في تل الخليفة الحالى ليس صحيحا ، والواقع هو أن كثيرين من المختصين قد سبقوا الدكتور الصليبي في رفض المطابقة بين يوثام وملك يهوذا الذي يحمل نفس الاسم ورفضوا ايضا تحديد وقع عصيون في تل الخليفة .

ثانيا : ان اسم الملك حزقيا من ملوك يهوذا غير مذكور في نقش سلوان ، ولا يرد في هذا النقض ذكر اسم اي موقع بما في ذلك يروسلم ولم يدّع أحد خلاف ذلك .

ثالثا : أن الكتايات التى عثر عليها في سبسطية ويطلق عليها اسم كتابات السامرة لا ذكر فيها لاسم الموقع (شمرون) . ولم يدّع أحد خلاف ذلك أبدا .

---

(١١) وبالطبع فان اقتراح الدكتور الصليبي المتعلق بان هذا الاسم قد يكون للاله المصري اتوم مرفوض رفضا قاطعا ، لان اي ختم هو بالضرورة لتوثيق معاملات رسمية ادارية وتجارية مما لا شان للآلهة به لم يحدث ابدا ان اكتشف ختم اله في اي مكان من الشرق القديم . اضف الى ذلك ان المصريين القدماء لم يستعملوا اختاما وان سكان فلسطين القدماء لم يعبدوا آلهة مصرية .

V.Glueck.«The First Campai&n at Tell el – Kheleifeh (Ezion Geber),Bulletin of the American Schools of Oriental Resarch N71 (1936). pp.3–17,« The Topo&raphy and History of Ezion Geber and Elat, «ibid No 72,1938),pp2 – 13, «The Second Campai&n at Thell el – Kele – ifah (Ezion Geber: Elath) ibid No,75 (1939) pp,8–22, «The Third Seasn of Excavations at Tell el– Kheleifeh ibid N.79 (1940) pp.2–18, «Osttraca from Elath» ibid No.79 (1940) pp. 3–10, ibid No.82 (1941) pp. 3–11.

رابعا : إن كتابات تل الدوير لا ذكر فيها لاسم المكان (لاخيش) المذكور في التوراة وأن ادعاء وليم البرايت W.F.Albri9htبأن لاخيش هي تل الدوير ادعاء باطل وباطل أيضا ادعاؤه بأن الحروف .. س ل م هي ما بقي من اسم يروسلم .

خامسا :أن نقش ميشع يتحدث عن حروب هذا الملك المؤابي مع عمري ملك اسرائيل وابنه ، وقد كتب على نصب أقيم فى « جحرا » جنوبي الكرك بعد اضطرار ميشع للجلاء عن مؤاب في الحجاز .

ويبقى أن ما لايستطيع الدكتور الصليبي أن ينكره هو أن هذه الكتابات قد اكتشفت في ارض فلسطين والاردن ، وأن اربعا منها بالعبرية ، واحدها بالمؤابية وهما لهجتان كنعانيتان وان اسم ميشع واسم يوثام مذكوران في التوراة ، وليس صحيحا ما زعمه المؤلف من أن جلوك ، وبناء على ختم يوثام فقط حدد موقع عصيون جبير التوراتية في تل الخليفة ، ثم أخذ «يعلن للعالم دون أن يرف له جفن اكتشاف الموقع الصحيح والدقيق لمناجم نحاس الملك سليمان» (ص ١٠٦) . لقد نقب جلوك في تل الخليفة [١٢] عدة شهور وكشف عن طبقاته الأثرية وما تحويه من فخار وأبنية ، ودرس سياق ذكر عصيون جبير في النصوص التوراتية قبل أن يقترح هذه المطابقة التى تبقى اقتراحا ربما كان خاطئا ، وليس صحيحا أيضا أن البرايت [١٣] قد حدد موقع لاخيش في تل الدوير بناء على الكسرة رقم (٤) التى وجدت فيها ، ومن الغبن الشديد ان يوصف اقتراحه بأن الحروف س ل م هي ما بقي من اسم يروسلم بالصفاقة

---

(١٢) من اجل عرض للاقتراحات المتعلقة باسم تل الدوير في العصور القديمة ، بما في ذلك اقتراح (البرايت) الذى طرحه سنة ١٩٢٩ وتلخيص لابرز موجدات هذا الموقع بما في ذلك الكتابات ، وقائمة باهم المصادر انظر :
O.Tufnell, «Lachish, pp.296–308 in Archaeolo&y and Old Testament, D. winton Thomas ed, The Clarendn press,Oxford (1967).

والاعتباطية ، وغياب اقل احترام للأمانة العلميـة (ص١١١) اذ أن اقتراحا كهذا ، بغض النظر عن صحته أو عدم صحته أمر مشروع في مجال الدراسات الأثرية والتاريخية ، ثم لماذا كل هذا الغضب ألم يؤكد لنا المؤلف في عدة مواضـع من كتابه أنه كان يوجد في زمن التوراة يروشلم فلسطينية .

إن الثقة المطلقة وغير المعقولة التى يقدم بها الدكتور الصليبي مثل هذه الحجج وتجاهله التام لعشرات بل مئات الدراسات والتقارير التى تتعلق بهذه الكتابات الخمس فقط ، يؤكد لنا أنه لا يقدر مدى التعقيد الذى نجده في تاريخ فلسطين القديم ، وإلا كيف خيل للدكتور الصليبي أنه يستطيع أن يقنع احدا باستثناء بعض من قابلوه من كتاب الصحف الدارجة ، إن ميشع قد أقام في « جحرا » نصبا تذكاريًا لتخليد هزائمه ثم انتقل هذا النصب ليكشف عنه في ذيبان ، أو أنه حتى يصح الربط بين حزقيا ونقش سلوان ، يجب أن ينص هذا النقش الذي لم يصلنا كاملا على ما يلي «إن هذا النقش قد كتب في زمن الملك حزقيا (ص١٠٧) ونذكر بهذه المناسبة أن نقش سلوان لم يعثر عليه في قرية سلوان قرب القدس كما يزعم الصليبي ، وانما على جدار نفق يربط بين عين ستنا مريم (وتسمى ايضا عين أم الدرج) وبركة سلوان وكلاهما على التلة الشرقية الى الجنوب من سور الحرم الجنوبي» (١٤) .

هذا عن محاولة الدكتور الصليبى اثبات أن أرض التوراة هي ليست

(١٤) ويتحدث النقش عن عملية الحفر نفسها ، ويرد في خمسة مواضع من التوراة (الملوك الثانى ٢٠:٢٠ اشعيا ١١:٢٢ اخبار الايام الثانى ٢:٣٢ ـ ٣٢ ـ ٣٠ وبن سيراح ١٧:٢٨) ان حزقيا (٧١٥ ـ ٦٨٧ ق.م) قد حفر في يروشلم بركة وصلها بنفق الى عين جيحون. وان مناسبة ذلك هو الاستعداد للحصار الذي كان متوقعا ان يفرضه سنحاريب على هذه المدينة .

فلسطين ، فماذا عن محاولته اثبات أن هذه الأرض هي عسير ويعرف الجميع بالطبع أنه لم تجر في ارض عسير حتى الآن اية نشاطات أثرية ، ولم يكتشف فيها ابدا أي أثر مكتوب له اية صلة قريبة أو بعيدة بلغة التوراة أو تاريخها ، فعلى ماذا يعتمد الدكتور الصليبى اذن ؟

يعتمد الدكتور الصليبي على ما يدعيه من وجود مطابقات بين اسماء اماكن في التوراة وأسماء أماكن في عسير وغربي شبه الجزيرة العربية ، ويعترف الدكتور الصليبي بأنه اكتشف هذه المطابقات اكتشافا وعن طريق الصدفة ، اذ نقرأ فى الفقرة الأولى من الفصل الأول ما يلى : «لقد كان الأمر عبارة عن اكتشاف تم بالصدفة . كنت أبحث عن اسماء الأمكنة ذات الأصول غير العربية في غرب شبه الجزيرة العربية عندما فوجئت بوجود ارض التوراة كلها هناك .. وكان أول ما تنبهت إليه في هذه المنطقة اسماء الأمكنة التوراتية العالقة في ذهني أو جلها ما زال موجودا فيها» (ص ٢٨) . وبما أن اسماء الأماكن في غربي شبه الجزيرة العربية واسماء الاماكن في التوراة لم تكن في يوم من الأيام سرا خفيا فان سر تفرد الدكتور الصليبي ، دون غيره بهذا الاكتشاف ، يكمن في المنهج أو على الاصح غياب المنهج الذي اتبعه للوصول الى هذه المطابقات ، وهذا ما نجده فيما عنوانه «ملاحظات لغوية» (ص ٢١ ـ ٢٥) وهي التى نجدها مكررة في «مسألة نهج» (ص ٦٠ ـ ٦٣) .

ومما يلفت النظر أن كتابا تستند اطروحته في شقها الأهم على مطابقات لغوية قد اكتفى مؤلفه بما سماه «ملاحظات لغوية» جاءت مختصرة جدا ، ومحشورة بين المقدمة والفصل الأول ولا ذكر لها في قائمة المحتويات ، وتبدأ هذه الملاحظات بافادتنا أن الأبجدية العبرية تشترك مع الأبجدية العربية في اثنين وعشرين حرفا ، وان هناك ستة حروف

عربية لا وجود لها في العبرية ، يلي ذلك قائمة «بالتحولات التى يقرها علماء اللغات السامية بين اللغتين» تتألف من حروف عبرية وما يقابلها من الحروف العربية . ولم يقدم الدكتور الصليبي أي دليل على أن علماء اللغات السامية يقرون جميع هذه التحولات ، أو أي دليل على أنها جميعا صحيحة ، ولم يميز الدكتور الصليبى بين تحولات يقبل علماء اللغات السامية بامكانية حدوثها في ألفاظ ذات معنى واحد أو متشابه أو متضاد (١٥) وبين النقل في اسماء الاعلام (١٦) إذ أن الأصل في هذه الأخيرة أن تنتقل بحروفها ، كما هي فيما عدا تلك الحروف التى لا وجود لها في إحدى اللغتين ، ومع ذلك فان تحولا في احد حروف اسم العلم كان يحدث ولكن دون أن يحكم ذلك قاعدة جامعة مانعة ، إذ ليس شرطا أن تتحول الهمزة مثلا الى واو أو ياء بل قد تبقى همزة أو قد تتحول الى عين أو قد تسقط .

وتأتي المفاجأة بعد قائمتي الحروف العبرية والعربية ، حين يقدم لنا الدكتور الصليبي مجموعة جديدة تماما من قواعد التحول في الحروف بينهما استنبطها هو «من المقابلة بين اسماء الأماكن التوراتية وتلك الموجودة إلى اليوم في غرب شبه الجزيرة العربية» (ص ٢٣) ، فهو يستنتج مثلا وعلى هذا الاساس أن حرف اللام في اسماء الأماكن التوراتية مهما كان موضعه في التركيب يتحول إلى « ال » التعريف في نظيره العربي في عسير ، وهكذا تصبح جلعد : الجعد وتصبح لعلاة :

---

(١٥) انظر مثلا :

L.H.Gray Introduction To Semitic Comparative Lin&uistics,philo press.Amsterdam,1971.

ربحي كمال ، التضاد في ضوء اللغات السامية . دراسة مقارنة ، جامعة بيروت العربية . بيروت ١٩٧٢ .

(١٦) انظر مثلا فيما يتعلق بفلسطين :

A.F.Rainey, «The Toponymics of Eretz – Israel» Bulletin of the American Schools of Oriental Research No.231 (1978) pp.1–17.

المعلاة . وهو يقرر أيضا أن أسماء الأماكن التوراتية التى على وزن «يفعل» و «تفعل» تتحول الى العربية على وزن «فعل» و «فعلة» وهكذا تصبح يقطن : قطن ، تعنك : عنقه علما بأن الدكتور الصليبي يؤكد في الملاحظة التى تلي ذلك مباشرة أنه يجب تعرية الأسماء في كل من العبرية والعربية من الحركات وحروف العلة (ص ٢٤) فكيف استقام له مع ذلك الحديث عن الأوزان . ولنفرض جدلا أن اللغة العبرية لغة ميتة فلا نعرف كيف كانت تلفظ اسماء الأماكن فيها ، فلماذا يريدنا أن نميت اللغة العربية ايضا ، ويؤكد الدكتور الصليبي أن الشين العربية لا تنقلب الى ثاء عربية إلا في منطقة جيزان حيث تصبح بشن التوراتية بثن ، كما أن الكاف العربية لا تنقلب ابدا الى خاء وذلك لأنه لم يجد مثل هذا التحول على الاطلاق في التعريب الذي حصل لاسماء الأماكن التوراتية في شبه الجزيرة العربية (ص ٢٤) . ولا تنسخ هذه القواعد الجديدة عددا من التحولات التى وضعها في القائمتين ، بل إنها تضعنا أمام حالة لا مثيل لها من الدوران في حلقة مفرغة ، إن الدكتور الصليبي يريد أن ينقل ارض التوراة الى عسير ، لأنه يدعي أنه وجد مطابقات لغوية بين اسماء الأماكن في كل منهما ، وهو يريد أن يقنعنا بصحة هذه المطابقات بناء على قواعد جديدة تماما ، استنبطها هو دون غيره من افتراض وجود هذا التطابق أصلا .

ولنضرب على ذلك مثلا : المطابقة بين يروشلم وآل شريم التى نجدها في الفصل التاسع «اورشليم ومدينة داود» (ص ١٧٥ ـ ١٩٣) ، ويتوصل المؤلف إلى هذه المطابقة في الصفحة ١٨٣ ، وحسب ادعائه فان كل ما حصل لغويا عند النقل من الاسم التوراتي الى آل شريم هو «تغير موقعي

الحرفين الراء واللام ، بين قسمي الاسم المركب» (ص ١٨٣) ، ولم يتنبه الدكتور الصليبي الى أنه لا وجود في النص العبري ابدا الصيغة «يروشليم» ، للياء بين اللام والميم وانما يكتب دوما ودون استثناء يروشلم أما ما حصل للاسم يروشلم ، حتى أصبحخ آل شريم فهو ما يلي :

أولا : تحولت الياء الى مدة .

ثانيا : نقل الحرف الثانى الراء ليصبح الرابع .

ثالثا : سقطت الواو نهائيا .

رابعا : انتقل الحرف الرابع الشين ليصبح ثالثا .

خامسا : انتقل الحرف الخامس اللام ليصبح الثانى .

سادسا : اضيفت ياء جديدة في آل شريم .

وقد اقتصرت محاكمات المؤلف اللغوية على الجملة التى اقتبسناها اعلاه ، أما الصفحات من ١٧٥ ـ ١٨٣ فقد احتلتها مناقشة ما يسميه «احداثيات» يروشلم بالنسبة الى حبرون التي هي الخربان في منطقة المجاردة ، ويذكر اسم حبرون للمرة الأولى في الصفحة ٣٥ في سياق التأكيد على أن بني اسرائيل عندما هاجروا من عسير الى فلسطين زمن التوراة استعملوا في فلسطين اسماء توراتية من بينها حبرون ، ويذكر في المرة الثانية في الفقرة الأولى من هذا الفصل ليفرض علينا المؤلف ما يلي :

«هناك خمسة امكنة تسمى حبرون ، ما تزال موجودة تحت اسم (خربان) (خربن بقلب الأحرف) على المنحدرات البحرية لعسير ، ومن بين هذه الأمكنة الخمسة يحتمل أن عاصمة داود الأولى (أي حبرون) كانت قرية الخربان الحالية في منطقة المجاردة» (ص ١٧٥) ، فلماذا وعلى أي أساس اختار خربان في منطقة المجاردة دون غيرها ، من بين خمسة

مواقع تحمل نفس الاسم ،لتكون عاصمة داود الأولى ، ويستمر المؤلف «وكما سنرى لا بد أن اورشليم كانت تقع على مسافة ما صعودا باتجاه الشرق ي جوار النماص الخ) ولكن ما نراه هو سبع صفحات من «التدقيق في النص العبري لصموئيل الثانى ٥:٦ ـ ١٠ الذى يتحدث عن كيفية استيلاء داود على اورشليم» (ص ١٧٦) يحدد فيها المؤلف مواقع عدد من اسماء الأماكن الحقيقية أو المتخيلة بالنسبة الى خربان في منطقة المجاردة ثم لا يلبث أن يعثر على موقع اورشليم «فورا على مسافة حوالى ٣٥ كم الى الشمال من بلدة النماص في سراة عسير شمالي أبها إنها القرية التى تسمى اليوم آل شريم» (ص ١٨٣) .

وفي الفصل المعنون «مسألة الاردن» (ص ١٣٣ ـ ١٥٤) توصل الدكتور الصليبي في الصفحة الثانية من هذا الفصل الى أن هـ ى ر د ن الأردن تعني «جرف» «نتوء» أو «مرتفع» كما يلي : يقرر الدكتور الصليبي في الجملة الأولى من هذا الفصل أن هـ ي ر د ن لم تكن في التوراة نهرا ، لأن عبارة نهر هيردن لا ترد في أي مكان فيها ورغم انه يقتبس من كتاب (لجون سيمونز) قوله : إن «مشكلة أصل ومعنى كلمة يردن التى اختلفت الآراء حولها ما زالت بلا حل (ص ١٣٣ هامش رقم ١) الا أنه يقرر أنها من الجذر (يرد) بمعنى انحدر ويقابلها فى العربية الجذر (ردى) الذى يعنى سقط ، ومنها اشتق الاسم الذى نجده في عسير في صيغة ريدان وهى تعنى نتوءً أو مرتفعا (أما النون في كل من يردن وريدان فهي اداة تعريف مماتة) وعلى ذلك فان هيردن تعنى جرف نتوء أو مرتفع . من ناحية اخرى وفي الهامش رقم ٣ صفحة ١٣٥ يعترف الدكتور الصليبي ، على مضض ان عبارة «مياه الأردن» ترد في التوراة (وهي تذكر عدة مرات) وهنا يقترح ان (يرد) العبرية مقابلة لـ (ورد) العربية وليس (ردى)

ويكون معنى هـ ـ ى ردن هنا ليس جرفا أو نتوءا أو مرتفعا وإنما جدول ماء أو بركة (١٧)

وكتاب الدكتور الصليبي هو مجموعة هائلة من المطابقات اللغوية من هذا المستوى ، وفيه من المفارقات ما لا يحيط به حصر ، ومنها أن المؤلف يؤكد لنا ، وفي أكثر من مكان ، أن بعض اسماء الأماكن في عسير زمن التوراة قد اطلقت من قبل المهاجرين إلى فلسطين على مواقع فيها ، ونحن نعرف على وجه التحقيق كيف انتقلت اسماء هذه المواقع في فلسطين الى لغتنا العربية فلماذا انتقلت في عسير على نحو يختلف تمام الاختلاف ؟ إننا نعرف أنه في فلسطين عربت هذه الاسماء كما يلي : يروشلم : اورشليم ، يريحو : أريحا ، عزة : غزة ، اشكلون : عسقلان ، أشدود : اسدود ، يافو : يافا ، عكو : عكا ، وتعنك : عنقة .. الخ ، فلماذا عربت

---

(١٧) يجمع الدارسون على انه من الصعب القبول بان صيغة هيردن مشتقة من الجذر يرد انظر :

J.Simons,The Geo&raphical and Topo&raphical of the old Testament,Brill, Leiden,1959.

وقد نوه سبروس جوردن بان عبارة «نهر الاردن» لا ترد في التوراة . وان هذا الاسم باستثناء مرتين (المزامير ٤٢ :٧، ايوب ٤٠ :٢٣) يكون دوما مسبوقا باداة التعريف ، هذا بالاضافة الى عبارتى «هذا الاردن» و «اردن اريحا» وقد قاده ذلك الى اقتراح ان هذه اللفظة تعنى «نهر» اعتمادا على ذكر iardanus في اوديسة هوميروس (٢ :١ ٢٩-٢) ولكن رأيه هذا لم يحظ بالقبول انظر :

C.Gordon Before the Bible The Common Back&round of Greek and Hebrew Civilizations Harper & Row. New York 1962,pp.284–5.

ونذكر بهذه المناسبة(ان بردية اناستاسي الاولى) وهى عبارة عن رسالة سخرية من احد الكتاب المصريين الى غريمه ومنافسه وتعود الى اواخر زمن السلالة التاسعة عشرة المصرية ، اواخر القرن الثالث عشر قبل الميلاد ، ترد فيها عبارة «جدو الاردن اين يقع» واسم الاردن هنا مسبوق بالاشارة الدالة على نهر او جدول . من اجل ترجمة انجليزية لهذه الرسالة الطويلة الممتعة انظر :

J.A.Wilson,«An E&yptian Letter»,pp. 475– 479 in Ancient Near Eastern Texts Rrlatin& to the Old Testament,J.B. pritchard ed.3rd edition with Supplement, princeton Universitv press.princeton,1969.

وفي :

W.Helcl, Die Bezlehun&en A&yptens Zu Vorderasien im 3.Und 2.jahrtausend V. Xhr, A&yptolo&ische Abhandluun&ch 5,2nd revised ed O. Harrassovitz, Wiesbaden 1971,pp.351–391.

نجد مناقشة لغوية جغرافية لهذه الرسالة .

في عسير على النحو التالي : يروشلم : آل شريم ، يريحو : الرخية أو الوراخ وعزة : آل عزة في منطقة بلحمر أو العزة في وادي اضم أو عز في منطقة بلسمر وأشكلون : شقلة في جوار قنفذة أو ثقالة في الجوار نفسه ، ولماذا عربت أشدود أما الى السدود في رجال المع أو السداد في منطقة جيزان أو الشديد في منطقة مكة المكرمة ، أو السداد في منطقة الطائف وكيف أصبحت يافو : الوفية ، وعكو : العكة وتعنك : عنقة ؟ الخ .

ومن النقاط البارزة في هذا الكتاب التسليم بصحة روايات التوراة التاريخية تسليما مطلقا ، الى درجة لم يصل اليها أكثر التوراتيين المحافظين تطرفا ، ولذلك فان المؤلف يرهق نفسه في البحث في جغرافية روايات يحوم شك كبير حول صحة أحداثها ، والتوراة كتاب ديني ذو نظرة تاريخية خاصة وقد كتب ما فيه من روايات لتعزيز تلك النظرة ، ونجد في التوراة في بعض الأحيان ، روايتين مختلفتين أو متناقضتين لحد واحد . ونقد الروايات التوراتية من حيث نشأتها وفلسفتها ومن حيث المدرسة التى حررتها وصاغتها ومن حيث انتقالها حتى دخلت في «الكانون Canon[١٨] الذي لم يغلق الا في القرن الأول الميلادى ، أمر ضروري جدا لتقويم روايات التوراة تاريخيا ، وضروري جدا مقارنة ما له صلة بالآثار منها بنتائج الحفريات الأثرية ذات العلاقة ، ولو فعل الدكتور الصليبى ذلك لوجد أنه لا مجال للشك ابدا في أن التوراة قد نشأت في فلسطين من ناحية ، ولا مجال أبدا ، من ناحية أخرى ، للقبول بأن كل روايات التوراة التاريخية صحيحة وهذا مثل بسيط :

تذكر مدينة جبعون وسكانها الجبعونيون في التوراة خمسا واربعين مرة ، ويفهم من هذه الاشارة ان في مدينة جبعون بركة ماء (ارميا

---

(١٨) انظر الهامش رقم ٦ .

١٢:٤١) وان سكانها كانوا يتعاملون بصناعة النبيذ او نقله على الأقل (يشوع: ٩:٤) ومنها أيضا أن جبعون ، في زمن يشوع ، كانت مدينة عظيمة محصنة (يشوع:٩،١٠) وانه قد احتلها ، ومنذ سنة ١٨٣٨ ارتأى ادوارد روبنسون E.R obinsonان جبعون هي الجيب التى تقع على مسافة ١٤ كم الى الشمال الغربى من القدس وبين السنوات ١٩٥٦ - ١٩٦٢ قام « جيمس بريتشارد » J.B.Pritchardلمن جامعة بنسلفانيا في فيلادلفيا بالحفر في هذا الموقع ، فكشف عن وجود بركة ماء [١٩] ومعصرة نبيذ [٢٠] وكشف ايضا عن عدد كبير من النقوش و«طبعات» اختام على مقابض جرار فخارية من بينها واحد وثلاثون مقبضا نقشت عليها كلمة ج ب ع ن . وكان على (بريتشارد) أن يقنع المختصين بأن هذه الحروف اسم المكان الذى هو جبعون ، وكان عليه ثانيا أن يقنعهم أن تلك الجرار لم تأت الى الجيب حيث وجدت من جبعون وهذا ما فعله في نقاش مطول . [٢١] وبذلك يصبح تحديد موقع جبعون في الجيب الحالية في حكم المؤكد ، من ناحية اخرى لم تكشف الحفريات في الجيب عن أية آثار لمدينة محصنة يمكن ارجاعها الى الزمن الذى يفترض أن يشوع قد احتلها فيه ، وبذلك تكون رواية سفر يشوع ليست صحيحة وإنما نسجت فيما بعد لاعتبارات ايديولوجية لا مجال للخوض فيها .

---

(١٩) j.B.pritchard, The Water System of Gibeon The University Museum. THe University of pennsylvania, philadelphis.1961—

(٢٠) idem Winery,Defenses and Soundi&s at Cibeon, The University Museum The University of pennsylvania, philadelphia,1964—

(٢١) idem Hebrew Inscriptions nd Stamps from Gibeon. The University Museim The University of pennsylvania, philadelphia,1959.

الفهـــرس

ooo

إصدارات نادي أبها الأدبي

عدد	الكتـــــاب	المؤلـــف	الموضـــوع
١	لمحات عن تاريخ عسير القديم	د . سيد أحمد يونس	تاريخ
٢	النحو قانون اللغة وميزان تقويمها	د.محمود فجال بن يوسف	دراسة
٣	ابن هشام وكتابه مغني اللبيب	د.عبد الرحمن علي سليمان	دراسة
٤	وصف الحيوان في الشعر الهذلي	د.إسماعيل داود محمد النتشه	دراسة
٥	صحيفة بشر بن المعتمر	د . علي علي مصطفى صبح	دراسة
٦	جناية الشعر الحر	أحمد فرح عقيلان	دراسة
٧	باقة البنفسج	د . عبد الهادي حرب	ديوان شعر
٨	وحي وقلب وألحان	عبد السلام هاشم حافظ	ديوان شعر
٩	النبات في عسير	محمد حسن غريب الألمعي	دراسة
١٠	هل هناك أزمة في الأدب ؟	د . محمد عبده يماني	دراسة
١١	الأدب العالمي والعالمية في الأدب	علوي طه الصافي	دراسة
١٢	قراءة في سجل القصة السعودية	سباعي عثمان	دراسة
١٣	الإدارة والمواطن	عبد الرحمن محمد السدحان	دراسة
١٤	شعاع الراحلين	عبد الرحمن إبراهيم زين العابدين الحفظي	ديوان شعر
١٥	فلتشرق من جديد	طاهر عوض سلام	رواية طويلة
١٦	أبها في التاريخ والأدب	علي أحمد عمر عسيري	دراسة
١٧	قصائد من الجبل	مجموعة من الشباب	ديوان شعر
١٨	التبرج والحجاب في ضوء الكتاب والسنة	زهرة أحمد الألمعي	دراسة
١٩	الطب النبوي والطب القديم	د . محمد بشير حقي	دراسة
٢٠	آراء في السحر	أحمد ثابت عسيري	دراسة
٢١	شهادة للبيع	محمد عبد الله الحميد	مجموعة قصصية
٢٢	دراسة في المسرح والمسرحية	إبراهيم محمد أبو عجمية	دراسة
٢٣	الجاحظ بين مؤلفاته	سلمان عابد الندوي	دراسة
٢٤	قراءات في شعر الشيخ سليمان بن سحمان	د . إبراهيم محمد الزيد	دراسة
٢٥	سوق عكاظ في التاريخ	محمد أحمد العقيلي	دراسة
٢٦	الحديث النبوي في النحو العربي	د . محمود فجال يوسف	دراسة
٢٧	لحظة يا حلم	محمد عبد الرحمن الحفظي	ديوان شعر
٢٨	زمن العشق الصاخب	حسن محمد النعمي	مجموعة قصصية
٢٩	حياة الشيخ محمد بن عبد الوهاب	محمد أحمد العقيلي	دراسة
٣٠	مذكرات سليمان شفيق باشا	محمد أحمد العقيلي	دراسة
٣١	نزيف المشاعر	أحمد عبد الله بيهان	ديوان شعر
٣٢	في عروض الشعر العربي	د . محمد عبد المجيد الطويل	دراسة
٣٣	النهج الإبداعي للآمدي الناقد	د.عبد الحميد محمد العبيسي	دراسة
٣٤	خراف الأيام	راشد الحمدان	مقالات
٣٥	الجغرافيا الزراعية لمنطقة عسير	أحمد محمد حيدر	دراسة
٣٦	الحياة الفكرية والأدبية في جنوب البلاد السعودية	د . عبد الله أبو داهش	دراسة
٣٧	الخليفة عمر بن عبد العزيز والشعر	د . عبد الحميد المعيني	دراسة
٣٨	آخر ما جاء في التأويل القروي	حسن محمد النعمي	مجموعة قصصية
٣٩	محطات أمل للشباب	د. عبد اللطيف فرج	دراسة
٤٠	عسير من ١٢٤٩هـ ـ ١٢٨٩هـ	علي أحمد عيسى عسيري	دراسة
٤١	السير الحثيث إلى الاستشهاد بالحديث في النحو العربي	د . محمود فجال يوسف	دراسة
٤٢	اقتراءات الصليبي (متابعات أولى)	محمد عبدالله الحميد	دراسة

طبعت بمطابع دار البلاد - جدة
ت : ٦٧٠٠٣٣٣ ص . ب : ٧٦١٤ جدة ٢١٤٧٢